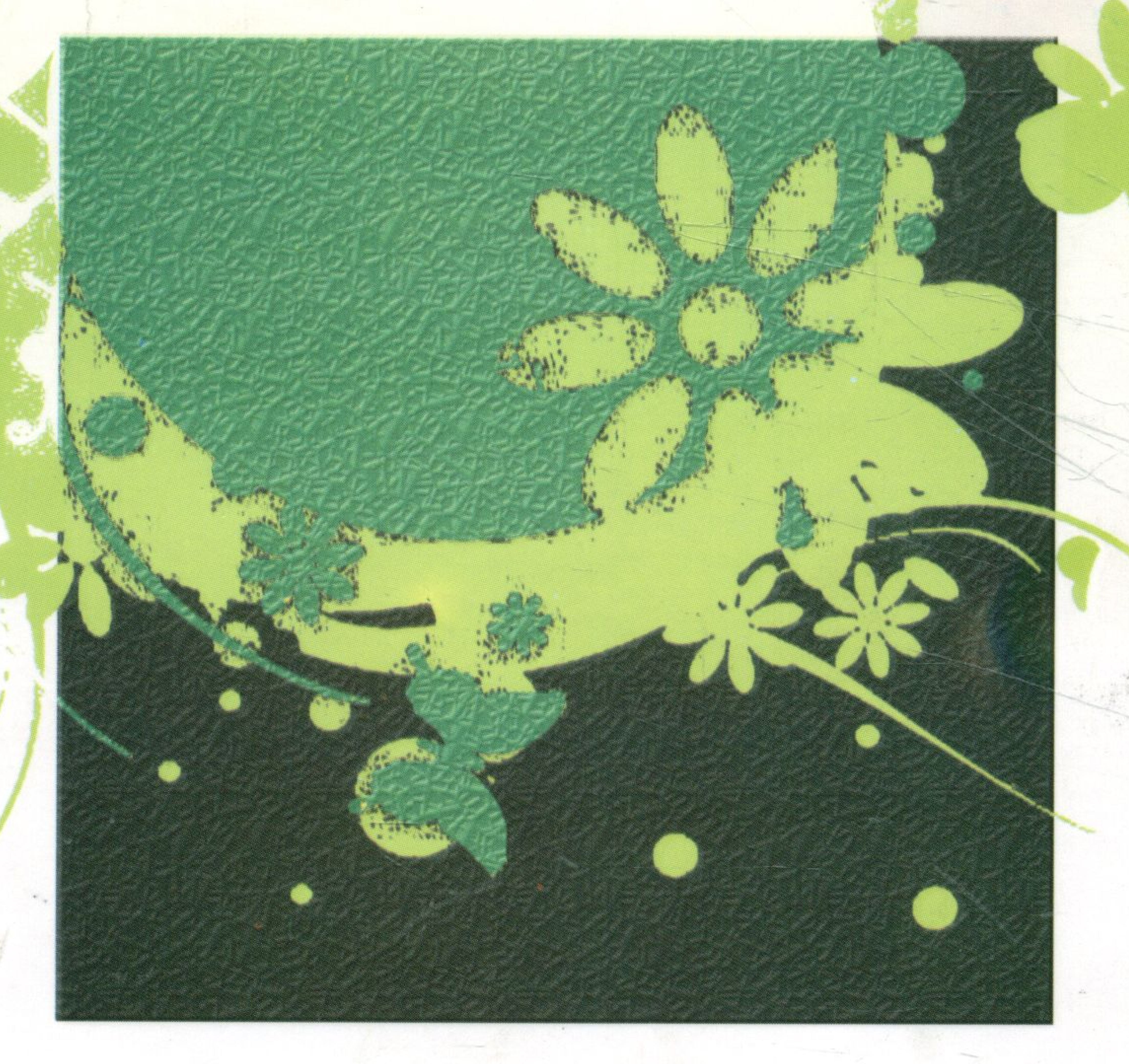


الأماكن المشهورة في القرآن الكريم

حنفى المحلاوى





الأماكن المشهورة
فى
القرآن الكريم

حنفى المحلاوى

الأماكن المشهورة في القرآن الكريم



المحلاوى ، حنفى .
الأماكن المشهورة فى القرآن / حنفى المحلاوى . ط 1 . –
القاهرة : عالم الكتب ، 2009
290 ص ، 24 سم
تدمك : 1-670-232-977
1- الأماكن فى القرآن
أ – العنوان 229.43023

عالم الكتب

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1429 هـ - 2009 م

❖ رقم الإيداع 20404 / 2008

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
1-670-232-977

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

صدق الله العظيم

الفهرس

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن: الجنة والنار ويوم البعث والحساب	٢٣١
ويشمل:	
الجنة: التى وعد بها المتقون	٢٣٤
الصراط المستقيم: أولى منازل الجنة	٢٣٨
سدرة المنتهى: المقام الرفيع	٢٤٠
الأفق الأعلى: من أسرار رب العالمين	٢٤٢
الكوثر: نهر فى الجنة	٢٤٤
جهنم: مسوى كل العصاة	٢٤٦
النار: التى يعرضون عليها	٢٤٨
الدرك الأسفل: فى قاع مظلم	٢٥٠
الحطمة: التى بها يكذبون	٢٥٢
سقر: أحد أبواب جهنم	٢٥٣
السعير: فى جهنم حقًا	٢٥٥
.. ملحق خاص بجدول مفصل عن الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم	٢٥٩
المراجع	٢٨٨

مقدمة

بسم الله.. والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.. اللهم اجعل ثواب ما نكتبه دوماً، وعلى وجه الخصوص ما نخطه فوق هذه الأوراق على أرواح علمائنا الأجلاء وعلى روح أمى وأبى وزوجتى وأموات المسلمين أجمعين.

كما ندعوك يا ربى عوناً وتوفيقاً بأن تجعل ثواب هذا الجهد فى ميزان حسناتنا يوم القيامة، وأن تجعله نافعًا لنا ولأولادنا من بعدنا سواء فى الدنيا أو فى الآخرة.

***

إن هذه الكلمات الطيبة التى أرشدنا إليها رب العالمين رأيناها خير استهلال لما هو آت من حديث شيق مهم يشمل كل هذه الأوراق والتى تدور فى فلك السعى نحو تحقيق فكرة جديدة قوامها القرآن الكريم وما يشمل عليه دوماً من كنوز معارفية كثيرة ومتنوعة. هذه الكنوز التى تؤكد دوماً أن هذا الكتاب العظيم، إنما هو صالح لكل زمان ولكل مكان، وما فيه من آيات وسور كريمات إنما تساهم وبقوة فى تيسير حياة البشر وحل مشكلاتهم حتى تقوم الساعة.

ومن خصوصيات هذه الكنوز وأحدثها.. ما يحويه هذا الكتاب العظيم من أسماء بعنيها لأماكن وشخصيات لعبت ولا تزال تلعب أدواراً فى حياتنا سواء فى الدنيا أو فى الآخرة، سلباً أو إيجابياً.

وما دفعنا إلى البحث عن هذه الكنوز المعارفية والمتمثلة فى تحديد الشخصيات والأماكن فى كتاب الله هو الأحساس بوجود حاجة دائمة من جانب قطاع عريض من الناس لمعرفة أصولها وما ترمى إليه من أهداف خاصة ما ورد ذكرها فى القرآن الكريم سواء صراحة أو بالتلميح، وكما قالوا ويقولون دوماً: إن الحاجة هى أم الاختراع، فكذلك اكتشفنا أن الأسئلة دائماً ما تكون هى الأخرى أم الدوافع، سواء لكتابة بحث أو لتأليف كتاب جديد.

إذ طُلب منا فى إحدى المرات أن نساهم وبجهد فى البحث عن كيفية الحصول

على معلومات موثقة عن بعض الشخصيات وكذلك بعض الأماكن المذكورة فى القرآن الكريم بحيث تكون فى الوقت نفسه السبيل المؤكد لمعرفة شاملة فيما بعد.. أو ربما تستخدم كمدخل لمزيد من البحث عن معلومات بعينها ترتبط بهذه الأماكن أو بتلك الشخصيات.

وكان علينا حينئذ اللجوء إلى كل ما تحويه معاجم ألفاظ هذا الكتاب الكريم، ثم ما فى بعض الموسوعات. ووفقنا الله فيما نريده .

ولكن وبعد عناء وتعب شديدين، قد أفاض رب العالمين علينا بفكرة هذه الأوراق والتى تقوم فى الأساس على ضرورة وجود موسوعة ميسرة لأجل توفير الجهد والوقت فى حال حصول كل منا على مبتغاه من المعلومات المرتبطة بهذا المكان أو بتلك الشخصية والموجودة فى القرآن الكريم.

ولقد قطعنا شوطاً طويلاً على هذا الطريق على أمل إنجاز هذه الموسوعة التى تقوم على منهج استخدام الحروف الهجائية، أو على الأقل إنجاز بعض أجزائها، ولكننا اكتشفنا أن طريقها طويل والعمل بها شاق للغاية حيث يحتاج ذلك إلى أكثر من مؤلف وكاتب وباحث مستنير.

ونظراً لأهمية هذه الفكرة وإلحاحها على الذهن وعلى النفس فى آن واحد فقد توكلت على الله واستبدلتها مؤقتاً بما فى هذه الأوراق والتى تدور فى فلك الفكرة الرئيسة لهذه الموسوعة، فعسى أن يمتد بنا العمر كى نعاود العمل فى تلك الموسوعة والتى أنجزنا منها تقريباً حرف «الألف» فيما يخص الشخصيات القرآنية فقط، وندعو الله أن يمد فى أعمارنا من أجل إنجاز هذه الموسوعة.

ونحن نعتبر أن فكرة هذه الأوراق وما يحويه هذا الكتاب إنما هى البذرة الرئيسية لهذه الموسوعة رغم كتابتها فى غير أثواب الموسوعات أو طرق تدوينها.

***

والمنهج الذى تقوم عليه فكرة هذه الأوراق يدور فى فلك عدة نقاط سوف يساهم بيانها فى بيان المقصد من وراء إعدادها:

** النقطة الأولى: هى اختيار كل أو معظم الأماكن المذكورة فى كتاب الله ثم تصنيفها وفقاً لفصول الكتاب، ومن ثم إلقاء الأضواء المبهرة عليها من واقع أشهر التفاسير القرآنية، على أمل أن تحقق تلك الخطوة نوعاً من التفسير الجغرافى القائم على بيان الكلمة ومعناها ومغزاها وأهدافها، وصولاً لما أسماه أستاذنا الراحل الدكتور محمد إبراهيم الفيومى عضو مجمع اللغة العربية بالتفسير المكانى أو الجغرافى للقرآن الكريم.

** النقطة الثانية: الاستعانة بالآيات القرآنية التى ذكرت هذا المكان. وبيان أرقامها فى المصحف وكذلك عددها ثم معانيها وتفسير كلماتها.

** النقطة الثالثة: الرجوع إلى كل أو معظم كتب التاريخ والجغرافيا وقصص الأنبياء وكتب السيرة لبيان ما بها من معلومات عن هذه الأماكن.

** النقطة الرابعة والأخيرة: فهى تتجلى فى بيان المعنى اللغوى للكلمة المختارة ثم بيان موقعها فى المعاجم اللغوية.

***

ومن يقرأ القرآن الكريم ويتدارس معانيه فيما يخص الشخصيات والأماكن التى تأتى عرضاً وسط آيات هذا الكتاب العظيم سوف يلاحظ أن القرآن الكريم قد ذكر خاصة الشخصيات المعنية فى ثلاث صور.. فهناك أسماء جاء ذكرها فى هذا الكتاب العظيم على سبيل التصريح بهذا الاسم أو ذاك.. مثل إبراهيم وآدم ونوح وآزر وآخرين.. فى حين أغفل رب العالمين ذكر أسماء أخرى وقد أتى بها فى هذا الكتاب المبين على سبيل التلميح من دون التصريح، ضارباً لنا من خلال ذكرها الأمثلة المتنوعة..؛ مثلما جاء فى قصة أصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وأهل الكهف، وأصحاب النار، وأصحاب البيعة وهكذا. وهى كلها شخصيات ارتبطت بأحداث مهمة لم نكن نعرفها لولا ما جاء بشأنها فى القرآن الكريم. مما حدا بالكثيرين من المفسرين والعلماء الاجتهاد لبيان أسماء هذه الشخصيات.

فى حين جاء ذكر شخصيات أخرى فى كتاب الله فى صورة ثالثة، من دون التصريح أو التلميح، إذ اكتفى رب العالمين بالإشارة إليها، بالوصف فقط، هذا

الوصف الذى جمع فيه الله تعالى ما بين الاسم والوصف وفى كثير من الأحيان، مثال ذلك ما جاء بالنسبة لألفاظ المؤمنون، الكافرون، النصارى، اليهود، ابن السبيل، المنافقون، وهكذا.

والشيء اللافت للأنظار أن هذا الأسلوب الذى استُخدم فى الكشف عن شخصيات القرآن الكريم لم يطبق على الأماكن التى جاء ذكرها فى هذا الكتاب الحكيم، إلا فى حدود ضيقة.. حيث جاءت معظم الألفاظ الخاصة بالأماكن صريحة ودالة على ما تعنيه. ولسوف يتجلى ذلك بوضوح أكثر حين نعرف محتويات هذا الكتاب والذى خصصناه لحديث الأماكن المشهورة فقط، وربما يطيل الله فى أعمارنا من أجل إتمام جزئه الثانى عن الشخصيات المشهورة أيضاً.

***

إن الكتاب الذى بين أيدينا والذى خصصنا كل أوراقه لحديث الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم يحتوى على تمهيد نتحدث فيه عن خصوصية الأماكن التى ذكرها ربنا فى كتابه العزيز ومدلول هذه الأماكن وأدوارها فى قصص الأنبياءوقصص القرآن كله. ثم يأتينا حديث الفصل الأول وهو عن البلاد والمدن والقرى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم صراحة.. وبيان موقعها ومدلولها، والآيات القرآنية التى ذكرت فيها.. مثل مصر وسبأ ومكة ويثرب وبدر وحنين وغير ذلك من أسماء هذه الأماكن المهمة فى تاريخ الإنسانية.

وفى الفصل الثانى وعلى نفس المنهج نتحدث عن أماكن العبادة وأشهرها فى كتاب الله.. ولدينا فى هذا السياق العشرات من أماكن العبادة المشهورة والتى ذكرها ربنا فى كتابه العزيز مثل البيع والصلوات والكنائس والمساجد والباب والصوامع والصفا والمروة ومقام إبراهيم والكعبة وجبل عرفات والشهر الحرام. وهكذا.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه للحديث عن الأماكن التى ارتبطت برسالات الأنبياء. ونحن نذكر منها على سبيل المثال التنور والجودى والفج العميق والجُب . واليم ووادى النمل والوادى المقدس طوى وهكذا.

وفى الفصل الرابع نتحدث كذلك عن الأماكن المشهورة فى كتاب الله والمتعلقة

بأصحاب القصص من المؤمنين ومن الكافرين الذين جاء ذكرهم وأماكنهم فى كتاب الله العزيز وأيضاً هناك أمثلة كثيرة على هذه الأماكن من بينها أصحاب الأخدود، والكهف، وجبل الرقيم، وحاضرة البحر والبروج وعين القطر. وهكذا.

ثم يأتينا حديث الفصل الخامس عن القصور والحصون والخيام والأماكن الأخرى التى ترتبط بإقامة الإنسان فوق سطح الأرض عبر كل الأزمنة، ويتسم حديث هذا الفصل بصفة العمومية. إذ جاء حديث القرآن الكريم عن تلك الأماكن دون تحديد، أو الإشارة إلى مواقعها الجغرافية حتى ولو على سبيل التقريب.

وفى الفصل السادس نتحدث كذلك عن الأماكن المشهورة التى ارتبطت بجسم الإنسان والتى جاء ذكرها فى القرآن الكريم.. مثل الوجه والأعناق والسوق والجباه والأفئدة. والأذن، وغير ذلك من أعضاء جسم الإنسان.

وفى الفصل السابع من أوراق هذا الكتاب هناك حديث شائق يشمل أماكن من نوعية أخرى وهى أماكن ارتبطت فى واقع الأمر برحيل الإنسان ونهايته مثل القبور والأجداث والحفر والتراب وهكذا.

وأخيراً فى الفصل الثامن نتحدث عن أماكن لها خصوصية فى كتاب الله وفى حياتنا الآخرة، مثل الجنة والنار وأماكن النعيم المقيم بعد البعث ويوم الحساب وقد ضمنا الكتاب إلى جانب كل ذلك جدولاً به هذه الأماكن المشهورة ومعناها وموقعها وعدد السور والآيات التى ذكرت بكل منها. وما جاء فى هذا الجدول مرتب ترتيباً هجائياً.

المؤلف

حنفى المحلاوى

حدائق القبة

تمهيد

(البلاد.. وأسماء بعينها)

هناك أسماء لبعض البلاد من التى جاء ذكرها فى كتاب الله صراحة.. والله أعلم وحده بسبب التصريح باسم هذا المكان أو ذاك.. ومن المؤكد أنه يحمل إلينا حكماً تتطلب المزيد من العناية فى البيان والدراسة.

ولا شك أن مثل هذه الأسماء لهذه البلاد أو المدن أو الأماكن المذكورة فى كتاب الله لا بد وأن يكون لها خصوصية بخلاف غيرها من الأماكن التى جاء ذكرها تلميحاً أو ارتبطت بأحداث دينية بعينها.

وعلينا أن نتوقف بكل جد واهتمام كى نتدارس كل هذه الأماكن ونتساءل عن سر إغفال البعض والتصريح بالبعض الأخر، ولا شك أن ما سوف نصل إليه من معرفة فى هذا السياق إنما سوف يكون قليلاً، لأنه جزء من علم الله الذى يعلم كل شيء خفى أو ظاهر.

وبشكل عام فقد وجدنا بالفعل أن هناك أسماء لبلدان ومدن وقرى بالقرآن الكريم، وهى التى تكرر ذكرها فى أكثر من آية وسورة كريمة.. مما يدل على أهمية هذه الأماكن. وما يدعونا فى الوقت نفسه إلى التوقف أمامها لدراستها واستبيان هذه الأهمية سواء تاريخيا أو جغرافيا أو حتى دينياً.

والمسألة هنا لا تتوقف أهميتها عند حدود المعرفة بل لا بد وأن تمتد لأكثر من ذلك حيث نعتبرها وسيلة مهمة من وسائل زيادة جرعة الإيمان فى قلب الإنسان عندما يقف على هذا الدور المهم الذى لعبه هذا المكان أو ذاك فى مسيرة إيمان آخرين من الذين سبقونا .. وقد يمتد هذا الاهتمام من جانبنا إلى الوقوف كثيراً أو قليلاً للتعرف على أهل هذه الأماكن من أجل بيان أحوالهم وما كانوا عليه من كفر أو إيمان، وتدارس حالاتهم للوصول إلى معرفة أسباب إيمانهم أو كفرهم.. ثم الخروج بالعبر

والعظات التى تساهم كثيراً فى تقوية الإيمان فى قلوب البشر، لأنهم قد وقفوا على تجارب الآخرين وعرفوا مصيرهم، وما آل إليه أحوالهم، سواء فى الخير أو فى الشر.

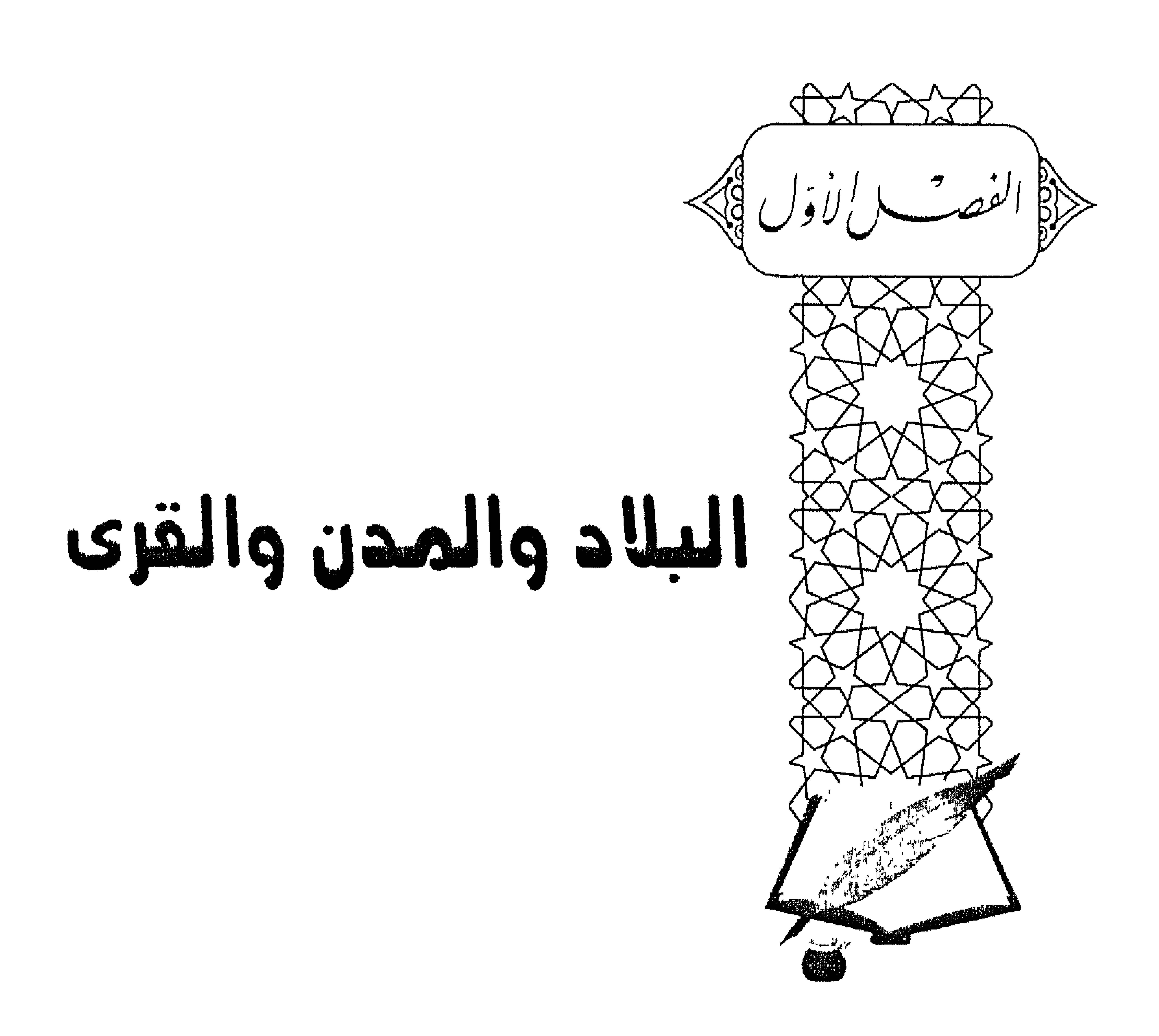
وكما نعرف جميعاً، فإن الله تعالى قد جعل من تجارب الآخرين العبر والعظات من أجل أن نتدارسها ونأخذ منها ما يفيدنا فى حياتنا الدنيا وفى الآخرة، وكذلك بعث الله النبيين والرسل هنا أو هناك، من أجل أن يتفاعلوا مع أهل هذه الأماكن من الذين سوف يرفضون دعواتهم الإيمانية أو ربما يؤمنون بهم.

ونحن فى كل من هاتين الحالتين سوف نعيش مع تجاربهم فى مدنهم وقراهم كى نبين من خلال ذلك .. الأماكن التى أساءت وأساء أهلها إلى رسلهم، فكانوا من الخاسرين. ونتوقف كذلك أمام غيرها من الأماكن الطيبة التى بها صلاح الأحوال، وعن طريقها فاز أهلها بالدنيا والآخرة.

ولسنا فى حاجة إلى التذكير بتلك الفروق العظيمة بين مكان عظيم يماثل الكعبة المشرفة أو بيت المقدس أو دور العبادة، وبين ما دون ذلك من الأماكن التى حكم الله عليها وعلى أهلها بالسوء وبالعذاب والتشرد مثل سبأ وبابل والقرى الظالم أهلها. فى مقابل أماكن أخرى وبلاد كثيرة أنعم الله على أهلها مثل مكة والمدينة ومصر وسيناء ومدين وغيرها.

وهناك ملحوظة لا بد لنا من الإشارة إليها فى هذا السياق وهى أن الله تعالى وبحكمته التى تتجلى دائماً فى كل شىء قد بين لنا وجود أماكن سيئة السمعة وأخرى حسنة السمعة حتى فى يوم القيامة. هذه الصفات من حيث الحُسن أو السوء مستمدة من أفعال أهلها، وربما من نتائج تلك الأفعال أيضاً، وليست الجنة أو النار بعيدة عنا وعن أفعالنا أيضاً.

***



الفصل الأول

البلاد والمدن والقرى

الفصل الأول

البلاد والمدن والقرى

هناك مجموعة من المدن والقرى والبلدان التى جاء ذكرها صراحة فى كتاب الله تعالى.. هذه الأماكن ومن فضل الله ما زال بعضها موجوداً بيننا، وخاصة فى عالمنا العربى، وإن أصابها الزمن ببعض التغيرات الجغرافية وذلك بحكم عوامل الزمن وعوامل الطبيعة.

ولو تدبرنا الأمر وما جاء بشأن ذلك فى كتاب الله سوف تصيبنا الدهشة من وجود تلك الأماكن وما لعبته من أدوار تاريخية ودينية كانت وما زالت على جانب كبير من الأهمية.

وبنظرة مبسطة وسريعة على أسماء هذه الأماكن سوف نكتشف أنها ترتبط ببلاد وأماكن لا يزال تأثيرها كبيراً على مسيرة حياة البشر، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر؛ واستعراضنا لأسماء تلك البلدان سوف يبين ذلك لنا ولكم أكثر وبوضوح شديد.

إن من أشهر هذه البلدان وتلك الأماكن التى جاء ذكرها صراحة فى القرآن الكريم تحتل مدن وقرى الحجاز الصدارة بحكم اقترابها واقترانها برسالة الإسلام وبدعوة نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام، مثال ذلك مكة أو بكة ثم المدينة أو يثرب والحجر والأحقاف وبدر وحنين.

وإذا ما تركنا الحجاز وأهلها وأماكنها المشهورة فى كتاب الله سوف نجد بلاداً أخرى مذكورة صراحة فى هذا الكتاب العظيم مثل سبأ وعدن والعقبة وغيرها، وأخيراً أو أولاً تأتى مصر من بين هذه المدن المشهورة فى كتاب الله، وكذلك سيناء. ومن بعدهما تأتى بابل التى جاء ذكرها أيضاً فى القرآن الكريم.

والمدقق فيما ذكرناه من أسماء عن هذه المدن وتلك القرى سوف يكتشف فعلاً قيمة وأهمية وعظمة ودور كل من هذه الأمكنة التى تم الإفصاح عنها صراحة.. فى مقابل أماكن أخرى أغفل الله تعالى ذكرها لنا واكتفى القرآن الكريم بالإشارة إليها سواء بالتلميح أو بالوصف، وذلك لحكمته التى تتجلى لكل عصر ولكل جيل، فى معانى كثيرة وأدوار أكبر.

ومايجدر الإشارة إليه فى هذا السياق.. أن هذه البلدان وتلك القرى كانت فى الماضى مجرد كيانات صغيرة، ولكل كيان منها حاكم أو أمير أو رئيس أو زعيم، وهى التى دخلت جميعها فى عصرنا الحاضر فى إطار ما يسمى بالقوميات إلى أن تحولت إلى كيان كبير يسمى إما جمهورية أو مملكة أو إمارة.

ومن عظمته وتدبير رب العالمين نجد أن هذه الأماكن المعنية بحديثنا لم تختفى أو تذوب فى داخل تلك الكيانات الكبيرة بل ظلت قائمة على حالها شامخة حتى تروى لنا عبر الأزمنة دورها الذى شاركت من خلاله فى خدمة دين الله وأنبيائه ورسله. وما زلنا نشير إليها باسمها باعتبارها علم على ما قامت به .

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول مثلاً إن مصر ما زالت موجودة بيننا، وكذلك بابل وغيرها، وإن أصبحت ضمن نسيج آخر يحوى غيرها من المدن داخل منظومة وطنية أو قومية.

هذا الوضع الجديد لم يغير من تاريخها شىء .. وإن تغيرت بعض معالمها بفعل عوامل الزمن وعاديات الطبيعة.

وحين نستعرض سوياً هذه البلدان مجردة مما لحق به من ألفاظ ارتبطت بالوطنية أو القومية، سوف نشعر بالمزيد من الرغبة فى ضرورة أن نقف على دورها فى سياق التاريخ الدينى لرسالات السماء..

وهذه المدن وتلك القرى كما سبق وذكرنا منها مكة أو بكة ويثرب أو المدينة، والإحقاف والحجر وبدر والعقبة وحنين ثم مصر ومدين وسيناء، وسبأ.

ولسوف يكون لنا مع كل من هذه البلدان وقفة تطول أو تقصر حسبما يتوافر لدينا بخصوصها من معلومات تاريخية وجغرافية ودينية. إضافة إلى إبراز ما جاء

بشأنها فى القرآن الكريم من آيات وسور بينات، وذلك من أجل تحقيق المنهج الذى ارتضيناه سوياً من قبل.

ولقد توقفنا كثيراً مع العقل والنفس أمام كيفية استعراضنا لهذه البلدان، وهل يتم ذلك وفق منهج الموسوعات والمعاجم اللغوية التى تعتمد فى عرض موادها على طريقة الحروف الهجائية أم نلجأ إلى بيان أهمية المكان الذى يحتوى على هذه البلدان ودورة فى رسالات الأنبياء؟! أم نلجأ إلى طرق أخرى ترتبط سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بالتقسيمات الجغرافية المتعارف عليها حالياً؟! أو بارتباطها بالتسلسل التاريخى للأحداث التى شهدتها معظم هذه البلدان؟ إن هذه الأسئلة قد أوقعتنا فى حيرة لأن، الهدف من وراء ما نقوم به هو تقديم هذه الأماكن ودورها ومواقفها وما جاء بشأنها فى كتاب الله بصرف النظر عن التمسك بالقواعد المرعية فى مثل هذه الأحوال والخاصة بالعمل فى الموسوعات العلمية أو اللغوية.

وربما سوف نلجأ فى بعض الأحيان إلى الاعتماد على الحروف الهجائية فى عرضنا لهذه الأماكن وما جاء بشأنها فى كتاب الله باعتبارها أماكن مشهورة نود إلقاء الأضواء المبهرة عليها.

وبشكل عام فإن طريقة عرضنا لمادة هذه الأوراق سوف تحددها اعتبارات كثيرة. حتى أن المتابع لنا ربما لن يلحظ استخدامنا للحروف الهجائية التى سوف نلجأ إليها لأنها سرعان ما تذوب فى طريقة الكتابة التى تعتمد فى الأساس على سرد أكبر قدر من المعلومات المتاحة عن هذه الأماكن سواء تاريخيا أو جغرافياً أو حتى دينياً، مضاف إليها أو مستهل بها حديث القرآن الكريم وآياته وسوره الشريفة.

وإليكم البداية المختارة وفق منهجنا السابق الإشارة إليه.

** بدر: وأولى المعارك الإسلامية:

لقد رأينا من قبل الإشارة إلى موقع هذا المكان وأهميته التاريخية والجغرافية ضرورة أن نعرف الشيء اليسير عن وجوده فى القرآن الكريم وفى أى السور والآيات جاء ذكره؟

ومما لاحظناه فى هذا السياق أن بدر كمكان مشهور فى كتاب الله قد جاء ذكره فى

آية واحدة فى سورة آل عمران وفى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ الآية (١٢٣).

كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم والذى أصدره مجمع اللغة العربية فى مادة حرف «الدال» عن بدر: إن بدراً هى موضع قرب المدينة .. قامت فيه معركة بين المسلمين وكفار مكة عقب الهجرة وقد نصر الله فيها المسلمون على قلتهم» (١)

أما من حيث ما جاء فى الموسوعات التاريخية عن بدر ففيه كلام كثير ومن بين ما جاء ذكره فى هذا الشأن قولهم : إن بدراً هى أولى غزوات النبىﷺ؛ وتعرف باسم بدر الكبرى. وبدر اسم لواد وبئر يقع بالقرب من المدينة جرت عندها موقعة بين المسلمين من النازلين بالمدينة بعد هجرتهم إليها وبين قريش من أهل مكة الذين كانوا يكيدون للمسلمين ويصادرون أموالهم ويقطعون عليهم الطريق، فرد المسلمون على خطتهم هذه بالإغارة على قافلة لأبى سفيان، عائدة من الشام، فدعا ذلك إلى شن الحرب بينهما لأول مرة وذلك فى يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة (الموافق ١٣ مارس ٦٢٤م). وكان عدد المسلمين حينئذ ٣١٣ رجلاً والمشركين ٩٥٠.

وبدأ القتال فى هذه المعركة بمبارزة فردية اشترك فيها من جانب المسلمين حمزة بن عبد المطلب عم النبىﷺ وعلى ابن أبى طالب فقتلا غريمهما. وهناك من المؤرخين الذين أكدوا أن هذه المبارزة شارك فيها فى البداية أربعة من المسلمين وأربعة من المشركين ثم التقى الجمعان، وقد استمرت المعركة إلى آخر النهار حين انسحبت قريش بعد هزيمتها. وأسفرت بدر عن مقتل أبى جهل وأمية بن خلف من زعماء قريش وأسْر سبعين آخرين.

وأضافت تلك الموسوعات أن بدراً شهدت أيضاً الغزوة الأولى والمعروفة تاريخياً باسم غزوة صفوان وهى التى وقعت فى شهر ربيع الأول عندما خرج رسول الله ﷺ لطلب أحد المشركين ويدعى كرز بن جابر الفهرى ومعه لواء يحمله على بن أبى طالب (٢).

(١) معجم ألفاظ القرآن ج (١) - من الهمزة إلى الياء.

(٢) محمد رسول الله - محمد رضا.

أما المقصود بوادى بدر وهو المكان الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم فهو أرض معركة بدر الكبرى السابق الإشارة إليها.

هذا وقد حرص العديد من المؤرخين على الكتابة عن وادى بدر ومعركته الشهيرة كما حرص عدد آخر منهم على زيارة هذا الوادى وكان من بين هؤلاء الدكتور محمد حسين هيكل الذى كتب عنه يقول: إن بدراً كانت من قبل ظهور الإسلام إحدى مواسم العرب الذين يذهبون إليها ويحتفلون خلال تواجدهم فيها بنحر الذبائح وشرب الخمور، كما كانت كذلك سوقاً من أسواق العرب فى الجاهلية.

وحين يُذكر وادى بدر ومعركته الشهيرة كان لا بد وأن نتذكر كذلك ما عُرف عن مكان العدوة القصوى والعدوة الدنيا، ثم مكان التقاء الجمعين ومقابر شهداء بدر ومكان دفن المشركين فى القليب، ذلك المكان الذى وقف أمامه رسول اللهﷺ يتحدث إلى موتى هؤلاء المشركين.. كما جاء فى كتب السيرة النبوية، ثم مكان العريش الذى إقيم لرسول الله آنذاك ومكان الماء الذى تجمع حوله المسلمون فى بدر من قبل أن تبدأ المعركة.

وفى رحلته إلى كل هذه الأماكن التى ارتبطت ببدر قدم لنا الدكتور محمد حسين هيكل وصفاً دقيقاً لها بدى فى قوله: إن القليب الذى دفن به المشركون يقع بين العدوة القصوى وبين قبور الشهداء.. والعدوة القصوى المقصودة فى أحداث بدر هى إذن هذه الهضبة القائمة هناك فى الطرف المقابل إلى حيث تقوم زاوية السنوسى، أما العدوة الدنيا فتقع بين زاوية السنوسى وقبور الشهداء، وتقوم على مقربة من هذه العدوة الدنيا هضبة أشار إليها دليلنا وقال: هذا قوز على.. وسألت ما القوز، فقال: إنه الجبل القليل الارتفاع، وأن هذا الجبل هو الذى رأى علىّ رضى الله عنه المشركون وأخبر النبىّ بهم، وأما العريش الذى بناه المسلمون لرسول اللهﷺ، ففى مكانه الآن مسجد يسمى مسجد العريش (١).

(١) فى منزل الوحى – د. محمد حسين هيكل.

** بابل إحدى بلاد السحر القديم:

من المدن القـديمة التى أشار إليـها القـرآن الكريم، مـدينة بابل بالعراق باعـتبـارها كانت إحدى قلاع السحر فى هذا الزمـن القديم، وجاء ذكرها فى كتاب الله فى الآية (١٠٢) فى سـورة البـقرة وفى قـوله تعـالى: ﴿ومـا أُنزل عَلى الْملَكَيْنِ بِبـابِل هارُوتَ وماروتَ﴾.

وتقول كتب التاريخ والجغرافـيا عن هذا المكان: إن بابل هى مدينة قديمة تقع على شـاطئ نهر الـفرات وعلى مسـافة ١٦٠كم جنـوب شرق بغـداد، وكـانت حاضـرة الساسانيين وهـم حكام الفرس. كما قامت بهذه المدينة الدولة البابلية. وكان من أشهر حكامـها «حـمورابى» ، وفـيهـا ظهر كل مـن هاروت وماروت اللذين علمـا الناس السحر بها.

ويبدو أن هؤلاء السـحرة قد أقامـوا بها مبان عـجيبة عـرفت على مر الزمن باسـم إحدى عجائب الدنيا السبع وكانت مبان معلقة ومشهورة.. وتعرف بابل كذلك باسـم أرض الكلدانيين، حيث تقول إحـدى الموسوعات المعارفية: إنها كـانت تحتل ضفاف نهـر دجلة والفرات حـيث العراق حـاليـاً.. ويجاورها من الشـمال بلاد الآشـوريين الذين دخلوا مع بابل فى نزاع وحـروب انتهت باستيـلاء الآشوريين عليهـا فى القرن الثانى ق.م. وبذلك تحـولت إلى ولاية أشورية، إلا أنه فى عام ٦٢٥ ق.م ظهـر زعيم بابلى يدعى «نابويـد لاسر» وأعلن اسـتـقلال بلاده، ثم خـلفه ابنه «بخـتنصـر» الذى أصبح أعظم ملوك الشرق حيث امتدت فتوحاته إلى الشام وفلسطين.

ومن ثم قضى على دولة الإسرائيليين وأحرق مـعابدهم وبعثهم أسرى إلى بابل، ولم يفك أسر هؤلاء اليهود داخل هذه المدينة إلا استيـلاء الفرس عليها بقيادة ملكهم كورش فى عام ٥٣٨ ق.م.

ونحن نقرأ فى التاريخ كثيراً عما سمى آنذاك بالأسر البابلى الخاص بهؤلاء اليهود الذين أخذهم بختنصر إلى بلاده بعدما استولى على مملكتهم، أورشليم بفلسطين .

وعلى أية حال فـما زالت مدينة بابـل قائمة إلى اليـوم بجوار مدينة الحلة الحـديثة بالعـراق، وكـانـت فى الماضى من أغنى وأفـخم عـواصم دول الشرق القـديم، ولقـد ضربوا بها الأمثال فى الفخامة والبذخ حتى قيل إن خرابها كان بسبب إسراف أهلها، كما اشتـهرت بابل كذلك بحدائقهـا المعلقة التى اعتبرها المؤرخون، إحـدى عجائب الدنيا السبع وهى تنسب إلى الملكة «سميراميس» زوجة الملك بختنصر قاهر اليهود.

** الأحقاف ومساكن قوم عاد:

حين يأتى ذكـر الأحقاف، لا بد وأن نتـذكر على الفـور نبى الله هود عليـه السلام وقومه من قبـيلة عاد، ذلك لأن الأحقاف كمكان أو أماكن مشـهورة ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز قد ارتبطت بشـدة بأحداث رسالة هذا النبى الكريم، والذى بعثه رب العالمين لهداية قوم عاد الذين اتخذوا منازلهم داخل الجبال، ظناً منهم أن هذه المساكن القـوية العاليـة شديـدة البأس يمكن أن تحـميـهم من عـذاب الله إذ هم عصـوا نبيـهم وخرجوا عن الطريق المستقيم.

ولا شك أنه فى ذكر هذه القصة وارتباطها بأماكن شديدة البأس والقوة والمنعة فيه عبر عظـيمة، إذ لـم تغن عنهم هذه البيـوت من الله شيئاً .. ومما يشـير إليه الجغـرافيون والمؤرخون أيضاً وفى هذا السيـاق أن الأحقاف كانت جزءًا أصيـلاً من منطقة الحجر .. تلك المنطقـة التى أقام بهـا فيـما بعـد قوم ثمود.. وهى كـذلك المكان الذى شـهد نهايتهم حين دعى عليهم كل من هود وصالح عليهما السلام.

أما بالنسبة لهذا المكان المشهور فى كتـاب الله فقد جاء ذكره فى سورة كاملة تحمل اسم الأحقـاف ورقمهـا فى المصحف الشريف ٤٦ ضـمن الجزء السادس والعـشرين وهناك بعض الجغـرفيين الذين حاولوا تحديد الموقع الجـغرافى للأخقاف، فـقالوا إنها كانت توجـد فى شمال حـضرموت، وكانت تشـتهر بالقـصور والأماكن المرتفـعة.. وكان يسكنها قوم ـ كما ذكر لنا ذلك الإمام الراحل الدكـتور عبد الحليم محمود ـ قد كفروا بالله وبرسوله. ولـم يستجيبوا لهذه النعم ولا لتـهديد نبيهم، إذا استمروا يتبعون أهواءهم فـأخـذوا يبـنون على الروابى والمرتفـعـات قـصوراً كـانـت آيات فى الفن

ويصنعون من أدوات الزينة والترف كل ما تهفوا إليه النزعات وتتطلبه الأهواء [١].

غير ذلك فقد أفرد لنا القرآن الكريم حديثا مستفيضاً كما يقول الدكتور أحمد شلبي عن مساكن قوم عاد وأحوالهم وجسامة أبدانهم وقوتهم وخصب الحياة عندهم وتمسكهم بالكفر والعصيان.[٢]

إن الله تعالى قد ذكر الأحقاف وأحوال أهلها فى سورة الأحقاف وفى قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ (الآية ٢١).

والحقف فى اللغة هو المعوج من الرمل، وليس بالضرورة أن يقتصر إطلاق هذا الاسم على المنطقة الموجودة إلى الشمال الشرقى من مدينة حضرموت، شرق عدن، بل من الممكن أن يطلق هذا الاسم على أى مكان به رمل عظيم. [٣]

ورغم أن هناك اتفاق على مكان الأحقاف جغرافيا.. وهو كما ذكرنا بالقرب من مدينة حضرموت.. إلا أن هناك بعض المصادر التى رأت أن هذا المكان يوجد شمال غرب شبة الجزيرة العربية وفى الجزء المجاور لشرق سيناء. ومع الأرجح يوجد بالفعل فى الشمال الشرقى إلى حضرموت بدليل وجود قبر نبى الله هود عليه السلام فى هذه المنطقة.

** الحجر.. وثمود قوم صالح:

فى كتاب الله العزيز جاء ذكر ثمود مرادفاً أو تابعاً لذكر عاد وذلك كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ الأعراف:(٧٤).

هذا الترادف جعل بعض المفسرين يربطون بين هاتين القبيلتين وجعلوا بينهما أبناء عمومة أو نبوة.

ويؤكد الدكتور رشدى البدراوى أن كلمة خلفاء لا تعنى أبداً وبالضرورة النبوة، ورغم أن عاد وثمود أولاد عم ولكن قبيلة ثمود عاشت إلى ما بعد هلاك عاد، فهم من ناحية الزمن قد خلفوهم وأصبحوا خلفاء لهم.

(١) مع الأنبياء والرسل – د. عبد الحليم محمود.
(٢) مع أنبياء الله – د. أحمد شلبى.
(٣) قصص الأنبياء والتاريخ – ج (١) د. رشدى البدراوى.

والدكتور البدراوى يناقش هذا النسب لأن البعض من المفسرين قد وجدوا هذه القرابة مبرراً للقول بأن الأحقاف مكان عاد تقع فى الشمال الغربى للجزيرة العربية. مع أن الحجر وفق الإجماع وهو مكان إقامة قوم ثمود يقع بين الحجاز وتبوك فى الشمال الغربى للجزيرة العربية شرق خليج العقبة عند اتصاله بالبحر الأحمر.

ومما يؤكد وجود الحجر المقصود فى هذه الآية والمرتبط بقوم ثمود ما ذكره الإمام أحمد عندما قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا صخر بن جريرة بن نافع بن عمر قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس وهو ذاهب إلى تبوك فى سنة تسعة من الهجرة نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا لها القدور، فأمرهم النبىّ ﷺ فأحرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم النبىّ حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال رسول الله ﷺ : «إنى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم».

وفى موضع آخر قال الإمام أحمد أيضاً: «حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن أبى الزبير عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت (يعنى الناقة) ترد من هذا الفج وتصدر فى هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم.

إذن هذه الأحاديث تؤكد أن الرسول الكريم قد مر بها وهو فى طريقه إلى غزوة تبوك، ولذلك فهى فى المكان القريب من مدائن صالح.

ولذلك ووفق إجماع المفسرين والشراح وكتاب السيرة.. فإن أصحاب الحجر هم قوم ثمود أو قوم صالح، وأنهم كذلك أصحاب الناقة.. الذين شملهم العذاب بعدما عقروها رغم تحذير نبيهم صالح لهم بألا يفعلوا ذلك، وكان جزاؤهم أن أخذتهم الصيحة مصبحين فهلكوا جميعاً.. إلا نبيهم الكريم، وبعض أتباعه من الذين آمنوا بالله العظيم واستجابوا بدعوته.

ولقد حاول الكثير من المفسرين والمؤرخين الحديث بالتفصيل عن ذلك الحجر

ومكان قوم ثمود. فقالوا بخلاف ما ذكرناه آنفاً ووفق ما سجله الدكتور أحمد شلبى أيضاً: أن مساكن ثمود بالحجر كانت بين الحجاز والشام، كما كانت ممتدة إلى وادى القرى ومدائن صالح التى ما زالت معروفة إلى اليوم.. كما أن ديار بنى ثمود تعرف كذلك باسم ديار فج الناقة.

وذكر المسعودى إن حجر ثمود فى الجنوب الشرقى من أرض مدين وهى موازية لخليج العقبة من ناحيته الشرقية، كما ذكروا فى السياق نفسه أن قوم أصحاب الحجر قد دمرهم الله تعالى بالصاعقة وهى الرجفة أو الصيحة وهى البرق الشديد والصوت المرتفع والهزات التى تفوق هزات الزلزال (١) .

وعلى أية حال فإن الحجر كمكان مشهور فى كتاب الله قد جاء ذكره فى سورة الحجر الآية رقم (٨٠) وفى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

** سبأ.. ومأرب.. والملكة الحاكمة:

وأيضاً .. اكتشفنا ومن خلال متابعة متأينة لما جاء فى القرآن الكريم بشأن سبأ.. وجود نوع من التلازم سواء فى اللفظ أو فى المعنى بين هذا المكان وبين كل من مأرب وتلك المرأة التى حكمت هذه البلاد فى أيام نبى الله سليمان عليه السلام.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم القصة بكل تفاصيلها فى سورة النمل، مشيراً فى السياق نفسه إلى دور أحد الطيور فى اكتشاف سبأ والمرأة التى كانت تحكم أهلها آنذاك، والمدونة تاريخياً باسم الملكة بلقيس.. أو ملكة سبأ ومأرب، التى كان قومها يسجدون للشمس من دون الله، واتباعها وإياهم ذلك الشيطان الذى زين لها ولهم أعمالهم مما ساهم فى خروجهم عن طريق الإيمان، الأمر الذى دعى نبى الله سليمان عليه السلام بأن يطلب ممن كانوا حوله ضرورة استطلاع أحوالهم من أجل دعوتهم للهداية وعبادة رب العالمين. وما كان من أمر ذلك العبد الصالح الذى كان عنده علم من الكتاب والذى أحضرها وعرشها إلى حيث كان يقيم سليمان عليه السلام فى فلسطين من أجل تأكيد دعوتها إلى رب العالمين.

---

(١) د. أحمد شلبى – مصدر سابق.

ولعل ذلك يبدو بوضوح فى قوله تعالى فى سورة النمل : ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)﴾ (سورة النمل: ٣٨ - ٤٠) .

هذا وكما ذكرنا فإنه جانب فقط من جوانب قصة هذه المرأة التى أسلمت لرب العالمين حين استقدمها سليمان عليه السلام، أما الجانب الآخر فيتعلق بالمكان نفسه وهو مملكة سبأ وما ارتبط به من أماكن أخرى مثل مأرب، وهو ذلك السد المشهور فى التاريخ.

ويؤكد المؤرخون أن كلمة سبأ كمكان مشهور فى كتاب الله قد اشتق اسمه من قبيلة بن ريان، والتى كانت تحكمها الملكة بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان والتى ورثت الحكم عن أبيها. (١)

وسبأ هذه فى الأصل وكما يشير بذلك شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى هو اسم لسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم صار هذا الاسم بعد ذلك اسماً لحى من الناس أو اسماً لقبيلة أو لمدينة تعرف بمأرب باليمن.. بينها وبين صنعاء العاصمة.. مسيرة ثلاث ليالى.

فى حين أورد لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم والذى أخرجه مجمع اللغة العربية فى جزئه الأول أن كلمة سبأ تدل على دولة ذات حضارة قديمة فى شرق اليمن، وفى المنطقة المعروفة الآن بمأرب. هذه الحضارة عاشت أزهى عصورها فى القرن العاشر قبل الميلاد وباسمها توجد سورة فى القرآن الكريم تعرضت لشىء من تاريخها وحضارتها.

لقد ذكر القرآن الكريم كلمة سبأ كدليل على هذا المكان المشهور فى كتاب الله فى سورتين الأولى فى سورة النمل الآية (٢٢) والثانية فى سورة سبأ الآية (١٥) .

(١) القصة فى القرآن - ج (١) د. محمد سيد طنطاوى.

وحين تحدث ابن كثير عن سبأ كمكان مشهور فى القرآن الكريم قال نقلا عن الثعالبى: أن قوم اليمن كان لهم ملك فلما مات ملكوا عليهم رجلاً فعم الفساد فتزوجته بنت الملك السابق (بلقيس) ولكنه ظل فى فساده فقتلته فملكها الناس عليهم.

ويُروى أن قوله ﷺ «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». يرتبط بهذه الملكة، أما قوله تعالى : ﴿وأتيت من كل شئ ولها عرش عظيم﴾فإنه يوضح أيضاً صور الجلال والعظمة لهذه الملكة وما كان من شأن سريرها الذى قيل إنه كان مزخرفاً بأنواع من الجواهر واللالئ والذهب والحلى الباهر، فإذا ما كان هذا هو حال قصرها وسريرها فما بالنا بالمدينة التى أسستها وأقامت فيها تلك الأُبهة والمعروفة بسبأ. إنها مدينة وفى تصورنا لم نأخذ حظها من البحث التاريخى أو التنقيب أثرياً، بدليل وجود أثر عظيم لا يزال يتردد صداه على ألسنة المؤرخين والرواة وهو سد مأرب الكبير وتلك القرية أو المدينة التى شُيد بها. فقد كانت تتمتع بأعظم نعمة وهبها الله للإنسان من خلال ذلك السد الكبير الذى كان مصدر خير وبركة ونماء على أهلها.

وهناك حكايات اقتربت كثيراً من الخيال حيال الحديث عن هذا السد الذى دمره رب العالمين إنتقاماً من هؤلاء الذين كفروا بالنعم وانحازوا فى غيهم إلى الشياطين بدلاً من عبادة الله الكريم باعتباره إله واحد لا شريك له، بل وكانوا كذلك يعبدون الشمس من دون الله.

ووفق ما جاء فى القرآن الكريم فقد آمنت ملكتهم بلقيس بعد رحلتها المشهورة إلى القدس للقاء نبى الله سليمان عليه السلام . وبالتالى أقرت بوحدانية الله .

وهناك من المصادر التى أكدت أن سليمان عليه السلام قد تزوج من هذه الملكة بعدما أعلنت إسلامها وإيمانها بالله وتركها عبادة الشمس .. ويقول بعض المؤرخين أن سيل العرم الذى دمر سد مأرب ربما هاجم هذه القرية بعد ما توفيت هذه الملكة وعودة أهلها من جديد إلى عبادة الشيطان من دون الله.

وهناك فريق آخر من هؤلاء المؤرخين الذين حين تحدثوا عن سبأ، وأشاروا فيما قالوه إلى أن أصل أهل سبأ هم من الذين سكنوا اليمن مؤكدين فى هذا السياق على أن هؤلاء السبئيين أصلهم من نسل قحطان من الذين نزلوا أرض اليمن وأقاموا هناك بجوار قبيلة بنى معن، ثم اختلطوا بهم وبغيرهم من أهل الجزيرة العربية.. كما اقتبسوا اللغة العربية.

ولقد استمر هؤلاء السبئيون فى حكم اليمن حتى عام ١١٥ق.م حتى ضعفت تجارتهم. عندئذ بدأ فرع آخر من قبيلة سبأ يظهر فى الوجود وهم المعروفون تاريخياً باسم ريدان.. هؤلاء السبئيون الذين كانوا يسكنون إلى الجنوب من سبأ والذين اتخذوا من مدينة ظفار عاصمة لهم كان ملكهم يدعى ملك سبأ وريدان، ولما تداعى سد مأرب انتقل ثقل الحكم إلى الجنوب وسمى بذلك ملك سبأ وريدان وحضرموت. [١]

** سيناء أرض الديانات السماوية:

كما هو معروف فى تاريخ الديانات البشرية فإن أرض سيناء كانت بالفعل الأرض التى شهدت جانباً من أحداث الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية.. بل وكانت هى نفسها تلك الأرض التى زارها بل وأقام بها هؤلاء الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام..

من هنا جاء تكريمها فى كتاب الله بذكرها بالاسم صراحة تارة وتلميحاً تارة أخرى.. وكلنا نعرف أيضاً أن أرض سيناء هى تلك الأرض التى احتضنت الديانة اليهودية فى طورها الأول والأخير وحتى من قبل أن تنتقل إلى فلسطين .. وهناك من يقول بأن كل من موسى عليه السلام وأخيه هارون قدماتا فوق هذه الأرض الطيبة، بل ودفنا فوق رمالها.. كما أنها شهدت فترة عقاب بنى إسرائيل الذين حكم الله عليهم بالتيه فى صحرائها مدة أربعين عاماً عقاباً لهم على عصيانهم لنبيهم وتحولهم إلى عبادة الأصنام من دون الله.

---

(١) أنبياء من إسرائيل –ج ٥ – د. رشدى البدراوى.

وأما بالنسبة للديانة المسيحية فقد شهدت أرض سيناء مقدم كل من عيسى عليه السلام وأمه فراراً من اضطهاد اليهود والرومان آنذاك فى أرض فلسطين. وقد هداهما الله إلى هذه الأرض الطيبة كى تكون معبراً آمناً أوصلهم إلى أرض مصر التى عاشا بها لسنوات ثم عادا من جديد إلى أرض فلسطين، وكان عبورها فى هذه المرة أيضاً من فوق أرض سيناء .. ثم أتاها رسولنا الكريم ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج وقد أمره أمير الوحى جبريل عليه السلام أن ينزل كى يصلى ركعتين فى الموقع الذى كلم الله فيه موسى تكليماً.

ومما لا شك فيه فإن أعظم تكريم لهذه البقعة الطاهرة من أرض مصر..قد جاء عندما شهدت تجلى رب العالمين وإبتداء الوحى بكلماته تعالى التى تلقاها نبيه الكليم موسى عليه السلام. ثم ذلك الجبل الذى تجلى فوقه نور الله فتصدع وانهار.

إن أرض سيناء قد حملت وما زالت تحمل فى جنباتها أسراراً كثيرة ومتنوعة فيما يخص البشرية وتاريخ الأديان. ولقد ذكرها رب العالمين كما سبق وذكرنا صراحة فى كتابه العزيز فى قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ الآية (٢٠) فى سورة المؤمنون .. كما ذكرها رب العالمين كذلك بالتلميح فى قوله فى سورة التين ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾.

ولقد حفل الطور أو جبل الطور باهتمام بالغ من جانب القرآن الكريم خاصة فى علاقته بقصة موسى عليه السلام، ولسوف نفرد له حديثاً خاصاً فى كُتب قادمة عند الحديث المفصل عن علاقة أنبياء الله بالأماكن المشهورة .

ومما لا شك فيه أن هناك عشرات الكتب القديمة والحديثة التى تناولت بالتفصيل الحديث عن أرض سيناء وثرواتها وخيراتها وتاريخها، وما كان من أمرها وأمر من ارتبطوا أو مروا بها، ومما قاله البعض فى هذا السياق أن اسم سيناء قد يكون مشتقاً من كلمة «سين» إله القمر الذى كان يعبده البدو فى تلال سيناء [١].

(١) قصص الأنبياء والتاريخ ج (٤) - د. رشدى البدراوى.

** العقبة .. مكان البيعتين:

ذكر لنا كتاب الله العزيز العقبة كمكان مشهور فى القرآن الكريم فى آيتين فى سورة البلد، الآية (١١) فى قوله تعالى ﴿وهديناه النجدين (١٠) فلا اقتحم العقبة(١١)﴾ وفى الآية (١٢) فى قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما العقبة (١٢) فك رقبة﴾.

وعندما لجأنا إلى التفسير بخصوص هاتين الآيتين بحثاً عن موقع هذه الكلمة وهل المقصود بها مكان بعينه أو غير ذلك.. وجدنا أن عالماً جليلاً مثل الدكتور أحمد شوقى إبراهيم يخبرنا فى كتابه الجديد : «فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم».. أن الاقتحام فى اللغة فى هذه الآية يعنى الدخول بشدة فى الأمر كما تعنى الطريق الوعر فى الجبل (١).

ويبدو أن أهل مكة فى بداية دخول الإسلام أو من قبله بسنوات قليلة قد اتخذوا العقبة اسماً للدلالة على مكان بعينه.. اتسم بالوعورة والصعوبة .. خاصة لارتباطه بالجبال المحيطة آنذاك بالبلد الأمين .. بدليل أن هذا المكان قد اشتهر فى تاريخ الإسلام لأنه شهد ثلاث وقائع تاريخية مهمة اثنتان منهما كان لهما أكبر الأثر فى نشر دين الله خارج مكة، بل وكانا البداية الساخنة نحو انطلاق هذا الدين ليس خارج مكة وحدها، بل وخارج الجزيرة العربية كلها.. الواقعة الأولى وهى بيعة العقبة الأولى.. إذ تم فى هذا المكان لقاء رسول الله ﷺ بوفد من الأوس والخزرج من أهل يثرب حيث عرض عليهم الإسلام.. فتأثروا به وحملوه داخل أنفسهم عندما رجعوا إلى أهليهم فى يثرب.

ويقول المؤرخون إن موقع العقبة هو على يسار القاصد منى من مكة .. وقد شهد هذا المكان ذاته توقيع بيعة العقبة الثانية أو بيعة النساء، والتى على إثرها بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن بن هاشم إلى المدينة كى يعلم أهلها القرآن والإسلام.

وبعد توقيع هذه الاتفاقية فى العقبة الثانية، انطلق بعدها الإسلام حيث وجد طريقاً جديداً للانتشار داخل المدينة المنورة والتى أخذت مكانة ما كان يسمى قبلها بيثرب.

---

(١) فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم – ج الثلاثون جزء عم – د. أحمد شوقى إبراهيم.

وبخلاف هذين الحادثين الهامين كان هناك حادث ثالث سبقهما ألا وهو ما ارتبط بحادث ذبح إسماعيل عليه السلام، عندما انطلق به أبوه إبراهيم أبو الأنبياء ناحية الجبل من أجل أن ينفذ مشيئة الله والتى تجلت له فى رؤيا جاءته عدة مرات. ولقد شهدت العقبة آنذاك واقعة رجم إبراهيم عليه السلام للشيطان الذى أراد أن يفسد على هذا النبى مهمته المقدسة، وقد ظلت شعيرة رجم الشيطان منذ ذلك التاريخ قائمة إلى يومنا هذا.. وهى المعروفة فى شعيرة الحج باسم جمرة العقبة الصغرى.

ولا يزال مكان هذه العقبة موجوداً حتى اليوم والحجيج يقفون عندها كل عام من أجل تذكر حادث هذا الذبيح وما كان من أمر ذلك الشيطان تجاه إبراهيم عليه السلام . كما أنهم يشاركون هم أيضا فى هذه المناسبة فى رجم الشيطان وفى نفس المكان الذى شهد كل هذه الأحداث.

ونظراً لأهمية هذا المكان فى الإسلام وارتباطه بأحد شعائر الحج فقد اهتم بالحديث عنه الكثير من المؤرخين خاصة فى سياق حديثهم عن الحج وشعائره، ولقد أجمعوا تقريباً على أن العقبة إنما هى مجرد شق يقع بين مكة ومنى، وفيه التقى رسول الله ﷺ بوفد يثرب الذين عرض عليهم الإسلام، ثم جاءوا مرة أخرى وكان عددهم فى هذه المرة ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين .. حيث طالبهم رسول الله ﷺ بأن يبايعوه بيعة النساء، وهى البيعة التى أشار إليها القرآن الكريم فى سورة الممتحنة والتى تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾ ويبدو تيمناً بهذا الاسم العظيم.. فقد أطلق أهل فلسطين والشام على أحد مدنهم اسم العقبة.. وربما يكون سبب هذه التسمية مرتبطاً كذلك بالصعوبة والوعورة الخاصة به. سواء كانت وعورة صخرية أو مائية .

** مكة.. ذلك البلد الحرام:

رغم أن مكة ، ذلك البلد الحرام والذى استوعب فوق أرضه أعظم قصص وتاريخ الديانات فى العالم منذ وطأت رمالها أقدام إبراهيم الخليل عليه السلام، وزوجته هاجر، وحتى ظهور نبى الرحمة محمد عليه الصلاة والسلام، فإن القرآن الكريم لم يذكرها إلا مرة واحدة باسم مكة وذلك فى سورة الفتح الآية (٢٤) وفى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾.

ويكفى هذا البلد شرفا أن عاش فيه نبى الله إبراهيم ثم أعقبه ابنه إسماعيل والذى جاء من ذريته سيد الخلق أجمعين محمد رسول الله.

ومنذ أن دبت أواصر الحياة فى جسد ورمال هذه البقعة الطاهرة على إثر تفجر ماء زمزم، فقد تحولت إلى منطقة جذب لكثير من قبائل العرب الذين استوطنوها وأقاموا فيها، وعمروها إلى اليوم.

وهناك العشرات من المؤرخين ومن علماء الجغرافيا الذين أخضعوا دراساتهم العلمية والعملية والأكاديمية لدراسة هذا المكان الأمين من كافة الجوانب، ليس هذا فقط، بل لقد استأثر هذا المكان بنصيب الأسد فى دراسات الأديان خاصة السيرة النبوية وتاريخ الإسلام وظهوره، ذلك لأن مكة قد شهدت أولاً مولد رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ثم إقامة عشيرته وأسرته من قبل هجرته ، وشَهدت كذلك انبعاث نور نبوءته وتجلى جبريل عليه السّلام على هذه الأرض الطيبة، هذا بخلاف وجود الكعبة المشرفة والحرم المكى الشريف والذى له تاريخ طويل وناصع وعظيم.

ولا شك يرتبط بهذا المكان الأمين كل عام قلوب ملايين المسلمين فى كل بقاع الأرض من الذين يعيشون على أمل زيارته إما معتمرين أو حاجين وكلهم يمنون أنفسهم بهذه الزيارة التى يشتاق إليها قلب كل مسلم. كما يمنون أنفسهم بزيارة ما حولها من أماكن ارتبطت برسالة الإسلام وظهوره وما أقيم بها من مساجد وأماكن عبادة شهدت جهود الصحابة من الذين جاهدوا من أجل نشر هذا الدين الحنيف.

إضافة إلى ذلك هناك ما حول مكة من أماكن أخرى شهدت كذلك إرهاصات هذا الدين الحنيف وبدايات ظهوره مثل غار حراء فى جبل النور وغار ثور فى جبل ثور ، وطريق الهجرة ومكان الخندق. وأول مسجد أقيم فى الإسلام.

إن هذا البلد الأمين قد حظى بما لم يحظ به بلد آخر من الدراسات الميدانية والاكاديمية، الدينية والعلمية، ولسوف يظل كذلك لأنه يرتبط بأعظم رسالة سماوية ألا وهو دين الإسلام.. ومن المعروف أن مكة جاءت فى كتاب الله أيضا باسم بكة.

** مدين.. شعيب وموسى عليهما السلام:

هذا المكان الأمين الطاهر والمعروف باسم مدين، شهد خلافاً كبيراً ولا يزال هذا الخلاف قائماً إلى اليوم.. وذلك بشأن النبى الكريم الذى ظهر فى هذا المكان لهداية

قومه ودعوتهم إلى عبادة الله بدلاً من عبادة الشيطان، ألا وهو نبى الله شعيب والذى بعثه الله تعالى لأهل مدين هادياً لهم وبشراً ونذيراً!.

ويشتد هذا الخلاف أكثر حين تأتى سيرة نبى الله موسى عليه السلام والذى جاء إلى مدين هرباً من بطش فرعون. إلا أن هناك من أراد من المؤرخين التوفيق بين هذين الفريقين المختلفين مثل ابن كثير فيما كتبه فى قصص الأنبياء حيث أورد الرأيين المخالفين ونراه فيما كتب قد رجح الرأى القائل بأن الشيخ الذى لجأ إليه موسى عليه السلام حين هروبه من مصر، لم يكن هو شعيب النبى الكريم الذى بعثه الله لهداية قومه ، وفى توفيقه لهذ ا الخلاف قال ابن كثير إن صاحب موسى هو ابن أخ شعيب النبى وأنه سماه باسمه. (١)

ويعتبر الدكتور أحمد شلبى من المؤرخين المعارضين لرؤية البعض والتى تقول إن شعيب النبى هو ذلك الشيخ الذى لجأ إليه موسى عليه السلام وتزوج من إحدى ابنتيه. وهو يقول فى ذلك إن الدراسات الدينية والتاريخية أثبتت أن شعيب النبى ليس من بنى إسرائيل، ذلك لأنه لم يرد له ذكر فى سفر التكوين الذى ذكر كل شىء عن إبراهيم عليه السلام وذريته إسحاق ويعقوب وأولاده، وليس شعيب هو ذلك الشيخ الذى لجأ إليه موسى عندما فر من المصريين.

ويستند الدكتور شلبى فى ذلك على أن القرآن الكريم لم يذكر اسم شعيب عند الكلام عن هذا الشيخ الذى لجأ إليه موسى عليه السلام.

وعلى أية حال فلن ندخل أنفسنا فى بيان تفاصيل أكثر عن هذا الخلاف لأن ما يعنينا فى المقام الأول هو الحديث عن مدين كمكان أمين جاء ذكره فى كتاب الله تعالى.

ويؤكد الدكتور أحمد شلبى فى سياق حديثه عن مكان مدين أنه كان يوجد فى أطراف الجزيرة العربية على مقربة من الشام على امتداد خليج العقبة، ولما كان موقعه فى طريق التجارة العربية الصاعدة والهابطة فقد اشتغل أهلها بالتجارة واتجهوا لتطفيف الميزان رغبة فى الإسراع فى الربح كما كانوا يهددون المارة إلا إذا دفعوا لهم

(١) أنبياء الله – د. أحمد شلبى – مصدر سابق.

إتاوة، لذلك بعث الله لهم نبيهم شعيباً من أجل إرشادهم إلى طريق الله المستقيم، ولكنهم عصوه فنالهم الجزاء المبين.

وهناك رأى يستحق التوقف عنده أورده لنا الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى الذى ذكر أن مدين فى الأصل اسم لقبيلة تنتسب إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام. وكانوا يسكنون فى المنطقة التى تعرف باسم معان بين حدود الحجاز والشام.

وأضاف : إنهم أيضاً كانوا أصحاب الأيكة، وهى منطقة مليئة بالأشجار كانت مجاورة لقرية معان وكان يسكنها بعض الناس فأرسل الله شعيباً إليهم جميعاً. ولذلك يقول المؤرخون إن نبى الله شعيب قد أرسل رسولاً إلى أمتين إلى أهل مدين الذين أهلكوا بالصيحة وإلى أصحاب الأيكة الذين أخذهم الله بعذاب يوم الظلة.

بقى أن نذكر فى هذا السياق ما جاء فى كتاب الله بشأن هذا المكان المشهور.. فقد ذُكرت مدين عشر مرات فى سور: الأعراف الآية (٨٥) والتوبة الآية (٧٠) وهود الآية (٨٤و٩٥) وطه الآية (٤٠) والحج الآية (٤٤) والقصص الآيات (٢٢ و٢٣ و٤٥) والعنكبوت الآية (٣٦).. معنى ذلك أن مدين جاء ذكرها فى ٥ سور قرآنية وعشر آيات ، لأنه تكرر ذكرها مرتين فى سورة هود وثلاث مرات فى سورة القصص.

وما نريد أن نوضحه هنا أن مدين حين جاء ذكرها فى كتاب الله.. ارتبطت بكل من شعيب وموسى علهما السلام وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ الآية (٨٥) من سورة الأعراف.

وجاء ذكر شعيب فيما يخص مدين ٥ مرات، كما جاء ذكر موسى عليه السلام فيما يخص مدين أيضاً ٥ مرات .

والحقيقة أننا فيما اطلعنا عليه من مصادر لم نستطع أن نتوصل إلى كون مدين التى ظهر بها شعيب عليه السلام هى نفسها مدين التى لجأ إليها موسى عليه السلام؟! وبالتالى فقد أضيف إلى خلاف العلماء والمؤرخين خلاف آخر حول ماهية هذا المكان وهل هو الذى ارتبط بكل من النبى شعيب وموسى عليهما السلام ؟! أم أنهما مكانين مختلفين، وفى تصورنا أنهما مكان واحد مع اختلاف الشخصية وكذلك الزمان.

** مصر .. تحية من الله وتقدير:

حظيت مصر بتقدير خاص فوق صفحات كتاب الله العزيز وفى العديد من السور والآيات الكريم، وذلك من خلال ارتباطها كمكان مشهور فى تاريخ الديانات السماوية بأكثر من نبى ورسول كريم. بدءاً من إبراهيم عليه السلام ومروراً بأحفاده يعقوب ويوسف وموسى وعيسى، هؤلاء الأنبياء الذين شرفوا هذه الأرض الطيبة سواء بالإقامة بها أو كممر للعبور إلى أماكن أخرى.

ومن أشهر ما أشار إليه القرآن الكريم بخصوص مصر كأرض طيبة وكمكان مشهور ما جاء بشأنها فى قصة يوسف وموسى عليهما السلام، وهناك من المفسرين الذين رأوا فيما ذكره القرآن الكريم عن مصر نوعين من التكريم، الأول لمصر كبلد خلقه الله وميزه بميزات كثيرة، والثانى كحضارة .. أيضاً تميزت بخصوصيات غير مسبوقة.

وفى ذلك يقول الدكتور أحمد صبحى منصور أن مصر التى ذكرت فى سياق قصة يوسف عليه السلام كان لها معنيين .. الأول معنى الوطن الذى يعيش فيه المصريون والثانى هو معنى المدينة المتحضرة. (١)

وعندما نقرأ كتاب الله تعالى نكتشف أن اسم مصر قد جاء ذكره خمس مرات فى ٤ سور شريفة.. هى سورة يونس الآية (٧٨) ويوسف فى الآيتين (٢١ و ٩٩) ثم الزخرف فى الآية (٥١) وفى سورة البقرة فى الآية (٦١). وما جاء ذكره بشأن مصر الوطن أو الحضارة إنما تضمن حديثاً على جانب كبير من الأهمية فيما يخص قصة يوسف وإخوته وأبيه، ثم موسى وقومه من بنى إسرائيل وفرعون وهامان وجنودهما.

ولقد كرم القرآن الكريم مصر، ليس فقط بوصفها كوطن أو كبلد متحضر، بل أضاف إليها كما يقول الدكتور أحمد صبحى منصور وصف الأرض.. حيث عاشت الدولة فيها قوية مهابة فى عصور طويلة موغلة فى القدم وخصوصاً عصر الرعامسة الذى شهد قصة موسى. (٢) ولقد تجلى ذلك فى قول الله تعالى ﴿إن فرعون علا فى الأرض﴾ - ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض﴾..

(١) مصر فى القرآن الكريم - د. أحمد صبحى منصور.

(٢) المصدر السابق.

هذا فى قصة موسى عليه السلام .. وجاء نفس المعنى فى قصة يوسف عليه السلام وفى قوله تعالى : ﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض﴾ - وفى قوله تعالى أيضاً : ﴿إجعلنى على خزائن الأرض﴾.

ولقد تعرض القرآن الكريم للتاريخ المصرى فى مرحلتين مهمتين، إحداهما مرحلة الحكم المصرى الأصيل والثانية مرحلة الحكم الوافد، ففى قصة يوسف كان الهكسوس يحكمون مصر وفى قصة موسى كان الفرعون ممثلاً لمصر والمصريين، وفى هاتين القصتين، حين يأتى ذكر مصر كان لا بد من أن نذكر وفق ما جاء بالقرآن الكريم.. عزيز مصر الذى اشترى يوسف عليه السلام، وكذلك فرعون موسى الذى استضافه في بيته وهو صغير وما كان من أمره معه حين كبر وكُلِّف بالرسالة السماوية مع أخيه هارون. والقرآن الكريم وكل كتب التاريخ تحدثت بالتفاصيل عن هاتين الشخصيتين إضافة إلى الحديث عن امرأة ذلك العزيز التى احتلت جزءاً مهماً من قصة يوسف، وكذ لك امرأة فرعون التى آمنت بالله رب العالمين خلافاً لما كان عليه الفرعون من شرك، وألوهية مزعومة كان يرددها على قومه الذين أطاعوه!!

ولقد ذكر القرآن الكريم كلمة فرعون أربعاً وسبعين مرة، فهو على حد يعتبر الدكتور أحمد صبحى منصور أكثر المشركين نصيباً فى حديث القرآن .

ومثل أى مكان مشهور سواء فى كتاب الله أو فى الواقع، فإن مصر كوطن أو كحضارة ظلت وسوف تظل.. قبلة الدارسين فى كل فروع العلوم الإنسانية. وأخصها علم الآثار الذى لا يزال ينهل من هذه الأرض الطيبة حقائق واكتشافات يسيل لها لعاب كل العلماء والمؤرخين والدارسين فى كل أنحاء العالم .. وهذا تكريم آخر لهذا المكان المشهور فى كتاب الله.

**** يثرب .. مدينة رسول الله:**

نستطيع أن نؤكد فى سياق حديثنا عن هذا البلد الأمين .. أن يثرب ظلت مدينة هامشية، بلا تاريخ حتى هاجر إليها رسول الله ﷺ واتخذها عاصمة للدولة الإسلامية

بعدما غادر بلدته مكة رغماً عنه، وفى ظل ما تعرض له ودعوته من اضطهاد مشركى مكة ومن كانوا حولها آنذاك.

ولقد تقاسمت هذه المدينة مكانتها العظيمة مع مكة بعدما اختارها رب العالمين كى تكون منزلاً للوحى بالقرآن الكريم الذى كان ينزل على رسولنا الكريم، لذلك يرى الكثير من المفسرين أن قرآن الله العظيم فيه ما هو مكى وآخر مدنى من حيث مكان النزول وظهور جبريل عليه السلام فى هذين المكانين المشهورين، وأماكن أخرى كثيرة أشار إليها العديد من المفسرين.

ولقد توصل العديد من المؤرخين إلى القول بأن يثرب مر إنشاؤها بمرحلتين، الأولى من بداية مولدها الغامض تاريخه والذى لا يمكن تحديده بدقة إلى زمن هجرة رسولنا الكريم، أما المرحلة الثانية وهى التى يسمونها بمرحلة الولادة الجديدة والتى تحققت بهجرة الرسول الكريم وتغير اسمها من يثرب إلى المدينة أو مدينة رسول الله وعاصمة الدولة الإسلامية.

واسم يثرب قد أشار إليه كتاب الله الكريم فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..﴾ (الآية: ١٣).

وهناك نصوص من أحاديث نبوية أشارت إلى نهى رسولنا الكريم عن الاستمرار فى استخدام اسم يثرب واستبداله باسم المدينة.

ويقال تاريخياً فى هذا السياق إن اسم يثرب منسوب لرجل من أحفاد نوح عليه السلام وقد يكون ذلك هو مؤسسها الأول، كما يتردد فى كتب التاريخ اسم العماليق كلما ذكرت نشأة يثرب على أنهم أول من سكنوها.

ومن قبل هجرة الرسول الكريم إليها كان سكانها خليط من القبائل العربية واليهودية، وأن من أبرزهم كل من الأوس والخزرج العربيتين وبنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير من اليهود.

وليثرب أو المدينة أسماء كثيرة أخذ فى ترديدها العديد من المؤرخين وذكروها فى كتبهم. فهى دار الهجرة وطيبة والدار وحرم رسول الله والفتح والمحفوظة والجيبة.

ولقد استخرج المفسرون هذه الأسماء من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الطاهرة، ويكفى المدينة شرفاً أن بها مسجد رسول الله ﷺ وكذلك منازله وزوجاته، بل وقبره الشريف وقبور أصحابه سواء من الذين دفنوا بجواره داخل المسجد النبوى أو ممن دفنوا في البقيع.

ولمزيد من التكريم ليثرب أو لمدينة رسول الله فقد جاء ذكرها فى كتاب الله العديد من المرات. ففى سورة الأحزاب الآية (٣) جاء لفظ يثرب .. مرة واحدة فقط، وهى المرة الوحيدة أيضا التى يأتى فيها ذكر يثرب فى القرآن الكريم. وذلك وفق ما أشرنا من قبل.

أما لفظ المدينة كمكان مشهور فى كتاب الله فقد كان له الغلبة من حيث التواجد فى القرآن الكريم، إذ جاء ذكرها أربعة عشر مرة فى السور والآيات التالية: الأعراف (١٢٣) - التوبة - (١٠١ و١٢٠) يوسف (٣٠) - الحجر (٦٧) - الكهف (١٩و٨٢)- النحل (٤٨) - القصص (١٥و١٨و٢٠) - الأحزاب (٦٠)- يس (٦٠)- المنافقون (٨). وعندما أعدنا قراءة هذه السور وما جاء بها من آيات ترتبط بلفظ المدينة اكتشفنا أن المقصود منها بالمدينة المنورة هو ما جاء فى سورة الأعراف الآية (١٢٣) وفى سورة التوبة الآية (١٠١و١٢٠) عندما حدثنا رب العالمين عن الأعراب المنافقين من أهل المدينة - وكذلك ما جاء فى سورة الأحزاب الآية (٦٠) عندما حدثنا رب العزة عن المنافقين والمرجفين فى المدينة. وما جاء فى سورة المنافقون الآية (٨) بشأن إخراج الأعز. من أهلها.

إذن حين نعود للإحصاء لبيان ما جاء من ألفاظ تكريمية عن مدينة رسول الله والتى أصلها «يثرب» فى كتاب الله نكتشف أن ما جاء بشأنها فى القرآن الكريم مرتبط بسور الأعراف والتوبة والأحزاب والمنافقون.. وأن بقية ما جاء فى كتاب الله ومرتبط بلفظ المدينة.. إنما قصد به مدن أخرى.

** حنين : يوم الاختبار الأكبر:

من الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها فى كتاب الله والمتعلقة بإحدى المعارك المعروفة فى تاريخ الإسلام .. منطقة أو وادى حنين.. وهو واد فى طريق الطائف إلى

جنب ذي المجاز، والمسافة بين هذا الوادى وبين مكة مسيرة ٣ ليال. هذه الغزوة أو هذه المعركة هى نفسها تعرف تاريخياً باسم غزوة أوطاس . ومن عجيب ما يرويه التاريخ أن هذه المعركة وقعت بعد نجاح المسلمين بقيادة رسولنا الكريم فى فتح مكة. ذلك الحدث التاريخى المهم والذى كان له أكبر الأثر فى تقوية شوكة الإسلام والمسلمين داخل الجزيرة العربية.

ولقد تحصن المشركون الذين بدأوا هذه المعركة وهم من قبائل أشراف هوازن فى قمم جبال حنين وعند مضيق هذا الوادى.. هؤلاء الذين فكروا فى مهاجمة رسول الله وأتباعه من قبل أن يفكروا هم بمهاجمتهم بعدما نجحوا فى فتح مكة. ويقال إنهم كانوا يستعدون لقتال المسلمين قبل فتحهم مكة وذلك حين سمعوا بخروج رسول الله من المدينة وهم يظنون أنه إنما يريدهم.

وقعت هذه المعركة فى ١٠ شوال سنة ثمان من الهجرة الموافق فبراير عام ٦٣٠م، وربما بعد مضى أسبوعين فقط من فتح مكة. كما يقال إن من أسباب هزيمة المسلمين فى هذه المعركة انشغالهم مثلما حدث فى معركة أحد بجمع الغنائم .

والتاريخ يحكى لنا بعض تفاصيل ما حدث والذى نفهم منه أن جيش المسلمين عندما تجمع عند وادى حنين وتأهب فى الخروج على هؤلاء الأعداء فى غبش الصبح خرج عليهم المشركون الذين كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومن ثم حملوا عليهم فانكشفوا ثم انشغلوا بالغنائم. وعندما اكتشف المشركون انشغال المسلمين بجمع الغنائم استقبلوهم بالسهام فعادوا منهزمين بعد انتصارهم. ولولا ثبات رسولنا الكريم مثلما ثبت من قبل فى معركة أحد لاستكمل المشركون هذا الانتصار. وكان هذا الثبات رحمة من الله تعالى، وعناية من لدنه..

عندئذ فر المشركون بعد ما أعاد المسلمون تنظيم صفوفهم ووقفوا مع النبى الكريم وعمه العبّاس الذى أخذ ينادى على المسلمين من أجل أن يعودوا إلى أرض المعركة: «يا أصحاب السمرة يا معشر الأنصار». وكانت تلك النداءات ذات مفعول عظيم فى إعادة صفوف المسلمين إلى ما كانوا عليه قبل المعركة.. وبالتالى استداروا لملاقاة هؤلاء المشركين الذين ألقى الله فى قلوبهم الرعب فأخذوا ينشدون النجاة بالفرار.

وقـد أسر المسلمـون من أعـدائهم فى حنين حـوالى ٦ آلاف أسيـر و٢٤ ألف من الإبل وأكثر من ٤ آلاف أوقية من الفضة. ثم أخذ المسلمون بعد ذلك يتابعون مطاردة عدوهم حتى خرجوا من وادى حنين.

ولقد أشـار القرآن إلي هذا المكان المشهـور وذلك في قوله تعالى فى سـورة التوبة الآيـة (٢٥) : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾. وكـانت تلك هى الآية الوحـيدة التى أشـارت لنا إلى مكانة وأهمـية حـنين في تاريخ الإسلام وفى الأمـاكن المشهورة.

وبطبيـعة الحـال.. لو أخذنا نفسر كلمات هذه الآية فـسوف نقف على تفـاصيل كثـيرة فيمـا كان عليه المسلمـون الذين غرتهم كثـرتهم وعتادهم ومع ذلك انهـزموا لأنهم انشغلوا عن ذكر الله والتمسك بما أشار عليهم آنذاك رسولنا الكريم.

ولولا أن تدخلت رحمة الله وجنوده التى نراها والتى لا تراها لاستكمل المشركون هزيمة المسلمين . والله تعالى يخـبرنا بذلك فى الآية التى تلت الآية السابقـة وفى قوله تعـالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ الآية (٢٦) من سورة التوبة.

ولكى نعرف مقدار الغرور الذى أصاب المسلمين آنذاك تعالوا نعرف بعض الذى ذكره المؤرخون عن حجم قوة المسلمين فـى هذه المعركة، ومع ذلك فإن هذا العدد لم يساعدهم على الانتـصار.. لقد كانت قوة جيش المسلـمين تبلغ ١٢ ألف مقاتل منهم عـشرة آلاف من الذين جـاءوا من المدينة لفتـح مكة و٢٠٠٠ من الذين أسلموا بعـد الفتح.

هذا العدد جعل صـاحب جليل مثل أبو بكر يقول: «لا نغلب اليـوم من قلة» كما كـان مـع المسلمين ٤٠٠ درع و٣ آلاف رمح. هـذه الأعـداد الكبـيـرة التـى لـم تكن للمـسلمين من قـبل جـعلتـهم فى غـرور وفى عـزة نفس مما كـان له أكـبـر الأثر فى هزيمتهم!



أماكن العبادة وأشهرها

الفصل الثانى

أماكن العبادة وأشهرها

حين يتطرق الحديث سواء المجمل أو المفصل عن ماهية أماكن العبادة المشهورة والتى جاء ذكرها فى القرآن الكريم، لا بد أن يطفو إلى الأذهان.. رغماً أو طواعية كل من المسجدين الحرام والأقصى، باعتبارهما من أقدم أماكن العبادة التى أقيمت فوق سطح الأرض. وكان للملائكة وأنبياء الله المصطفين الأوائل مشاركة مهمة فى إقامتهما، وبوحى من رب العالمين.

وهناك مئات من الكتب والمراجع وكتابات المؤرخين والمفسرين الذين تحدثوا عن هذين المسجدين الشريفين. بل وشاركهما أيضا علماء الآثار والفنون والعمارة والجغرافيا كل فى تخصصه من أجل إخضاعهما للدراسة، وكان ذلك منذ أن عرف الإنسان التدوين.

وبما أننا وفى هذه الأوراق نقدم حصراً شاملاً لكل الأماكن المشهورة فى كتاب الله العزيز، فقد وقع اختيارنا ومن خلال أوراق هذا الفصل على أماكن العبادة التى ذكرها كتاب الله العزيز من أجل أن نعرف بها ونكتشف بعض تاريخها.. وهذا سوف يتطلب منا قراءة متأنية لكل صفحات القرآن الكريم من أجل حصر هذه الأماكن وذكرها، والحديث عنها بالتفصيل المطلوب.

والشىء الطيب الذى قابلناه فى هذا البحث هو أن القرآن الكريم نظراً لعظمته وعظمة ما جاء به قد ذكر لنا كل أماكن العبادة التى تخص الديانات الثلاث.. وهذا دليل واضح على وسطية دين الإسلام واعترافه بما سبقه من أديان سماوية تدعو فقط لعبادة الله الواحد الأحد.. هذه العبادة التى حتماً ولا بد أن تتم داخل هذه الأماكن المطهرة، والتى سميت فى كثير من الأحيان ببيوت الله فى الأرض.

ولقد عرفنا حتى من القراءة الأولى أن هذه الأماكن الطاهرة لا يمكن أن تطأها

الأقدام إلا بعد أن تتطهر من كل دنس وخبث ومكروه، حيث سيقف الإنسان الداخل إليها بين يدى الله رب العالمين. بل وعليه أن يتحدث إلى الله. مما أنزله من كلمات يحفظها كل منا، كما عرفنا كذلك أن لهذه الأماكن تقدير وتقديس خاص واحترام مفروض على الجميع، هذا الاحترام جعل من حق أصحابها الدفاع عنها ضد ما يصيبها من شر وسوء وتدنيس.

وأكثر من ذلك فقد جعل الله تعالى أماكن العبادة الخالصة لله وحده تحفها الملائكة، ويستجاب فيها الدعاء، وينال من يدخلها ثواباً عظيماً فى الدنيا والآخرة، ذلك لأنه يعلم علم اليقين بأنه ذاهب إلى أحدى بيوت الله فى الأرض لعبادته ومناجاته وطلب رحمته ومغفرته ولذلك فلها التقديس والاحترام والمهابة.

ومما لاحظناه حين سمحنا لأنفسنا بجولة بصرية وعقلية داخل كتاب الله الكريم.. أن هذا القرآن العظيم قد أشار إلى أماكن عبادة بعينها وهى التى خصها بالاسم والمكانة والتقديس، فى حين أشار إلى غيرها على أنها أماكن تأخذ صفة العمومية وبدون تحديد لهذا المكان أو لغيره.

ونظراً لما يتصف به دين الإسلام من مصداقية ثبتت على مدى الدهور السابقة، وبالتالى لم يتعرض لأى تعديل أو تبديل مثل غيره من الديانات الأخرى، فقد اهتم القرآن الكريم بأماكن العبادة الإسلامية أكثر من غيرها، وهذا يدل دلالة كبيرة على استمرارية هذا الدين الحنيف وإزدياد أتباعه إلى يوم القيامة، فى مقابل الأديان الأخرى التى تلوثت وتدنست وشوهت، وبالتالى لم يعد من أتباعها إلا القلة التى تتصف بالصدق والأمانة، كما يدل أيضا دلالة واضحة على تنبؤ القرآن الكريم باستمرارية دين الله الحنيف فى قوة ومنعة وسط أهله وأتباعه من الذين يسارعون دوماً إلى دور العبادة لمناجاة رب العالمين وطلب المغفرة وأداء الصلاة فى خشوع وفق ما تعلمناه من رسول الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام.

ولعل من أشهر أماكن العبادة التى ذكرها كتاب الله فى محكم آياته – كل من

الكعبة - المسجد الحرام - المسجد الأقصى - المشعر الحرام - عرفات - الصفا والمروة - مقام إبراهيم - المحراب - الباب - صوامع - صلوات.

ولسوف يكون لنا مع كل مكان من أماكن العبادة المشهورة فى القرآن الكريم وقفة أو وقفات تطول أو تقصر حسبما يتوفر لدينا من معلومات مسبقة لنا ولكم، ونرجو من الله أن يوفقنا فى حالة دخولنا إلى كل هذه الأماكن التى يُعبد بها رب العالمين خاشعين.. بعدما نعرف عنها الشيء المطلوب.

** بيع .. كنائس النصارى:

من المفترض أن بيع كمكان جاء ذكره فى القرآن الكريم إنما يشير إلى مكان عبادة النصارى من أتباع عيسى عليه السلام لله الواحد الأحد، وفق ما أشار إليه ربنا تعالى فى كتابه العزيز من أنه هو الإله الواحد الأحد.. وأن عيسى هو عبد الله.. ولكن وكما نقرأ حتى فى القرآن الكريم نفسه فإن أتباع المسيح عليه السلام قد خرجوا عما جاء به نبيهم الكريم بشأن عبادة الله.. وبأنه رسول الله لهم ولبنى إسرائيل، وقد استبدلوا ذلك بما تصوره هو الحق.

ولقد كشف الله هذا الزيف وحذرهم مما أخذوا يرددونه عن ذات الله العليا وعن نبيهم الكريم عيسى ابن مريم عليه السلام، وللأسف فقد أصروا على ماهم فيه من ضلال وزيف وبالتالى فقد انحرفوا بعباداتهم عن طريق الله.

وحين لجأنا إلى المعاجم اللغوية لمعرفة أصل كلمة «بيع» ومعناها.. وجدنا أن معناها «كنائس» .. وأنه جاء ذكرها كمكان للعبادة بشأن النصارى فى سورة الحج وفى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ (الآية ٤٠) .

والمدقق فى معنى هذه الآية الكريمة يكتشف أنه من رحمة الله على عباده أن تدخلت مشيئته لحماية أهل كل الديانات الثلاث وهم اليهود أصحاب الصوامع والصلوات وأصحاب البيع وهم النصارى ثم أصحاب المساجد وهم أهل الإسلام.. حيث منع الله تعالى كل صاحب دين مع اختلافه حتى مع الله من التعرض لغيره من

أصحاب الديانات الأخرى. ولولا ذلك لتشابك كل منهما مع من يخالفه حتى ربما يصل الأمر إلى هدم هذا المكان والذى من المفترض أن يكون مخصصاً لعبادة الله الواحد الأحد!

ويقول المفسرون أن هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لولا دفع الله الناس﴾، فلولا إبعاد الناس بعضهم عن بعض فيما يخص عقائدهم الدينية لتولت كل فرقة مسئولية تدمير مكان ما يعبدون فيه ربهم بصرف النظر عن صوابهم أو خطأهم، وتلك من رحمة من الله العظيم وسمة من سمات سماحة دين الإسلام الذى يتحدث فيه الكتاب الكريم عن تلك الرحمة.. إذ ترك الله تعالى عقاب الذين ينحرفون بعقائدهم وإيمانهم بالله العزيز .. إلى جلال عظمته وقدرته دون غيره حيث يشاء ومتى يشاء!، وبالتالى فليس للإنسان دخل فى هذه المسألة إلا بالدعوة والموعظة الحسنة. فمن آمن وعرف الحق وعاد إليه فلنفسه ومن رفض فسوف يكون حسابه على الله رب العرش العظيم.

وهنا لابد من التأكيد على عظمة القرآن الكريم وعظمة الله تعالى خالقه وسماحة دين الإسلام. إذ يذكر لنا الله تعالى فى كتابه العزيز «البيع» كمكان عبادة للنصارى رغم ابتعادهم عن الله حتى فى هذه الأماكن وانحرافهم عن الطريق المستقيم، ونجدهم من جانب آخر يختارون كلمة أخرى غير بيع أو بيعة، إذ نراهم يتحدثون كثيراً عن الكنيسة والكنائس، وهو لفظ ربما لم يرد فى أى كتاب مقدس منزل من السماء.

وبما أننا عرفنا لغويًا أن كلمة بيع يقابلها كلمة كنائس، فقد رأينا أن نتوسع فى الحديث عن اللفظ الجديد باعتباره مرادفاً للكلمة المذكورة فى كتاب الله .. وما سوف نذكره هنا إنما يخرج عن دلالات الدين إلى المعرفة الثقافية العامة.

وما نود أن نشير إليه هنا أن لفظ «بيع» كمكان مشهور ويرتبط بأحد أصحاب الديانات إنما جاء فى القرآن الكريم على صفة العموم.. بمعنى أنه ليس هناك بيعة معينة يمكن أن نشير إليها ونقول إنها المقصودة من هذا الحديث. وهى تندرج بذلك تحت بقية ما ذكره لنا كتاب الله عن أماكن العبادة العامة من دون تخصيص باعتبارها

أماكن للعبادة غير مقيدة بحدود زمان أو مكان. وهناك من المؤرخين ومن الدارسين الذين تحدثوا عن أصل كلمة بيع ومصدرها، واللغة التى وجدت بها، ومن هؤلاء القس إكرام لمعى الذى وجد أن لفظ بيع يقابله فى اليونانية لفظ الكنيسة. ومعناه «دعوة الشعب للاجتماع معاً». كما أنها تطلق حالياً على كل الشعب المسيحى فى كل بلاد العالم باختلاف طوائفهم. كذلك هى مرادفة لكلمة شعب الله المختار فى العهد القديم. (١) ويقول أيضاً أن مفهوم إسرائيل فى العهد القديم أصبح يناظره مفهوم الكنيسة فى العهد الجديد.

وهناك رواية تاريخية مشكوك فى صحتها نُسبت لإحدى ملكات الإمبراطورية الرومانية التى تولت تنظيف قبر المسيح بعدما آمنت برسالته حسب زعمهم والموجود حاليا فى بيت لحم، عندما حول اليهود هذا القبر إلى مقلب للقمامة أو الكناسة! وعندما آمنت هذه الإمبرطورة بالديانة المسيحية انتفضت هى ورجالها من أجل تنظيف هذا القبر مما فوقه من كناسة!! ولذلك نرى بعض الدارسين الذين يرجعون لفظ كناس أو كنيسة إلى ما كان من أمر الكناسة فوق هذا القبر المزعوم!!

والشىء المثير للدهشة أن أحداً من الدارسين للديانة المسيحية لم يتناول بشىء من التفاصيل مفهوم البيع وعلاقتها بالكنيسة أو على أنها تعنى الكنيسة. ولقد عثرنا على المعنى المقابل لفظياً له وكما ذكرنا ذلك من قبل فى معجم ألفاظ القرآن الكريم وفى العديد من المعاجم العربية.. ويبدو أن مصدر هذا اللفظ مرتبط بالبيعة أو العهد على السمع والطاعة.

وبدلاً من أن يحدثنا فقهاء النصرانية ومؤرخوها عن «البيع» كما جاء ذكرها فى كتاب الله حدثونا عن الكنيسة والكنائس من حيث نشأتها وأنواعها ودورها الدينى عندهم . ونحن بدورنا سوف نعتبر حديثهم عن الكنائس وكأنهم يقصدون حديث «البيع»، وعلى أية حال فإنها جميعها معلومات لا بد من الوقوف عليها على الأقل من باب العلم بالشىء وليس الجهل به.

(١) الاختراق الصهيونى للمسيحية– القس إكرام لمعى.

أن من الشائع فى العقيدة المسيحية أن هناك ثلاثة مذاهب للكنائس .. هى الكنيسة الكاثوليكية والقبطية الارثوذكسية والكنيسة الإنجيلية.

فى تفسير ذلك أكثر قال المؤرخون: إن الكنيسة الكاثوليكية، هى الكنيسة التى يرأسها بابا الفاتيكان وهى الكنيسة التى بدأت مع اختيار الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية كديانة رسمية لها فى أوائل العصور الوسطى، أما الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، فهى الكنيسة المصرية التى بدأت بالإسكندرية فى مقابل كنيسة روما. وقبطى هنا تعنى مصرى، أما كلمة ارثوذكسى فتعنى مستقيم الرأى . ثم الكنيسة الإنجيلية التى تعتبر الإنجيل هو المرجع الوحيد لها دون تغير أو تقليد، وهى تعود بفكرها إلى المسيح عليه السلام، كما جاءت فى حركة الإصلاح فى القرن السادس عشر والتى أطلق عليها حركة البروتستانت. وهى تعنى المحتجون، نسبة إلى الاحتجاجات التى قادها «مارتن لوثر» قائد الإصلاح ضد الكنيسة الكاثوليكية فى روما. (١)

ومما لا شك فيه أن الدين الإسلامى ورجاله الأولون كانوا أصحاب مواقف مشرفة تجاة أصحاب الديانات الأخرى من الذين أطلق عليهم القرآن الكريم أهل الكتاب سواء أكانوا من اليهود أو من النصارى.

ولقد امتدت هذه المواقف المشرفة والعادلة تجاه كل هؤلاء فيما يخص أماكنهم المقدسة أو أماكن عباداتهم على مدى التاريخ كله.. ففيما يخص النصارى من أتباع المسيح عليه السلام.. فقد تسامح معهم المسلمون منذ الفتح الإسلامى الأول.. وشملوا كل ما يخص حياتهم الدينية بالرعاية وكان على رأس ذلك بطبيعة الحال كنائسهم أو بيعهم.

ولقد اعترف بذلك معظم المؤرخين المسيحيين المنصفين لأنهم استندوا فيما توصلوا إليه إلى وقائع تاريخية حقيقية سجلها أبناء النصارى أنفسهم فى كتاباتهم. والمعروف أن هذه المواقف الطيبة تجاههم وتجاه أماكنهم المقدسة بدأت منذ صدور

(١) الاختراق الصهيونى للمسيحية ـ مرجع سابق.

ذلك العهد الذى وضعه عمر بن الخطاب فى أثناء زيارته التاريخية الأولى لمدينة القدس بعد افتتاحها والاستيلاء عليها.. هذا العهد الذى استمد بنوده مما جاء فى كتاب الله من آيات بينات أوصت المسلمين بأهل الكتاب وذلك وفق ما أنزله رب العالمين في قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وفى قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(العنكبوت: ٤٦).

ويذكر لنا التاريخ فى هذا السياق أيضاً ذلك العهد أو تلك المعاهدة التى وقعها خالد بن الوليد بشأن أهل الكتاب والتى جاء فيها : «أن لا تهدم لهم بيعة ولا كنيسة وعلى أن يخرجوا الصلبان فى أيام عيدهم». [1]

وهذا مثال واحد من بين مئات الأمثلة التى ضربت لنا عبر التاريخ فيما يخص موقف المسلمين والإسلام من أماكن عبادة أهل الديانات الأخرى.

ويؤكد الكثير من المؤرخين حتى النصارى منهم على أن عهود الصلح التى أبرمت بين المسلمين الفاتحين آنذاك وبين أهل تلك البلاد قد نصت على تخصيص أماكن لدور العبادة الخاصة بهم مثل الكنائس والبيع أو بيوت النار إلى جانب ما نصت عليه بألا يتم هدم بيعهم أو كنائسهم داخل المدينة، ولا خارجها . رغم أنه كانت هناك بعض العهود القديمة التى نصت على ألا يحدثوا بناء بيعة ولا كنيسة .

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الشرط إنما شمل المدن الجديدة التى كان ينشئها العرب الفاتحين، مع بقاء حق أهل الكتاب فى أن يبنوا ما تهدم من بيعهم وكنائسهم القديمة.

ويضرب لنا المؤرخون بعض الأمثلة الحيوية على ذلك مثل قولهم بأنه عندما أراد الخليفة عمر بن الخطاب إنزال العرب فى الموصل فى عام ٢٠هـ (٦٤١)م وكان بها

---

(١) الإسلام فى أسيا الصغرى – حسن محمود.

كنائس ومنازل للنصارى وبيع ومحلة لليهود أمر عامله على العراق ابن فرقد السلمى بأن يقيم منازل العرب الجديدة فى أماكن أخرى.[1]

** الباب .. وأصحاب السبت:

قد يعتقد البعض أن المقصود بالباب فى هذه الآية والتى سوف نذكرها حالا لايعنى مكاناً مقدساً يتطلب اختياره هنا كمكان من أماكن العبادة، ولكن هذا الاعتقاد من المؤكد أنه غير سليم بالمرة.. لأنه ارتبط بالسجود.. وهو أمر صادر من رب العزة سبحانه وتعالى.. ولعل ذلك يتجلى فيما جاء بالآية المذكورة والمعنية بذلك والموجودة فى سورة البقرة وفى قوله تعالى: ﴿وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خطاياكُمْ﴾ (الآية: ٥٨).

ونحن نشير إلى ذلك لأن بعض المفسرين تصوروا أن الباب فى هذه الآية إنما يعنى باب مدينة أريحا التى دخلها بنو إسرائيل من بعد فترة التيه التى قضوها فى صحراء سيناء لمدة أربعين عاماً.

وتصوروا كذلك فيما ذكروه أن الله تعالى قد أمر بنى إسرائيل بأن يسجدوا خارج باب تلك المدينة أو هذه القرية التى ساعدهم فى دخولها رغم ما تصوروه من مشكلات وصعاب، وهم قد رفضوا من قبل دخولها، فكان جزاؤهم أن تاهوا فى سيناء كل هذه الفترة الطويلة من الزمن.

ومن أصحاب هذا الرأى الإمام ابن كثير الذى قال فى تفسيره لهذه الآية : أن بنى إسرائيل لما خرجوا من التيه بعد أربعين عاماً مع يوشع بن نون وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح، ولما فتحوها أمروا بأن يدخلوا باب البلد سجداً شكراً لله تعالى على ما أنعم عليهم به من الفتح والنصر وانقاذهم من التيه والضلال.[2]

ويضيف: أنه لما امتنع بنو إسرائيل عن تنفيذ أوامر الله فى السجود أنزل الله عليهم عذاباً من السماء بسبب فسقهم وظلمهم.

(١) معاملة غير المسلمين فى الدول الإسلامية - د. نريمان عبد الكريم أحمد.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩٨ .

ورأينا فى هذه القصة أن المقصود بالباب هنا هو باب أحد أماكن العبادة والذى أمرهم الله تعالى ببنائه فور دخولهم هذه الأرض المقدسة، ذلك لأن بنى إسرائيل ظلوا بعيدين عن ربهم طوال هذه الفترة وهم يعيشون فى عذاب الغربة داخل أرض سيناء.. وقد نسوا أو تناسوا التوراة حتى جاءهم أحد قادتهم الذى تولى شئونهم بعد وفاة نبيهم موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون الذى زحف بهم ناحية قرية أريحا.. وكان من المفترض أن يبنى هؤلاء القوم مكاناً لعبادة الله رب العالمين يسجدون فيه شكراً له على هذه النعم، ولكنهم أيضاً لم يفعلوا ذلك ولم يدخلوا من باب هذا المعبد لذكر الله وشكره على نعمه.

من هنا نعتبرنا نحن أن الباب المذكور فى هذه الآية إنما هو إشارة لأحد أماكن العبادة المذكورة فى القرآن الكريم، وليس باب القرية.. ذلك لأن الإسلام هو دين الله الوحيد الذى جعل الله تعالى لأتباعه وكما قال رسولنا الكريم كل الأرض مساجد لنا وبالتالى فهم وحدهم المصرح لهم بالسجود إلى الله فى أى مكان فى الأرض سواء على سبيل الشكر أو العبادة.

وهناك من المفسرين الذين توسعوا فى حديثهم عن الباب وما ارتبط به فى كتاب الله، ومن هؤلاء الإمام الدامغانى فى كتابه الوجوه والنظائر.. والذى تحدث فيه تفصيلاً عن كل ما ارتبط بالباب كلفظ جاء ذكره فى كتاب الله، ومما قاله فى هذا الشأن: أن كلمة باب ذكرت فى القرآن الكريم على سبعة أوجه، وهى المنزل ،والسكة والباب بعينه، والدرب، والمدخل والمخرج، ومستفتح الأمر والطريق.

وجاء لفظ الباب فى الآية الكريمة: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ فى الوجه الثالث والمعنى به الباب بعينه، والإمام الدامغانى ورغم ذلك لم يبين لنا فيما ذكره المقصد الحقيقى بالباب، وهل هو باب القرية أم باب المعبد أو المسجد الذى يجب أن يسجد فيه بنو إسرائيل لله تعالى، شكراً على إتمامه رحلة دخولهم أرض فلسطين، ولذلك يظل ما توصلنا إليه فى هذا السياق هو الأكثر توفيقاً.. لأن الله تعالى قد أمر بنى

إسرائيل فور دخولهم هذه الأرض المقدسة بأن يسارعوا إلى بناء معبد لهم على أن يدخلوه سجداً لعبادة رب العالمين، ولشكره على نعمه الكثيرة عليهم إذ أخرجهم من الصحراء والخوف إلى الحضر والطمأنينة.

وربما يقترب مما ذهبنا إليه باعتبار الباب أحد أماكن العبادة المذكورة فى كتاب الله. ما ذهب إليه أيضاً ابن جرير الطبرى فى تفسيره للآية ذاتها.. حيث قال : أما الباب الذى أمروا له أن يدخلوه فإنه قيل: هو باب الحطة من مدينة بيت المقدس.

** صلوات.. أماكن عبادة اليهود:

ذكر معجم ألفاظ القرآن الكريم فى جزئه الأول أن كلمة صلوات إنما تعنى أماكن الصلاة عند اليهود.. وجاء ذكر هذه الكلمة كمكان عبادة مشهور فى كتاب الله فى الآية (٤٠) من سورة الحج، وفى قوله تعالى ﴿بِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ . وربما يقترب هذا المعنى اللغوى مما سبق وذكرناه عن كلمة الباب التى أمر الله تعالى عباده من بنى إسرائيل أن يسجدوا داخلين هذا الباب، وهو باب مكان عبادتهم لله تعالى.

ولقد ذكرها كتاب الوجوه والنظائر .. فى حديثه عن تفسير كلمة الصلاة فقال مؤلفه أن معناها بيوت الصلاة، وهى خاصة ببنى إسرائيل.. لأن الله تعالى قد ذكر بعدها أماكن عبادة المسلمين فى قوله تعالى وفى نفس الآية ﴿وَمَسَاجِدُ﴾، وهذا يعنى فى المقام الأول أن الله تعالى قد أمر كل عباده من أتباع وأصحاب كل الملل والنحل والديانات على اختلافها بأن يسجدوا لله تعالى سجود يقين واعتبار وإيمان بوحدانيته وقوته وكرمه بصرف النظر عن المكان أو تسميته والذى يختلف حتماً من لغة إلى أخرى ما بين كنائس وبيع وصلوات وصوامع ومساجد.

ولكن وللأسف فقد تغير كل شيء فى عالمنا الحديث حتى المسميات والهدف منها حتى أصبحنا نسمع كلمات ارتبطت بالدين اليهودى فيما يخص العبادات بما أسموه بالمعبد اليهودى!! وفيه طقوس لا تمت بصلة لا للسجود وللركوع ولا لعبادة الله من

أصله، وبقى دين الإسلام قويًا فيما نادى به وتمسك أصحابه بأماكن عبادتهم التى أمرهم بها رب العالمين، حيث مساجدهم التى هى بيوت الله فى الأرض.

ولسوف نتعرف كذلك فى سياق الحديث عن أماكن العبادة المذكورة فى كتاب الله على أماكن أخرى .. جاء ذكرها فى كتاب الله .. وهى تخص أهل الديانات من غير دين الإسلام ألا وهى الصوامع.

** الصوامع.. والرهبنة المرفوضة:

لقد لاحظنا أن من أكثر أماكن العبادة التى ارتبطت بتاريخ بنى إسرائيل وكذلك تاريخ بعض طوائف النصارى. هو ما نسميه بالصوامع، وهى كلمة جاء ذكرها كذلك ضمن ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز عن أماكن العبادة لدى أصحاب كل الديانات، وذلك فى سورة الحج الآية (٤٠)، ولكن كتاب التفسير المختصر لابن جرير الطبرى ذكر فى تفسيره لهذه الآية والتى جاء فيها ذكر صوامع أن المقصود بها هنا: صوامع الرهبان من دون أن يحدد لنا لأى دين كانوا ينتمون.

وفى السيرة النبوية الشريفة جاء ذكر رهبان النصارى وبنى إسرائيل كثيراً خاصة من الذين كانوا يقيمون على أطراف بلاد الشام.. وكانت قوافل العرب التجارية التى كان يصاحبهم فيها رسول الله ﷺ وهو فى صباه أو فى شبابه وقبل مبعثه تقابل هؤلاء الرهبان الذين اتخذوا من هذه الصوامع أماكن عبادة لهم.

وكلنا يعرف قصة كل من الراهب بحيرا، والر اهب ورقة بن نوفل .. ويبدو أن ما سمى بالصوامع كمكان خاص لعبادة الله.. قد انتقل من اليهودية إلى المسيحية مع انتقال صفة الرهبنة إلى رجال الدين لديهم، وهناك من يقول إن الرهبنة ولجوء رجال الدين فى الإقامة فى هذه الصوامع خاصة داخل الصحارى أو الأماكن البعيدة عن العمران.. إنما نشأ بسبب ما كان يلاقيه هؤلاء من صنوف الاضطهاد.. من جانب حاكم بلادهم على اختلاف مشاربهم .

وفى تعريفهم للصومعة قال علماء اللغة: إنها تعنى كل بناء متصمع الرأس أى متلاصقة، والأصمع اللاصقة أذنه برأسه، ويقول الدكتور محمد إبراهيم الفيومى فى

كتابه الشهير «تاريخ الفكر الدينى الجاهلى» إن لفظى الصوامع والبيع هما من الألفاظ التى استعملها الجاهليون للدلالة على مواضع العبادة عند النصارى، بل وذهب بعضهم إلى القول بأن البيعة من الألفاظ المعربة وقد أُخذت من السريانية.

وكما نفهم من سياق حديث المفسرين لكلمة صوامع كمكان للعبادة فإنها ارتبطت وطوال مسار التاريخ بالرهبان والرهبنة - بدليل ما جاء فى كتب السيرة النبوية عن كل من الراهب بحيرا والراهب نسطور وورقة بن نوفل ، وكان كل منهم يعيش داخل صومعة على أطراف الحضر.. وإلى الداخل من الصحراء..

ويبدو كذلك أن كلمة صومعة قد تغيرت كمفهوم لفظى فى العصر الحديث إلى لفظ دير.. وجمعها أديرة، لأن هذه الأماكن قد ارتبطت كذلك بإقامة هؤلاء الرهبان من الذين اتجهوا إلى الغلو فى دينهم . الأمر الذى جعل الإسلام ومن خلال كتاب الله، وسنة نبيه الكريم أن ينهى عن تلك الرهبنة، وهناك العديد من آيات الله الكريمة فى القرآن الكريم وكذلك من الأحاديث النبوية التى أشارت إلى ذلك كله.

**** مساجد .. للمسلمين فقط:**

كنا قد أشرنا من قبل إلى أماكن العبادة لأصحاب الديانات غير الإسلامية وهى التى أشار إليها رب العالمين فى كتابه العزيز ما بين بيع وصوامع وصلوات . ونتوقف عند النوع الرابع من أنواع هذه الأماكن لأصحاب الديانات. وقد خص الله تعالى عباده من أتباع دين الإسلام بمكان خاص بهم. وهو المسجد أو المساجد.. هذا المكان جاء فى هذه الآية بشكل عمومى، ثم جاء بشكل متخصص فى آيات أخرى وهو ما سوف نشير إليه أيضاً من خلال السطور القادمة.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه من تخصيص رب العالمين للفظ المسجد أو المساجد لأتباع دين الإسلام وحدهم دون غيرهم. أن الله تعالى قد ذكر المساجد كلفظ عام يدل على مكان عبادة المسلمين فى ٤ سور كريمات هى الكهف فى الآية (٢١) والبقرة فى الآيتين (١١٤ و١٨٧) وفى سورة التوبة فى الآيتين (١٧و١٨). وكذلك فى سورة الجن الآية (١٨).

أما مـا جاء في سورة الحج فـإنما فيه إشارة لـلمساجد ضـمن أماكن عبـادة أخرى لأتباع ديانات أخرى.

ليس ذلك فـقط .. بل إن الله تـعالـى وتكريماً منه لأتبـاع دين الإسـلام فـقـد ذكـر المسجد مفرداً أو مقروناً بأماكن بعينها فى سورة البقرة الآيات (١٤٤ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٩١ - ١٩٦ - ٢١٧)، ثم ســـورة المائدة الآيـة (٢) والأعـــراف (٢٩، ٣١)، والأنفـال الآية (٣٤) والتوبة الآية (٧،١٩،٢٨،١٠٨)، والإسـراء الآيتين (١، ٧) ثم الحج الآية(٢٥) والفتح الآيتين (٢٥ ، ٢٧) والتوبة الآية (١٠٧).

إضافة إلى ذلك فقد ذكر لنا القرآن الكريم آيات وسـور كثيرة أخرى عن السجود والساجـدين، وهم ألئك الذين يخلصون عـبادتهم لله تعالى، وقـد ظهر أثر ذلك على وجوهم مما يدل على تفانيهم فى السجود لله والخضوع لعظمته.

والمسـاجد هنا فى مـعناها العـام تعنى أماكن الـسجـود.. أى المكان الذى يختـاره الإنسان كى يسـجد فيه بهـامته خاشـعاً لله رب العالمين. ولقد خـصص الله تعالى هذه الأماكن للمسلمين فيما نسميه بالمساجد أو الجوامع.

بل وأكثر من ذلك فقد رخص الله للمسلمين وفق قول رسولنا الكريم كل الأرض كى تكون مـواضع للسجـود لأتباع دين الإسـلام دون سـواهم من أتبـاع الديانات الأخـرى، ولقـد بين رسـولنا الكريم ذلك فى قـوله الشـريف «وجـعلت لى الأرض مسجداً».

وهذا معناه أن هذه خـصوصية تفـرد بها رسولنا الكريم عن غـيره من رسل الله.. وقد انتقلت تـلك الخصوصية إلى أتبـاعه عليه الصلاة والسـلام.. إذ يحق للمسلمين بأن يسجدوا لله فى أى مكان فى الأرض بشرط أن يكون طاهراً.

ولقد ذكـرنا من قبل أن الله تعالى قد عـمم الحديث عن المساجـد، فى آيات وسور كثيـرة ثم أعقبه بتـخصيص تلك المساجـد للمسلمين، بدليل إشارته تعالـى فى كتابه العزيز.. وفى أكـثر من آية وسورة إلى مسـاجد بعينها فى الأرض والتى من أشـهرها كل من المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ليس ذلك فقط، بل أن الله تعالى قد خص أتباع دين الإسلام بطقوس معينة ارتبطت بالسجود والركوع وهو ما نسميه الصلاة بأركانها.

هذه الصلاة هي أول الأعمال التي سوف يحاسب عليها العبد حين الوقوف بين يدي الله يوم الحساب.. فإذا ما صلحت هذه الصلاة قبولاً من رب العالمين لأدائها وفق ما أخبرنا به رسولنا الكريم وتعلمناه عنها منه، فقد صلحت كل أعمال العبد، وبالتالى فقد فاز بالجنة.

ومن يقرأ الكتب السماوية الأخرى حتى من بعد تحريفها أو من قبل ذلك لن يجد حديثا عظيماً ومهماً عن الصلاة والمساجد والسجود إلا فى شريعة الإسلام.

** الصفا والمروة من شعائر الله:

حين يأتى الحديث المفصل عن كل من الصفا والمروة كأماكن عبادة لله تعالى .. وفق ما جاء فى كتاب الله العزيز، لا بد لنا وأن نتوقف كثيراً ومعتبرين أمام قصة سيدنا، إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته السيدة هاجر وابنه إسماعيل عليهما السلام. وذلك لأن الصفا والمروة وكما نعرف هما جبلين فى مكة المكرمة، لم يكن لهما اسم أو وجود أو اعتبار أو قيمة من قبل هجرة رسول الله إبراهيم الخليل وزوجته هاجر إلى تلك البقعة المباركة من أرض الله.

لقد كان كل من الصفا والمروة من قبل قدوم هذه الأسرة الشريفة، مجرد حجارة جبلية مثلها فى ذلك مثل غيرها مما كان يحيط بالبلد الأمين، ولكن نظراً لارتباطهما بقصة هاجر عليها السلام وابنها إسماعيل بعد ما تركهما إبراهيم عليه السلام بدون زاد أو ماء، فقد إزدادت قيمتهما بل وتحولا إلى أحد شعائر دين الله ومكانين للعبادة والدعاء.

ومن قبل الخوض فى بعض ما قيل بشأن الصفا والمروة وارتباطهما بأسرة هذا النبى الكريم. نسوق ما ارتبط بهما من آيات فى كتاب الله تعالى.. حيث قال ربنا تعالى فى سورة البقرة وفى الآية (١٥٨): ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

وما نود أن نشير إليه كذلك فى سياق الحديث عن الصفا والمروة وقصة إبراهيم الخليل وأسرته الصغيرة المكونة من هاجر وإسماعيل أن هذين الجبلين ارتبطا كذلك بالبئر المبارك الذى تفجرت منه المياه تحت قدمى إسماعيل عليه السلام ألا وهو بئر زمزم.

ويقول المؤرخون فى تفاصيل كثيرة نذكر بعضها عن قصة هذين الجبلين وما ارتبط بهما من قصص أخرى: أن إبراهيم عليه السلام جاء بزوجته هاجر المصرية وهى تحمل ابنها الرضيع إسماعيل، ووضعهما فى مكان بالقرب من بئر زمزم الحالى.. وترك لها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم اتجه إبراهيم عائداً إلى فلسطين من حيث جاء، فنادته أم إسماعيل متسائلة أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى، فلم يلتفت إليها إبراهيم، فسألته: آلله أمرك بهذا؟!

فأجاب :نعم.

قالت: إذن لن يضيعنا.

وبعد أيام نفد الطعام .. والماء .. وجف تبعا لذلك لبن أم إسماعيل مما جعل إسماعيل يبكى، عندئذ أخذت أمه تتردد بين الصفا والمروة لعلها تجد من يساعدها أو يمدها بالطعام والشراب، وكان ترددها بين الصفا والمروة سبع مرات.، ولذلك يسعى الحجاج سبع مرات كذلك، ولما أتمت السابعة ظهر لها ملك فى صورة طائر نقر الأرض فأنبثق منها الماء، وفى رواية أخرى أن الماء قد انبثق عند رجل إسماعيل التى كان يدق بها الأرض وهو يبكى. (١)

وفى شعائر الحج يسمى الصفا والمروة باسم المسعى.. و هناك من الكتب التاريخية وكتب العمارة التى تناولت ذلك المسعى بالتفاصيل المطلوبة والتى سوف ننقل منها بعض الذى يناسب هذه المساحة الصغيرة.

ففى الكتاب المصور «الكعبة المعظمة - الحرمان الشريفان - عمارة وتاريخاً».. يقول مؤلفه عبد الله محمد أمين كردى : إن جبل الصفا يقع أسفل جبل أبى قبيس مما

(١) مدن إسلامية مقدسة - د. أحمد شلبي.

يقابل ركن الحجر الأسود من الكعبة ومنه يبدأ السعى.. أما المروة فهو واقع جهة المسعى وإليها ينتهى السعى، وجبلها يقع فى أصل جبل قعيقان.

ويضيف: إن السعى بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التى أوجبها رب العالمين فى محله المخصوص ولا يجوز العدول عنه. لذلك فهو عمل تعبدى ولا نقاش فى علته.

ويتناول المؤلف كذلك مراحل تطور هذا المسعى منذ عهد رسولنا الكريم ﷺ وإلى اليوم. فقد كان على عهد رسولنا الكريم عريضا.. ثم بنيت بعض الدور بعد ذلك فى بعض عرض المسعى القديم وقد هدمها المهدى وأدخل بعضها فى المسجد الحرام وترك البعض الآخر للسعى .

كما كان فى بداية الأمر فوق الصفا والمروة درج بلغ ١٢ درجة على الصفا و١٥ درجة على المروة، وقد شهد هذا المسعى تطويراً عظيماً فى عصر الأسرة السعودية حتى صار ما آل إليه حالياً ويشاهده كل الحجيج الذين من الواجب عليهم المرور عليه باعتباره من أركان الحج . وكما نعرف فإن الصفا والمروة يدخل الآن فى إطار المسجد الحرام ومكوناته الأخرى مثل بئر زمزم ومقام إبراهيم.

** جبل عرفات .. تمام الحج:

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز وفى سورة البقرة: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ (الآية: ١٩٨) ، ولقد جعل رسولنا الكريم الوقوف على جبل عرفات من تمام الحج – وبدون هذا الوقوف لا يكون الحج متمماً. وهناك من الروايات التاريخية التى تناولت بالتفصيل الحديث عن جبل عرفات كمكان نعبد فيه الله رب العالمين وكذلك تاريخ ارتباطه بأحداث دينية بعينها.

هذه الروايات جعلت من هذا الجبل من أشهر الأماكن المقدسة التى يجب أن يزورها ويرتبط بها المسلمون فى كل بقاع الأرض .

ولقد سبقهم إلى ذلك العشرات من الرسل ومن الملائكة الكرام الذين شرفوا هذا المكان الطاهر الأمين، ومن أوائل هؤلاء الأنبياء والرسل سيدنا آدم عليه السلام.. الذى يقال أنه وبوحى من رب العالمين حين نزل من الجنة إلى الأرض هو وزوجته

فافترقا.. وظل يبحث عنها إلى أن عثر عليها عند جبل عرفات! كما يقال بالنسبة لهذا النبى الكريم أن اسم جبل عرفات قد اشتق من كلمة عرف أو عرفت التى جاءت على لسان آدم عليه السلام.. حين علمته الملائكة شعائر الحج فوق هذا الجبل عندئذ قال: عرفت أو عرف.

وبخلاف ذلك فهناك من المؤرخين الذين يؤكدون بالفعل أن آدم عليه السلام قد حج إلى هذا الجبل بعد بناء الكعبة على غرار البيت المعمور وقد رأى الملائكة وهم يطوفون حوله فى السماء السابعة ومن قبل هبوطه إلى الأرض.

وينقل لنا شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود الأقوال التى تتردد بشأن هذه التسمية فيقول عن ذلك : يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة.. وعرفات هو المكان المرتفع المنبسط على بعد ١٢ ميلاً من مكة، وهو موقف الحجاج فى ذلك اليوم، وهو اسم فى لفظ جمع، وسمى بذلك لأن آدم وحواء تعارفا به، أو لقول جبريل لإبراهيم عليه السلام لما علمه المناسك: أعرفت ، فقال: عرفت، أو لأنه مقدس معظمه أو طيبا حيث تؤكد كلمة عرفت أن معناها طيب، إذا العرف هو الطيب ومن أخص ما يروى فى سبب هذه التسمية أنه لتعرف العباد وتقربهم إلى الله بالعبادات والأدعية.(١)

كما يؤكد إمام الدعاة الشيخ محمد متولى الشعراوى.. ما يقصد بعرفة أو عرفات.. وأسباب هذه التسمية فنراه يقول عن ذلك: كلمة عرفة أصبحت الآن علماً.. ولكن لسبب تسميتها أكثر من قصة. فقد قيل إن آدم وحواء حينما هبطا من الجنة امتثالاً لأمر الله هبط آدم فى مكان وحواء فى مكان آخر، وظل كلاهما يبحث عن الآخر حتى تلاقيا فى هذا المكان فسمى عرفه. والحديث عن آدم وحواء ولقائهما فى عرفة يقتضى إيضاحاً.. فلك أن تتصور حال آدم ، وقد هبط فى عالم واسع غريب بمفرده.. ينظر حوله فلا يجد بشراً مثله، فإذا رأى بشراً فيقابله باشتياق شديد، ومن هنا فرق الله بين آدم وحواء. ليبحث كل منهما عن الآخر بحب واشتياق، فإذا التقيا تمسك كل منهما بالآخر .(٢)

---

(١) الحج إلى بيت الله الحرام – د. عبد الحليم محمود.

(٢) الحج المبرور – محمد متولى الشعراوى.

وفى قول آخر للشعراوى: أن آدم قالت له الملائكة بعد أن نزل إلى الأرض فى هذا المكان اعترف بذنبك وتب إلى ربك.. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾سورة الأعراف الآية (٢٣).ويكون المعنى أنه عرف ذنبه وعرف كيف يتوب.

كما يرتبط هذا المكان أيضاً بنبى الله إبراهيم عليه السلام.. وقد عرفه الله مكان عرفه.. وذلك حين رأى إبراهيم عليه السلام فى الرؤيا أنه يذبح ابنه إسماعيل، وهى مسألة شاقة على النفس لأنه ابنه الوحيد ولأنه سيذبحه بيديه، عندئذ جلس إبراهيم فى هذا المكان يدبر فكرة ويتروى.. ولذلك سمى يوم عرفة أيضًا بيوم التروية.. وعندما تأكد بأن الرؤيا حق، وعرف أنه لا بد أن يذبح ابنه سمى المكان الذى عرف فيه حقيقة الرؤيا باسم «عرفة».(١)

** الكعبة.. أول بيت وضع للناس:

المتدبر لكتاب الله.. والباحث المدقق فى آياته الكريمة وسوره الشريفة، يكتشف أن الكعبة كمكان عبادة مشهور فى القرآن الكريم.. قد جاء ذكره فى موضعين، فى سورة المائدة فى الآية (٩٥) فى قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾. وفى الآية (٩٧) فى قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾.

وهناك المئات من الكتب والمراجع التى تناولت هذا المكان الطاهر بالدراسة والتحليل وكلها قد اجتمعت على قول واحد .. وهو أن هذا المكان الأمين هو أول بيت عبادة أمر رب العالمين ملائكته ببنائه فى الأرض على شاكلة البيت المعمور فى السماء السابعة. وذلك حتى يتثنى لعباد الله فى الأرض أن يطوفوا حوله مثلما تطوف الملائكة حول البيت المعمور.

ولسوف نحاول اقتطاف بعض الذى قيل عن هذا المكان العظيم تاريخيًا ومعماريًا ثم أهميته بالنسبة للعرب سواء من قبل الإسلام أو من بعد ظهوره.

---

(١) المصدر السابق.

وما نود أن ننوه عنه قبيل الإقدام على هذه الخطوة أن هذا البيت العتيق قد ارتبط بالملائكة وبكل أنبياء الله الذين بعثهم الله لهداية الناس منذ آدم وحتى رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

وأكثر الأنبياء ارتباطاً بهذا المكان العظيم كل من إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولكل من هؤلاء الثلاثة الكرام ذكريات طيبة من أجل إعمار هذا البيت المعمور.. وإضافة إلى هؤلاء كان هناك من عباد الله الصالحين الذين اهتموا هم أيضاً بهذا البيت وعمروه صيانة له عبر الأزمنة والدهور، بل وجاهدوا من أجل إكرام ضيوفه من الذين كانوا يزورونه للطواف حوله حتى من قبل ظهور الإسلام. بل وامتد هذا الاهتمام إلى ما بعد ظهور الإسلام وإستمر إلى يومنا هذا.

ومما ذكره المؤرخون عن تاريخ هذا البيت وتوقيت بنائه.. خاصة فى كتب التاريخ أن البيت الحرام (الكعبة) إنما بنى مرات كثيرة وصلت إلى أحدى عشرة مرة، كما ذكرت هذه الكتب أيضاً أسماء الذين بنوه عبر التاريخ، إلا أن بعض ما جاء فى هذه الكتب من الروايات اعتبره البعض ظنى الثبوت وآخرين اعتبروه يقينى الثبوت. ومجمل ما ذكروه بشأن بناة الكعبة المشرفة أنهم بالرتيب: الملائكة عليهم السلام بأمر من الله.. ثم آدم عليه السلام، الذى قيل إنه شارك الملائكة فى البناء فكان بناء واحداً، وكذلك بناه شيث بن آدم عليهما السلام وبناه إبراهيم عليه السلام ثم بناه العمالقة وقبائل جرهم وقصى الجد الرابع للنبى الكريم.

كذلك أعادت قريش بناء هذا البيت وشارك فى هذا البناء رسولنا الكريم ﷺ من قبل بعثته الشريفة بخمس سنوات، وشهدت هذه المشاركة واقعة التحكيم بين بطون قريش حلاً للنزاع حول من يضع الحجر الأسود فى مكانه بعد بنائه، ثم بناه عبد الله ابن الزبير عام ٦٥ هـ بعد حصار الحصين بن نمير والذى جاء بجيشه من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير فضرب الكعبة بالمنجنيق فوهنت جدرانها ثم احترقت، لهذا كان من الضرورى هدمها وإعادة بنائها بعد انصراف الحصين وجيشه.

كما بنى الكعبة الحجاج بن يوسف الثقفى فى عام ٧٤ هـ. وبناها السلطان مراد خان العثمانى عام ١٠٤٠هـ بعد أن تهدمت بسبب الأمطار الغزيرة والسيول التى غمرت مكة ليلة الخميس وعصره فى عشرين من شعبان عام ١٠٣٩ هـ.

ثم توالت بعد ذلك محاولات ترميم هذا البناء خاصة فى فترة حكم الأسرة السعودية منذ مؤسسها الأول الملك عبد العزيز آل سعود وإلى يومنا هذا.

هذا الترميم الذى جاء ضمن جهود هذه الأسرة من أجل الحفاظ على الحرمين الشريفين وتجديدهما ورعايتهما دوماً حتى صارا على ما هما عليه الآن من روعة وجمال.

وهناك فريق آخر من هؤلاء المؤرخين الذين تحدثوا عن وصف الكعبة من الداخل ومن الخارج ومكوناتها المعمارية.. وقد تفاوتت آراء هؤلاء المؤرخين خاصة فيما ذكروه عن أبعاد الكعبة ومساحتها وهو اختلاف طبيعى نتج عن اختلاف الأذرع ما بين ذراع اليد وذراع الحديد.

وبشكل عام فإن الكعبة تحتوى على أربعة أركان هى الركن الشامى واليمانى والأسود والغربى.

ومن أشهر ما تضمه الكعبة من معالم هو الحجر الأسود أو الأسعد، وفى الحديث عن أصله كلام كثير تفوه به المؤرخون واختلفوا، وكذلك باب الكعبة وحجر إسماعيل. كما تحدثوا بالتفصيل عن بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام بمساعدة ابنه إسماعيل. وهو ما سوف نتناوله فى موضع آخر قادم إن شاء الله.

** مقام إبراهيم.. ومن دخله فهو آمن:

من عظمة الله تعالى وكرمه على عباده الصالحين أن ذكرهم بالخير وأثنى عليهم وأشار فى كتابه العزيز إلى بعض أعمالهم من أجل أن يكونوا للعالمين عبرة وعظة وفرصة لنقلدهم لأنهم خير، وما قاموا به هو الخير نفسه.

ومن هؤلاء الذين كرمهم رب العالمين بذكر مآثرهم وأعمالهم الطيبة المتعددة.. نبى الله إبراهيم عليه السلام. الذى ارتبطت بحياته أماكن طاهرة كثيرة، وقد خص الله تعالى أرض مكة بأماكن ارتبطت بالفعل بهذا النبى الكريم، وقد ذكرنا منها من قبل: الكعبة المشرفة كأول بيت عبادة وضعه الله للناس وبناه إبراهيم عليه السلام بمشاركة ابنه إسماعيل اللذين أقاما القواعد من بعد أن طمستها الرمال على مر العصور، كما

ارتبط بهذا النبى وبهذا البيت الحرام كذلك مقام إبراهيم وهو ذلك الحجر الذى وقف فوقه هذا النبى الكريم من أجل إكمال بناء الكعبة، وقد غاصت قدماه الشريفتان داخل هذا الحجر، والذى هو موجود حاليا داخل تجويف من الزجاج، ويقف شامخاً أمام الكعبة وإلى يوم القيامة. بل وقد جعل الله تعالى دخول هذا المقام أو الاقتراب منه بمثابة الشعور بالأمان.

إن قصة هذا الحجر الذى أتى به إسماعيل عليه السلام كى يقف عليه أبوه ليكمل البناء.. قد كرمه الله وكرم صاحبه بأن أبقاه خير دليل على وجود هذا النبى بيننا ليس فوق صفحات التاريخ فقط، بل وأمام أعيننا فى الواقع أيضاً.

وبطبيعة الحال إذا ما ذكر مقام إبراهيم والحجر الذى وقف عليه هذا النبى الكريم لابد لنا وأن نذكر كذلك ظروف بناءه الكعبة المشرفة.

ومما قيل فى هذا السياق: أن الله تعالى قد أمر نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بناء هذا البيت بعد أن بوأله مكانه وحدده له، فنفذ أمر الله بكل شوق وعشق، وساعده فى هذه المهمة العظيمة ابنه إسماعيل عليهما السلام.

ويقول المؤرخون إن إبراهيم الخليل عليه السلام عندما بنى الكعبة جعل ارتفاعها تسعة أذرع ولم يجعل لها سقفاً ولا باباً. كما جعل بداخلها حفرة كى تكون بمثابة خزانة الكعبة ومستودعاً لمقيناتها. كما جعل إبراهيم عليه السلام للكعبة ركنين فقط هما ركن الحجر الأسود والركن اليمانى. (١)

أما بالنسبة لمقام إبراهيم فهو من لواحق الكعبة مثل حِجر إسماعيل تماماً، ويقال إن هذا النبىّ الكريم قد استخدم هذا الحَجر أيضاً كمكان وقف فوقه وهو يؤذن فى الناس بالحج تلبية لما أمره به الله تعالى، كما أنه محل مغفرة لمن صلى خلفه ونزل فيه أمر إلهياً باتخاذه مصلى .

ولقد جاء ذكر هذا المقام كمكان عبادة فى سورة آل عمران فى الآية (٩٧) وفى قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

---

(١) الكعبة المعظمة – الحرمان الشريفان – محمد أمين كردى.

ويعتبر هذا المقام الشريف من الآيات البينات للبيت الحرام.. والسبب الرئيسى فى ذكر القرآن للمقام من دون البينات الأخرى وعلى حد قول إمام الدعاة محمد متولى الشعراوى. أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى هذا المقام والذى فيه تعبير عن عشق إبراهيم عليه السلام لمنهج الله وتكليفه.. الأمر الذى جعله يأتى بهذا الحجر ليزيد ارتفاع البيت .

** المشعر الحرام .. لإتمام الحج:

سوف نلاحظ حتى من سياق الآية الكريمة الآتية أن هناك تلازماً كبيراً بين عرفة كمكان عبادة ذكره رب العالمين فى كتابه العزيز وبين المشعر الحرام أيضًا كمكان عبادة، ولعل ذلك يتجلى فى قوله تعالى فى سورة البقرة فى الآية (١٩٨): ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾.

ذلك لأن المشعر الحرام وفق مناسك الحج هو ذلك المكان الذى يذهب إليه الحجيج بعد الإفاضة من عرفات، وفقاً لما علمنا رسولنا الكريم ﷺ. إذ تستوجب مناسك الحج هذه على المسلم وبعد الخروج من عرفات أن يأتى إلى المشعر الحرام وهو جبل معروف بالمزدلفة، ثم ينطلق من المشعر الحرام إلى جمرة العقبة ويعقب ذلك الإفاضة إلى البيت الحرام للطواف حوله، ثم العودة إلى منى.

ويوضح لنا إمام الدعاة الشيخ الشعراوى معنى كلمة إفاضة وهى التى ارتبطت بكل من عرفات والمشعر الحرام، فيقول متسائلاً: ما معنى الإفاضة؟!. أنه حين نملأ كوباً عن آخره يفيض الزائد على جانبيه، إذ فالفائض معناه شيء افترق عن الموجود بالزيادة. والله سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة التى تحدثت عن الإفاضة قد ضمنها حكماً مسبقاً بأن عرفات سوف يمتلئ عند الخروج منه امتلاء تراه فائضاً عن العدد المحدد، وعلى ذلك فالحاج حين يخرج من عرفات ويصل إلى المشعر الحرام يجب عليه أن يكثر من الثناء على الله لتفضله عليه بتيسير هذه الرحلة المباركة.

ومن بعد الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة أو المشعر الحرام، هناك إفاضة ثانية من المزدلفة إلى منى حيث يبدأ الحجاج فى جمع الحصى كى يرجمون بها الشيطان ويصلى الحجاج المغرب والعشاء جمع تأخير.

ويؤكد شيخ الدعاة محمد متولى الشعراوى أنه حين يتجه الحاج من المشعر الحرام إلى منى لرجم الشيطان يجب عليه أن ينتبه لأمر مهم وهو أن يتذكر قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وهى قصة الابتلاء المبين بذبح ابنه تلك التى رآها فى المقام.

** المسجد الحرام.. ليس هو الكعبة:

لا بد وأن يكون ماثل للذهن أمام أعيننا وداخل عقولنا أن المسجد الحرام ليس هو الكعبة. ذلك لأن المسجد أشمل من بناء الكعبة بما يضمه من أماكن عبادة أخرى مثل مقام إبراهيم وبئر زمزم وحجر إسماعيل والصفا والمروة.

ولقد فطن إلى هذا الفارق الكبير الكثير من العلماء ومن المفسرين، ومن هؤلاء إمام الدعاة الشيخ الشعراوى الذى قال: يجب أن يعرف الناس أن الكعبة المشرفة ليست هى بيت الله الحرام أو المسجد الحرام ، ولكنها العلامة التى تدل على أن هنا بيت الله الحرام. وهناك أيضًا من المفسرين ومن المؤرخين الذين ذهبوا إلى أبعد من ذلك فى حديثهم عن كل من الكعبة والمسجد الحرام.. ومن ذلك ما ذكره الدكتور أحمد شلبى فى قوله: كانت الكعبة حرماً مقدساً عند العرب وكانت الشعائر الدينية تؤدى فى الكعبة.. ثم ضاق هذا البناء الصغير بزواره والحاجين إليه، ولذلك اصطلح العرب منذ عهود بعيده على اتخاذ جزء من الأرض حول الكعبة ليكون مكاناً للشعائر الدينية، وقدسوا هذا المكان وسموه حرماً.

ولما جاء الإسلام وفرضت الصلاة كانت الصلاة تؤدى فى هذا الجزء ولذلك سمى بالمسجد الحرام، وقد ظل ذلك الجزء من الأرض فراغاً لا يحيط به سور حتى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما كانت تحيط به البيوت من أكثر الجهات.

وبدءاً من عهد عمر بن الخطاب وحتى اليوم فقد أخذ الحكام فى توسيع المسجد الحرام عن طريق شراء الدور المحيطه بالمسجد حفاظاً عليه. وقد تواصل ذلك العمل حتى وصل المسجد إلى ما هو عليه الآن من مساحة كبيرة وغير مسبوقة طوال تاريخه .

والعلامة ابن ظهيرة القرشى يقول لنا فى كتابه «الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» إن الله تعالى ذكر المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى نحو خمسة عشر موضعاً وبالتالى فقد اختلف فى المراد بالمسجد الحرام، فقيل بقاع الحرم وقيل الكعبة وما فى الحجر من البيت.

أما عن الآيات والسور التى جاء بها ذكر المسجد الحرام فهى كالتالى: فى سورة البقرة الآيات (١٤٤)-(١٤٩)-(١٥٠)-(١٩١)-(١٩٦)-(٢١٧) وفى سورة المائدة الآية (٢) والأنفال الآية (٣٤) والتوبة الآيات (٧)-(١٩)-(٢٨) وفى سورة الإسراء الآية (١) والحج الآية (٢٥) والفتح الآية (٢٥)و(٢٧) .

وهناك أحداث تاريخية ودينية فى غاية الأهمية قد ارتبطت بالمسجد الحرام.. من أهمها وأعظمها أنه كان ذلك المكان الذى بدأت منه رحلة الإسراء والمعراج. كما أن جبريل عليه السلام قد أم رسولنا الكريم فى الصلوات الخمس صبيحة المعراج عند الكعبة بالمسجد الحرام.

وللمسجد الحرام عدة أبواب سميت بأسماء مختلفة على مدى التاريخ كما أصبحت تحيط به الآن المآذن من كل جانب وعددها تسع مآذن، كما شملته يد التطوير حتى أصبح فيما هو عليه الآن.. خاصة بعد التوسعة السعودية الأخيرة وإضافة ٣ أدوار رئيسة للمسجد، وإمداده بالخدمات التى تساهم فى راحة الزائرين من الذين يفدون إلى السعودية سواء فى العمرة أو فى الحج.

** المسجد الأقصى .. ورحلة المعراج:

وإذا كان المسجد الحرام هو بداية رحلة رسولنا الكريم إلى السماء وبمصاحبة أمين الوحى جبريل عليه السلام -، فإن المسجد الأقصى كان هو بداية رحلة المعراج إلى هذه السموات والتى زارها النبى الكريم على مدى ليلة واحدة بدأت بعد صلاة العشاء وانتهت قرب صلاة الفجر.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم المسجد الأقصى فى سورة الإسراء الآية (١) فى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي

بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. كما عظمه رسولنا الكريم فى أكثر من حديث شريف باعتباره من مساجد الله العظيمة التى يجب أن يشد لها الر حال.

والحديث عن المسجد الأقصى لا بد وأن نشير فى سياقه إلى المدينة التى استوعبت هذا المسجد الكريم وما ارتبط به فى دين الإسلام، وكذلك بعض ملامحه الإنشائية وتاريخ بنائه. إذ من المعروف أن هذا المسجد يوجد بمدينة القدس الشريفة أو ما يسميها بعض المؤرخين ببيت المقدس .

هذه المدينة تقع وسط فلسطين، فوق تل صخرى يبلغ ارتفاعه عن البحر ٧٦٢ متراً. كما أن مدينة القدس تبعد عن يافا بحوالى ٥ كيلومترات وتحيط بها عيون كثيرة تتفاوت فى غزارة مياهها.

والقدس القديمة أيام مسرى رسولنا الكريم كان بها آثار دينية كثيرة ارتبطت بكل من اليهودية والمسيحية وهى غنية لذلك بارتباطها بالعهدين القديم والجديد. كما تكثر بها المعابد والكنائس التى تتصل بأحداث التوارة والإنجيل.

ومن أهم جبال هذه المدينة المقدسة جبل الزيتون والذى شهد أغلب أحداث الديانة المسيحية وصراع عيسى عليه السلام مع أباطرة اليهود.

وهناك كلام تاريخى كثير يؤكد على أن مدينة القدس إنما هى فى الأصل مدينة عربية وليس كما يدعى اليهود عن تاريخها. ولعلى أؤكد هذه الحقيقة من واقع ما ذكره القرآن الكريم من أن هذه المدينة بها مسجد جاء إليه محمد عليه الصلاة والسلام مرتين، الأولى عند مسراه والثانية عند عودته من المعراج.

وليس معنى ارتباط هذه المدينة ببعض الأحداث الدينية الأخرى فى كل من اليهودية والمسيحية أنها ليست عربية، ومما يرويه المؤرخون فى هذا السياق أن مدينة القدس بها الصخرة المقدسة والتى انطلق من فوقها رسولنا الكريم عارجاً إلى السماء وبصحبته جبريل عليه السلام، هذه الصخرة المقدسة هى أيضاً معظمة لدى أصحاب كل من اليهودية والمسيحية.

ولعل ذلك يجعلنا نشير أيضاً وفى هذا السياق إلى أن هناك فرق بين الصخرة المقدسة أو قبة الصخرة وبين المسجد الأقصى.

ولقد أفرد العديد من المؤرخين وكتاب السيرة الدينية والنبوية صفحات كثيرة للحديث عن هذا المسجد الشريف ومن هؤلاء العلامة شمس الدين السيوطى فى كتابه المهم «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى».

ومما أشار فيه من معلومات عن هذا المسجد الكريم قوله: للمسجد الأقصى أسماء كثيرة عرفت على مدى التاريخ وأن أشهرها الأقصى حيث أشار القرآن الكريم، وسمى بالأقصى لأنه كان أبعد المساجد التى تزار وقيل أيضاً لبعده عن الأقذار، وأنه ليس وراءه موضع عبادة. كما تحدث المؤلف ذاته عن فضائل هذا المسجد.

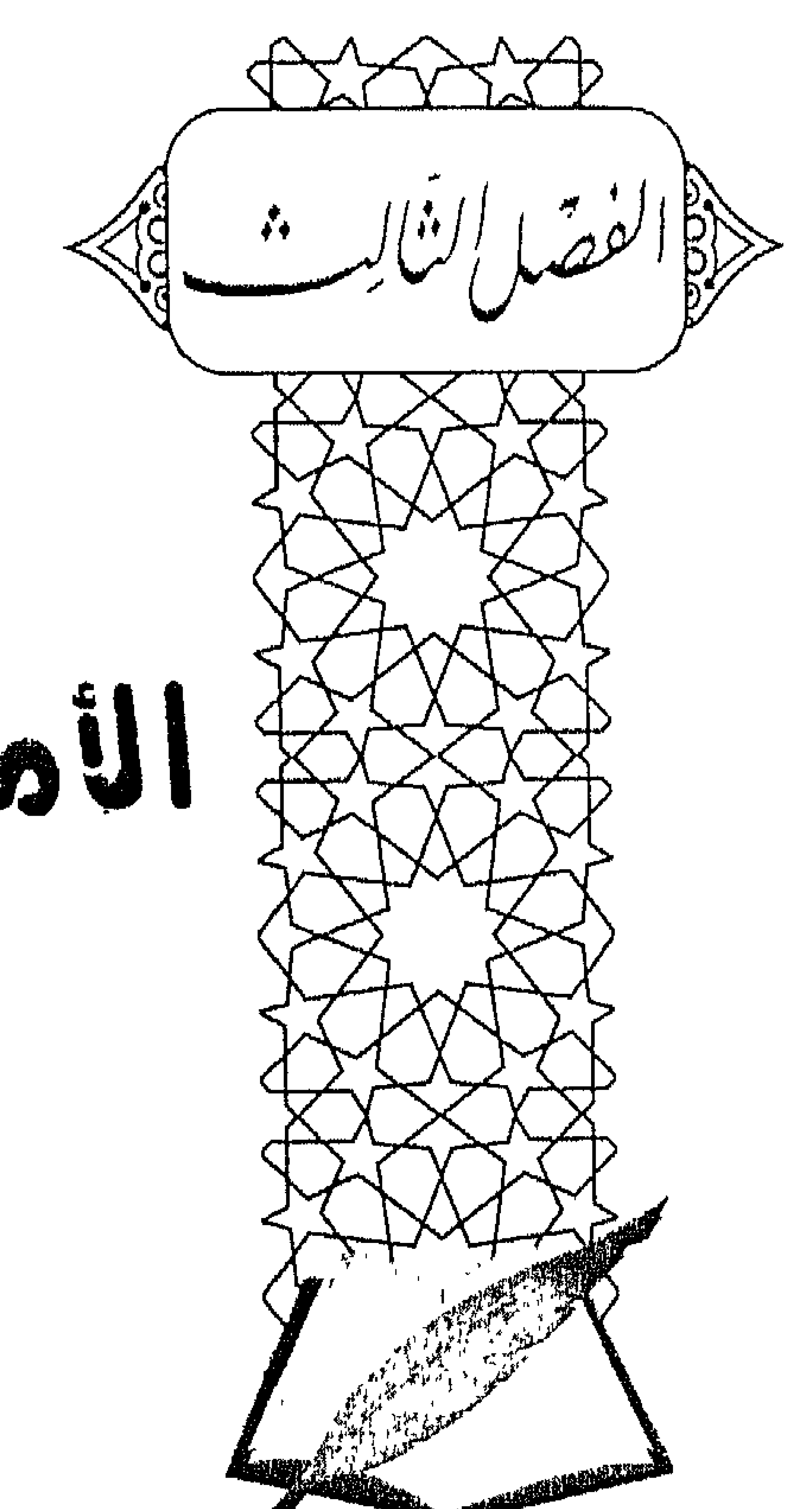
ولقد ظل المسجد الأقصى بعيداً عن سيطرة المسلمين الأوائل.. حتى تم فتح القدس فى عام ٦٣٦م أيام خلافة عمر بن الخطاب. ومنذ ذلك التاريخ بدأ المسلمون فى الاهتمام بهذا المسجد وتعميره وزيارته. حيث بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة وجدد ابنه الوليد المسجد الأقصى.

وهناك روايات تقول إن دواد عليه السلام هو الذى بدأ بناء المسجد الأقصى.. واستكمله ابنه سليمان عليهما السلام. (١)، كما أن هناك المئات من الكتب التى تحدثت عن المسجد الأقصى معماريًا.. حيث تتبعت تطوره المعمارى والإنشائى، وما آل إليه حال هذا المسجد فى ظل احتلال إسرائيل لمدينة القدس.. وما يعتريه حاليا وما ينتظره من مشكلات ارتبطت برغبة اليهود المعلونة فى إقامة هيكل سيدنا سليمان على حد زعمهم على أنقاض المسجد الأقصى!!

وبداخلى إحساس قوى يؤكد أن هذا المسجد سوف يظل قوياً شامخاً ضد كل المحن حتى يتم استرداده مرة أخرى لأن عين الله ساهرة ترعاه.. كما ترعى كل أماكن المسلمين المقدسة.

---

(١) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى – شمس الدين السيوطى ج ١ .



الأماكن التي ارتبطت بحياة الأنبياء

الفصل الثالث

الأماكن التى ارتبطت بحياة الأنبياء

فى هذا الفصل الجديد سوف نعالج سوياً وأيضاً ومن خلال مصاحبتنا لكتاب الله العزيز أماكن أخرى مشهورة جاء ذكرها فى القرآن الكريم. هذه الأماكن ارتبطت بحق، بمسيرة حياة أنبياء الله الكرام منذ آدم عليه السلام وحتى محمد عليه الصلاة والسلام، كما ارتبطت فى الوقت نفسه بالرسالات السماوية التى جاءوا لينشرونها من أجل عبادة رب العالمين ونبذ عبادة ما دونه من الحجر أو البشر أو الشجر.

وربما تكون تلك هى المحاولة الأولى من نوعها التى يخصص فيها مؤلف وضمن كتاب كبير بيان لهذه الأماكن التى ارتبطت بهؤلاء الأنبياء وأهميتهما وما طرأ عليها من تغيرات وما إثير بشأنها فى كتاب الله العزيز.

ولا شك أنها جميعا أماكن طاهرة مباركة، شهدت أحداثاً متنوعة سواء فى حياة هذا النبى أو ذاك أو حتى فى دعوته إلى الله.

وكما نعرف جميعاً فإن الله تعالى لم يذكر لنا هذه الأماكن التى سوف نسوقها من خلال أوراق هذا الفصل من دون حكمة أو عبرة ، بل ذكرها الله تعالى لمعانٍ قد نعلم بعضها ونجهل البعض الآخر.

وكما هو معروف لدينا جميعاً.. فإن المكان يلعب دوراً مهماً فى حياة كل منا فما بالنا بحياة هؤلاء الأنبياء. إذن من المؤكد أن هذه الأماكن قد أضافت الشيء الكثير إليهم فى حياتهم كما ساهمت من ناحية أخرى فيما جاءوا به من رسالات سماوية لأجل أن يبلغوها لأهل هذه الأماكن.

ليس هذا فقط، بل إن هناك من الأماكن التى لفظت بعض هؤلاء الأنبياء مما اضطروا معه للهجرة منها،واختاروا رغمًا عنهم أماكن أخرى كى يقيموا بها إلى حين.

وما وقع لنبينا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام مع البلد الأمين والذى ولد فيه وعاش به طرفاً كبيراً من حياته ووسط أهله وعشيرته لخير دليل على ذلك .. فقد اضطر هذا النبى الكريم أن يترك مكة المكرمة التى شهدت إقامته على مدى أربعين عاماً وحتى عندما عاد إليها فاتحاً اتخذ من دونها مكاناً آخر أقام به .. إذ استمر عليه الصلاة والسلام مقيماً فى المدينة المنورة إلى أن توفاه الله.

وهناك بخلاف ذلك العشرات من القصص التى ارتبطت بهجرة بعض الأنبياء وتركهم ديارهم وقراهم من أجل الدعوة إلى الله والفرار بدين الله خوفًا من إيذاء الكافرين.

***

من ذلك نعرف أن الأماكن فى حياة الأنبياء لم تقتصر أهميتها على تلك التى كانوا يقيمون بها بعد ولادتهم، بل شملت كذلك أماكن أخرى شاركت فى أحداث خاصة بتلك الرسالات السماوية التى حملوها إلى بنى البشر. ومن ذلك على سبيل المثال تلك القرية التى كان يعمل أهلها الخبائث والتى هاجر إليها لوط عليه السلام والمعروفة تاريخياً باسم «سادوم وعمورية».. ثم ذلك الجب الذى استضاف نبى الله يوسف عليه السلام وكان بداية خير له إذ ساهم هذا الجب وبطريقة غير مباشرة وفى إحدى أطوار حياته فى توليه عرش مصر كحاكم عدل.. ثم الطور الأيمن فى أرض سيناء.. والذى شهد كذلك تجلى رب العالمين على نبيه موسى عليه السلام.. وجبل الجودى الذى شهد هو الآخر مهبط سفينة نوح، والتنور الذى كان علامة انطلاق هذه السفينة.

وهناك بالإضافة لما ذكرناه من أماكن مشهورة: السجن والعرش واليم والصرح والوادى المقدس طوى ومجمع البحرين ووادى النمل والمغتسل والربوة ذات القرار المعين .. والغار.. وكلها أماكن مهمة جاء ذكرها فى كتاب الله، وبالتالى سوف نتناولها جغرافياً وتاريخياً ودينياً أيضاً.. وسيكون منهج المعالجة فى هذا الفصل قائم

على السرد التاريخى المرتبط بالفترة التى ظهر بها كل نبى ورسول، وذلك من أجل تحقيق الفائدة المرجوة.

** التنور علامة انطلاق السفينة:

عندما نتذكر قصة نوح عليه السلام أو حتى نقرأ بعض تفاصيلها فى كتاب الله وفى كل كتب التفسير يطفوا إلى سطح أحداثها مكانين على جانب كبير من الأهمية وقد ذكرهما القرآن الكريم فى هذه القصة وهما: التنور والجودى.

الأول ارتبط بقوة بالموعد الذى حدده ربنا تعالى لأجل انطلاق السفينة التى امتلأت بالمؤمنين من أتباع نوح عليه السلام، و ذلك بعد هطول الأمطار وإغراق الأرض بالماء.. وكما هو معروف، فقد جاء ذكر هذا التنور فى سورتين هما سورة هود الآية (٤) وفى قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا إحمل فيها من كل زوجين إثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾. وفى سورة المؤمنون الآية (٢٧) .

وعلى الفور وحين نتحدث عن التنور، لا بد لنا و لغيرنا أن يتذكر أيضاً ذلك الطوفان الذى أغرق الأرض ومن عليها، وقد جعل الله تعالى لنبيه نوح ذلك التنور عندما يفور ماؤه علامة مميزة من أجل الاستعداد للإبحار بسفينته مع المؤمنين. ولقد اختلف المؤرخون فى تحديد ماهية هذا التنور ومكانه أيضاً. فقال بعضهم إنه كان موجوداً فى منزل نوح عليه السلام نفسه [١] كما قالوا أن فوران ماء التنور المغلى ..كان هو علامة تحرك هذه السفينة.

والتنور وفق ما جاء فى معجم التفسير اللغوى لكلمات القرآن لصاحبه د. حسن عز الدين الجمل: أن من معانيه مفجر المياه.. وذلك حين تخرج الماء من باطن الأرض. كعلامة على قرب حدوث الطوفان وتحرك السفينة فى اتجاة الأمان بعيداً عن الكافرين من قوم نوح عليه السلام.. ليس ذلك فقط بل تحدث عدد من العلماء ومن المفسرين أيضًا عن ماهية هذا التنور وفورانه ومن ذلك ما أشار إليه العلامة

(١) قصص الأنبياء والتاريخ – د. رشدى البدراوى.ج ١ .

النيسابورى فى تفسيره عندما قال: لقد اختلف العلماء فى قوله تعالى: ﴿وفار التنور..﴾ حيث قال على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه يعنى طلوع الفجر ونور الصبح، وقال ابن عبّاس: إنبجس الماء من وجه الأرض، والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً، وقال قتادة: أن التنور أشرف موضع على وجه الأرض وأعلى مكانا فيها، وقال الحسن: أراد الله بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنوراً من الحجارة، وكان لآدم ثم انتقل إلى نوح فقيل له إذا رأيت الماء يفور فى التنور فاركب أنت وأصحابك، فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته.

وكذلك اختلفوا فى موضعه فقال مجاهد: كان ذلك فى ناحية الكوفة وروى السدى عن الشعبى: أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا فى ناحية الكوفة، وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة، وقال مقاتل: ذلك تنور آدم وإنما كان فى الشام فى موضع يقال له عين ورد، أما ابن عبّاس فقال: كان التنور بالهند والفوران هو الغليان، فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى. (١)

** الجودى.. حين رست سفينة نوح:

وما زلنا فى رحاب قصة حياة نوح عليه السلام والأماكن التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم والخاصة برسالته ودعوته إلى الله تعالى.. حيث الجودى . ذلك الجبل الذى رست فوقه هذه السفينة بعدما أغرق الله تعالى الكافرين من قوم نوح وكان منهم بطبيعة الحال ابنه الذى لم يتبع تعاليم والده وفضل أن يتبع الكافرين من قومه.

وهناك العشرات من كتب المؤرخين التى تحدثت بالتفصيل عن جبل الجودى الذى رست فوقه سفينة نوح عليه السلام، ومن هذه الكتب المشهورة كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى.. والذى تحدث فيه عن موقع هذا الجبل ومكانه، مما ذكره فى هذا السياق قوله: إن الجودى هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل وعليه استوت سفينة نوح عليه السلام عندما نضب الماء.

---

(١) قصص الأنبياء - المسمى عرائش المجالس - للثعالب.

أما الإمام الطبرى فقد تحدث هو الآخر عن هذا الجبل ضمن حديثه عن قصص الأنبياء. وتناول فيما ذكره تفاصيل كثيرة عن طوفان نوح عليه السلام، فقال : إن الماء ارتفع على أطول جبل فى الأرض بمقام خمسة عشر ذراعاً عندئذ سارت السفينة براكبها ومعهم نوح عليه السلام، وطافت بهم الأرض كلها فى ستة أشهر لا تستقر على شىء حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت حول الحرم أسبوعاً، ورُفع البيت الذى بناه آدم عليه السلام خوفاً من الغرق، عندئذ أخذت فى الذهاب حتى انتهت إلى الجودى، وهو جبل فى أرض الموصل، فاستوت فوقه بعد ستة أشهر وقيل بعد سبعة أشهر.

كما تناول هذا الجبل بالحديث .. عدد آخر من المؤرخين ومن علماء الجغرافيا.. ومما ذكروه فى هذا السياق قولهم بأن جبل الجودى معروف باسم جبل أراراط وقمته ترتفع عن سطح البحر بـ٦ آلاف قدم، وفى أقوال أخرى تبلغ قمته ما بين ١٣ أو ١٤ ألف قدم.

والمثير للدهشة أن بعض الأثريين قد استهوتهم سفينة نوح عليه السلام فأخذوا ينقبون عنها فوق قمة جبل أراراط، حيث عثروا على بقايا سفينة كبيرة ومتحجرة داخل هذا الجبل، وتم الإعلان عن هذا الكشف فى عام ١٩١٤، كما ذكرت بعض معلومات دوائر المعارف أن كلمة أراراط إنما هى فى الأصل لفظ عبرى ومأخوذ من الأصل الأكادى «أوراطو».

كما أطلق هذا الاسم على بلاد جبلية تقع شرق أشور، وفى مصدر آخر من مصادر المعلومات ذكر أن كلمة أراراط تطلق على هضبة جبلية فى غرب آسيا، تنحدر منها وفى اتجاهات مختلفة أنهار عدة.

أما فى مركز هذه الهضبة الجبلية توجد بحيرة قان التى تشبة فى تكوينها الچيولوجى البحر الميت حيث لا مخرج لها. (١)

(١) جبال الأنبياء – كتاب للمؤلف.

وتوجد دلائل جغرافية وچيولوجية تؤكد أن الإقليم الذى يقع فيه هذا الجبل كان فى الماضى أغزر مطراً مما هو عليه الآن، ولهذا كان أكثر ملاءمة لحاجات الإنسان الأول، هذا المكان جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سورة هود الآية (٤٤) وفى قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ .

ويؤكد علماء الجغرافيا أيضًا أن البعثات التنقيبية الخاصة بالآثار قد عاودت زيارة هذا الجبل مرة أخرى فى عام ١٩٥٥ برئاسة المهندس الفرنسى «فرناندونافرا» والذى عثر على بقايا أخشاب أخرى، وفى عام ١٩٦٩ تم العثور على قطع خشبية جديدة مما أكد لدى هؤلاء العلماء رسو سفينة نوح فوق هذا الجبل من قبل انحسار الطوفان.

ويؤكد الدكتور رشدى البدراوى على ما ذهب إليه هؤلاء العلماء من أن السفينة قد رست على الجودى وهو أحد جبال أراراط فى أقصى شمال العراق، وأراراط هو سلسلة جبال فى أرمنيا أو هى أرمينيا ذاتها.

** فج عميق .. ودعوة إبراهيم عليه السلام:

ونعود من جديد للحديث عن الحج وما ارتبط به من أماكن مشهورة فى القرآن الكريم.. ومن بين هذه الأماكن الفج العميق .. الذى ارتبط بدعوة نبى الله إبراهيم عليه السلام. حين أمره ربه بأن يؤذن فى الناس بالحج بعدما رفع القواعد من البيت الحرام هو وابنه إسماعيل عليهما السلام.

ويبدو ذلك واضحاً في قول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآيتين (٢٦و٢٧).

وفى تفسير ابن كثير لهذه الآية قال: وناد يا إبراهيم فى الناس داعياً إياهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه.. فُذكر أنه قال عليه السلام : يا رب وكيف أبلغ الناس وصوتى لا يصل إليهم، فقيل له: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه ، وقيل على الحجر، وقيل على الصفا: وقال : أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتًا

فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأجابه كل شيء سمعه" «لبيك اللهم لبيك» (١).

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوى إن الفج فى الأصل: الفجوة بين جبلين، ويستعمل فى الطريق المتسع، والمراد فى هذه الآية مطلق الطريق وجمعه فجاج، ويؤكد هذا التفسير اللغوى الذى ذهب إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى ما ذكره الدكتور نبيل عبد السلام هارون فى معجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم حيث قال: فجُج أو فج: الطريق الواسع البعيد وجمعه فجاج، كما أكد أيضاً هذا التفسير معجم ألفاظ القرآن الكريم فى جزئه الثانى والذى جاء به أن الفج هو الطريق الواسع البعيد وجمعها فجاجاً أى الطرق الواسعة البعيدة وفقًا لما جاء فى سورة الأنبياء الآية (٣١) وفى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وعندما ننظر بعين الحداثة فى تفسير كلمة فجاجاً أو فج عميق. لابد وأن يصل إلى أذهاننا حتى بدون تعب.. أن الله تعالى يشير من خلال هذا اللفظ إلى البلاد البعيدة وفى كل القارات، وقد تحقق ذلك فى أيامنا هذه، خاصة فى ظل هذا التطور المذهل فى وسائل المواصلات جواً وبحراً وبرًا، حيث كانت هذه الوسائل من قبل قاصرة فقط على الطرق البرية، وبعض طرق البحر غير الآمنة.

فقد رأينا من يحج إلى بيت الله الحرام ويأتى من كل بقاع الدنيا والتى لم يكن يتصور أجدادنا مدى بعدها أو استحالة تركها من أجل هذه الرحلة المباركة.

من هنا نؤكد أن كلمة الفج العميق يقصد بها فى أيامنا هذه تلك البلاد البعيدة سواء من قارات الأرض الشمالية أو الجنوبية، وحتى القارة البيضاء أو الثلجية التى يأتى منها أيضاً عباد الله لزيارة هذا البيت وإتمام رحلة الحج والتى قد تستغرق أياماً طويلة، بل وأسابيع فى السفر بالطيران أو البحر، مع استحالة تحقيق هذه الرغبة براً. وصدق الله العظيم حين ذكر لنا على لسان نبيه الكريم إبراهيم عليه السلام.. ﴿يأتوك من كل فج عميق﴾.

(١) تفسير ابن كثير.

** الجبُ.. ويوسف عليه السلام:

وننتقل من جديد إلى قصة أخرى من قصص أنبياء الله والتى جاء ذكرها فى القرآن الكريم مصحوبة ببعض الأماكن المشهورة فى حياة نبى الله يوسف عليه السلام، ومن هذه الأماكن «الجبُ».. والذى نعتبره نقطة فارقة فى حياة هذا النبى الكريم وفى قصة حياته ورسالته أيضاً، إذ جعل الله هذا الجب بداية طيبة رغم صعوبتها على هذا الصبى وعلى أبيه يعقوب عليهما السلام.

أقول لقد جُعل هذا الجب بداية لتفاصيل كثيرة فى حياة نبى الله يوسف وحياة إخوته وأبيه. ذلك لأن هذا الجب ذاته كان سبباً فى وصوله إلى مصر. وتوليه عرشها. وذلك من بعد عدة سنوات قضاها فى غربة ولوعة وشوق لأبيه. هذه السنوات الطويلة اختلف فى تحديدها المؤرخون والمفسرون.

ومما لا بد من الإشارة إليه فى سياق الحديث عن ذلك الجب كمكان مشهور فى القرآن الكريم هو بعض ملامح قصة يوسف عليه السلام وهو لا يزال يعيش فى كنف أبيه مع إخوته وذلك من قبل حدوث ذلك الفراق القصرى والذى أودى به إلى ذلك الجب.

والجبُ كما جاء فى اللغة معناه البئر التى لم تبن بالحجارة ونحوها. (١)

ومن أهم ما أشار إليه القرآن الكريم فيما يخص قصة هذا النبى الكريم أن أباه هو يعقوب عليه السلام والذى عرف فيما بعد باسم إسرائيل.. وهو أحد أحفاد إبراهيم عليه السلام.. هذا النبى الكريم أنجب عشرة أولاد وابنة واحدة من عدة زوجات.. كان من بينهم يوسف عليه السلام الذى هو بطل هذه القصة.

ولقد أعمى الحقد قلوب إخوته فقرروا أن يتخلصوا من أخيهم الصغير الذى استشرف ما سوف يحدث له من جانب إخوته وذلك فى حلمه المشهور. هذا الحقد جعلهم يقذفون به فى ذلك الجبُ العميق.

ورغم صعوبة هذا الموقف على كل من يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام إلا أن

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن - مصدر سابق.

هذا الجبُ ذاته كان فاتحة خير على هذا النبى وعلى أهله الذين جاء بهم جميعاً إلى مصر ليقيموا بها بعدما تولى يوسف عليه السلام وفق مشيئة رب العالمين عرش مصر.

والجبُ الذى نزل فيه هذا النبى الكريم قد شغل العديد من المؤرخين وكتاب السيرة النبوية، ومن هؤلاء الدكتور محمد سيد طنطاوى الذى قال: إنه حفرة عميقة فى الأرض، وغيابة الجب: معناه أنهم ألقوه فى موضع مظلم من الجب حتى لا يراه أحد.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم هذا الجب فى آيتين فى سورة يوسف هما: الآية العاشرة والخامسة عشرة.. وكان من بين المؤرخين الذين توسعوا فى حديثهم عنه وعن موضعه وما ارتبط به من حكايات هو الإمام النيسابورى الذى قال نقلا عن ابن عباس ومقاتل وبحيرا عن كعب الأحبار عن سعيد بن أبى عروبة قالوا: أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة، فلما برزوا به إلي البرية أظهروا له العداوة،وضربوه.

ولما هموا بقتله قال لهم أخوهم يهوذا: لا تقتلوه. فعندئذ أجمعوا أمرهم على إلقائه فى الجبُ كما أشار بذلك رب العالمين فى القرآن الكريم، وكان هذا الجب فى الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وكانت بئراً موحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق، يهلك من يطرح فيه من سعه أسفلها ولا يمكنه الصعود منه.. وكان ماؤه ملحاً.. ويقال كذلك إن هذا الجبُ قد حفره سام بن نوح وسمى جب الأحزان(١).

أما الدكتور رشدى البدراوى فيؤكد فيما وصل إليه أن إخوة يوسف قد اختاروا بئراً على طريق القوافل، حيث لم يقصدوا موته، بل هدفهم إبعاده بإلقائه فى هذه البئر، وهذا كلام فى واقع الأمر مردود عليه لأنهم فى بداية تفكيرهم كانوا قد عقدوا

(١) عرائش المجالس – المصدر السابق.

العـزم على قتله وفق مـا أشار إليـه القرآن الكريـم ولولا تدخـل رحمة الله فـى صورة رجاء أخيه يهوذا أو غيره لكانوا قد أقدموا على هذا الفعل المنكر.

** السجن.. بدلاً من المعصية:

ومـا زلنا في رحاب قـصـة يوسف عليـه السلام .. ولكن فى مـرحلة جـديدة من مراحل حياته التى شـهدت أحداثاً كثيرة.. ذكر لنا القـرآن الكريم منها بعض الأماكن التى شاركت فى هذه الأحداث.

ومن هذه الأمـاكن .. السـجن .. حـيث ذكر الله تعـالى لنا فى كـتـابه العـزيز عن السجن حديثاً طيباً في سورة يوسف الآيات: (٣٣)-(٣٦)-(٣٩)- (٤١)- (٤٢)- (١٠٠) . وقـد تناول هذا الحديث .. السـجن فى الفـترة التى تصـور من كانوا حـول يوسف، هذا النبى الكريم، إمكانية إغرائه من أجل المعصـية.. ونراه هنا يعبر عن ذلك بقوله فى الآية (٣٣) :﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

كـما أوضح لنا القـرآن الكريم أن فـترة السـجن المشار إليـهـا فى حيـاة هذا النبى الكريم كانت هى نفسـها الفترة التى شـهدت بعدها انتقاله إلى عـرش مصر. ومما هو واضح من سياق القـصة التى حكاها لنا القرآن الكريـم أن دخول السـجن كان تهديداً من امـرأة العزيز التى صـرحت بأنه إن لم يفـعل يوسف عليه السـلام ما أمـرته به من الاستجابة لرغباتها ليكونن من المسجونين أو من الأذلاء المهانين المتهورين. ولما وصل هذا التهـديد السافـر إلى مسامع يوسف عليـه السلام دعى ربه مـستجـيراً به مفـضلاً دخول ذلك السجن على معصية الله.

ويقول الإمام الأكبـر الدكتور محمد سيـد طنطاوى: أن هذا القرار بسجن يوسف كان يدل على أن امـرأة العزيز كانت مـالكة لقيادة زوجـها صاحب المنصب الكبـير، فهى تقوده حيث تريد، وكما يقود الرجل دابته!!.

والسجن كما نعرف جميعاً هو مكان يقـضى فيه المذنب عقوبة أساسها .. حرمانه من حريتـه، مهما اختلفت مدة هذا السجن. وهو وسـيلة قديمة ابتدعهـا الإنسان من أجل الحد من الجرائم ، أو عقاب الخـصوم. ويختلف السجن من مكان إلى آخر ومن

مجتمع إلى آخر سواء فى حجمه أو فى مكانه أو فى الوسائل المستخدمة بداخله للتعذيب أو للترهيب، كما اختلف استخدامه كوسيلة عقابية من زمن إلى آخر.

وهناك من الرواة الذين كانوا ينظرون إلى السجن فى الماضى البعيد على أنه قبر يدفن فيه المذنب أو غير المذنب وهو على قيد الحياة!!.

ويبدو أن يوسف عليه السلام عاصر هذه الفترة التاريخية. فربما مكث فى هذا السجن طوال حياته لولا أن هيأ الله له هذا السجين الذى خرج وأبلغ عنه الحاكم، تفسيراً لرؤياه الخاصة بالسنوات العجاف.

ولقد روى يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث فى السجن ما لبث»، يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى.

وذكر بعض المؤرخين أن يوسف عليه السلام قضى فى سجنه سبع سنوات وأن هذا السجن كان خارج المدينة على حد قول ابن عبّاس الذى أضاف: أن الفتى الذى أخبر عن يوسف تذكره بعد مرور عدة سنوات عندما طلب من الملك أن يتم إرساله مرة أخرى إليه لمقابلة يوسف وليقص عليه خبر هذه الرؤيا.

وبالفعل عاد هذا الفتى والتقى بيوسف عليه السلام الذى فسر له الحلم، وعندما رجع الفتى إلى سيده أخبره بما كان من أمر تفسير يوسف عليه السلام لرؤياه، وبالتالى طلب الإفراج عنه.. ولكن يوسف عليه السلام آثر الانتظار فى السجن حتى تثبت براءته من جانب امرأة العزيز التى اعترفت بذنبها.

وقد عبر لنا رسولنا الكريم عن هذا الموقف من جانب يوسف وكرمه وصبره، إذ قال رسول الله: «لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره، والله تعالى يغفر له حين سُئل عن البقرات السمان والعجاف، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى. ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولم أتبع العذر والله إنه كان حليماً ذا أناة». [١].

(١) عرائش المجالس .. مصدر سابق

** العرش .. وختام لقصة نبى كريم:

رغم أن كلمة العرش قد وردت فى قصة نبى الله يوسف إلا أنها كذلك قد ذكرت فى غيرها من قصص الأنبياء كمكان مشهور ارتبط بهؤلاء الأنبياء الذين عاصروا ملوكاً كانوا يجلسون على عروش بلادهم، وقد أرادوا لهم الهداية واتباع سبيل الإيمان بالله الواحد الأحد.. كذلك ذكرت كلمة العرش للدلالة على مكان عظيم فى السموات السبع.. وهو خاص برب العرش العظيم رب السموات والأرض وما بينهما.

والعرش فى اللغة هو سرير الملك، وقد جاء ذكر هذا المكان بهذا المعنى فى كتاب الله فى سورتى النمل الآية (٢٣) والتى حدثتنا عن تلك المرأة التى عاصرها سليمان عليه السلام والمعروفة تاريخياً بالملكة بلقيس ملكة سبأ وذلك فى قول الله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ثم فى سورة يوسف الآية (١٠٠) وفى قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وبخلاف هذين المكانين المرتبطين بالأرض التى نعيش فوقها .. جاءت كلمة العرش فى كتاب الله معبرة عن ذات الله العليا ... وغير معروف حقيقته بالنسبة لنا كبشر، وذلك فى سور الأعراف الآية (٥٤)، وفى الآية (١٢٩) من سورة التوبة باللفظ والآية (٣) فى سورة يونس والآية (٢) فى سورة الرعد، و(٤٢) فى سورة الإسراء و(٥) فى سورة طه، و(٢٢) فى سورة الأنبياء و(٨٦) و(١١٦) فى سورة المؤمنون و(٥٩) فى الفرقان و(٢٦) فى النمل و(٤) فى السجدة و(٧٥) فى الزمر والأيتين (٧)و(١٥) فى سورة غافر و(٨٢) فى الزخرف و(٤) فى سورة الحديد و(٢٠) فى سورة التكوير وأخيراً فى الآية (١٥) فى سورة البروج.

ويتضح من البيان السابق لكلمة العرش الدالة على مكان مشهور فى كتاب الله تعالى أنها ذكرت معبرة عن سرير الملك مرتين فى سورة النمل ويوسف، أما بالنسبة لمعناها الذى لا يعلم حقيقته إلا الله فقد ذكرت ١٩ مرة فى ١٨ سورة قرآنية.[1]

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج (٢).

وفى تفسير الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى لآية العرش فى سورة يوسف قال : لقد استجاب إخوة يوسف لقوله عندما أتوا بأهله جميعاً إلى مصر. من بلاد الشلام التى كانوا يعيشون بها ومعهم أبوهم يعقوب عليه السلام، فلما وصلوا إليها ودخلوا على يوسف ضم إليه أبويه وعانقهما عناقاً حاراً.

وقد ذكر المفسرون هنا كلاماً يدل على أن يوسف عليه السلام وحاشيته ووجهاء مصر عندما بلغهم قدوم يعقوب بإسرته إلى مصر خرجوا جميعاً لاستقبالهم. وكان عدد أفراد هذه الأسرة ما بين الثمانين والتسعين. عندئذ أجلس يوسف أبويه معه على السرير الذى كان يجلس عليه تكريماً لهما وإعلاء لشأنهما، وقد خروا له ساجدين من أجل يوسف وكان ذلك جائزاً فى شريعتهم آنذاك.

ولنا رأى قد يخالف ما ذهب إليه المفسرون فيما يخص العرش. حيث نرى أن المقصود به ليس السرير الذى يجلس عليه الحاكم.. بل المقصود ذلك المكان الذى يجلس فيه الحاكم وسط قصره حيث يعلوه كرسى كبير ومحاط بحرس شديد.. ولا يستطيع أحد من الرعايا أو العاملين بالقصر أن يدخلوه إلا بعد أستئذان من مخصوص يبلغ الحاكم بالقادم والموعد المضروب له سلفاً. وهذا ما نراه بالفعل فى حياة الملوك حالياً.. وما كنا نسمع عنه فى حياة الملوك زمان.

ويقال فى هذا السياق إن يعقوب عليه السلام قد مكث فى مصر بعد وصوله إليها وأهله ٢٤ عاماً. حيث وافته المنية.. وكتب فى وصيته لابنه يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة كى يدفن عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهما السلام.

** القرية .. التى كانت تعمل الخبائث:

على كثرة ما جاء فى كتاب الله عن كلمة القرية أو القرى كمكان مشهور فى هذا الكتاب العظيم.. إلا أننا لاحظنا أن معظمها يدل دلالة عامة على أية قرية وفى أى مكان.. إلا ما جاء بشأن قرية نبى الله لوط عليه السلام.. تلك القرية التى كانت تعمل المنكر فيما بين أهلها!!.

ففى سورة الأنبياء وفى الآية (٧٤) جاء ذكر هذه القرية باللفظ والمعنى السابق ذكره وكذلك فى سورة الفرقان فى الآية (٤٠) وفى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى

﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ . وفى سورة العنكبوت الآيتين (٣١) و(٣٤) .. والمقصود فى كلمة القرية فى الآيات فى كل من سورة الأنبياء والفرقان والعنكبوت، هى تلك القرية التى كان يقيم بها لوط عليه السلام والتى دمرها رب العالمين إزاء ما كان يرتكبه أهلها من فعل المنكرات، وهى تعرف فى التاريخ الانسانى باسم قرية سدوم وعمورية، وقد أسكنها رب العالمين تحت مياه البحر الميت وفق ما قاله عشرات من المفسرين بعدما دمرها جبريل عليه السلام وقلبها رأساً على عقب إزاء ما كانوا يرتكبونه من معاصٍ.

ويقول المفسرون عما وقع لأهل هذه القرية ومصيرهم : أنهم بعدما علموا بوجود ضيوف لوط عليه السلام من الملائكة وهم لا يعرفون أصلهم أو ماهية جنسهم ، جاءوا إليه مسرعين يسوق بعضهم بعضاً إلى بيته من شدة الفرح، ومن قبل هذا المجىء كان هؤلاء القوم الفاسقون يرتكبون السيئات الكثيرة التى كان من أقبحها إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء.

ويؤكد الدكتور محمد سيد طنطاوى أن القرآن الكريم قد طوى ذكر الغرض الذى جاءوا من أجله لإشعارنا بتلك الفاحشة التى صارت عادة من العادات المتأصلة فى نفوسهم الشاذة، فلا يسعون إلا من أجل قضائها.

وأضاف أنه وبعد أن بلغ الضيق بلوط عليه السلام ما بلغ كشف له الملائكة عن حقيقتهم وبشروه بما أدخل الطمأنينة على قلبه، مؤكدين له أن الله تعالى قد أرسلهم كى يخبروه بهلاك أهل هذه القرية، وطلبوا منه أن يتركها فى الليل هو وأهله إلا امرأته، فإنه سوف يصيبها ما سوف يصيبهم عندما يأتى الصباح.

وصدق هؤلاء الملائكة فيما أبلغوه لهذا النبى الكريم، حيث اقتلع جبريل عليه السلام تلك القرية وما حولها ثم قلبها.. وفى رواية أخرى أن هذا الملاك الكريم أدخل جناحيه تحت هذه القرية فرفعها ثم قلبها..، ليس ذلك فقط، بل لقد أرسل الله عليهم حجارة من طين متحجر نزلت عليهم كالمطر، وقيل إنها كانت بعلامة خاصة بأسماء من سوف تنزل عليهم لقتلهم!

وهناك شبه إجماع بين المفسرين وبين المؤرخين على أن القرية التى كان يقيم بها

لوط عليه السلام وشملها وأهلها هذا العذاب هى قرية سدوم التى كانت تقع على البحر الميت فى وادى نهر الأردن، وهناك آلاف المحاولات من جانب رجال الآثار والمستكشفين فى العصر الحديث للوصول إلى هذه القرية التى تقبع وأهلها أسفل هذا البحر .

وتسمى قرى أو قرية قوم لوط بالمؤتفكات وهى جمع مؤتفكة، ومعناها الانقلاب بجعل الشئ أعلاه سافله، وهذا ما وقع بالفعل لتلك القرى التى كانت ترتكب الفحشاء غير المسبوقة على زمانهم!.

** اليم: فى ماء النيل وماء البحر:

إذا ما جاء ذكر لفظ اليم كمكان مشهور فى كتاب الله كان لا بد لنا وأن نتذكر سوياً قصة موسى عليه السلام. لأن هذا المكان قد ارتبط ببداية حياته حين خافت عليه أمه من أن يقتله الفرعون، كما ارتبط كذلك بنهاية حياة ذلك الفرعون الذى كان مصيره وجنوده الغرق فى ذلك اليم.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم كلمة اليم فى سورة الأعراف الآية (١٣٦)، وفى سورة طه الآيات (٣٩)-(٧٨)-(٩٧) وفى سورة القصص الآيتين (٧) - (٤٠) ثم فى سورة الذاريات الآية(٤٠) .

وكما سبق وذكرنا فإننا حين نقرأ كل هذه الآيات التى جاءت فى هذه السور الكريمة الأربع.. سوف نكتشف أن اليم كمكان مشهور لم يأت ذكره إلا فى قصة موسى عليه السلام من بدايتها وحتى نهايتها ويتجلى ذلك فى قوله تعالى:﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

وفى قوله تعالى:﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم﴾. وكان بين هذه البداية وتلك النهاية أحداث كثيرة وعظيمة شهدتها قصة موسى عليه السلام فى صراعه مع فرعون من أجل هدايته إلى رب العالمين وتركه لعبادة ذاته وعبادة قومه له من دون الله!.

واليم كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم معناه البحر ملحاً كان ماؤه أو عذباً، ذلك لأننا بالفعل نجد هذين المعنيين فى كتاب الله وفى قصة موسى عليه

السلام. فقد أخبرنا الله تعالى بأنه أوحى إلى أم موسى أن تلقيه فى اليم حيث كان الماء العذب يجرى من أمام قصر فرعـون.. إذ قدر الله تعالى أن يتوقف التابوت الذى كان يسبح فى ذلك اليم العـذب أمام إحدى جوارى زوجـته فأتت به إلى قصـرها، ولقد ألقى الله تعـالى محـبته كطفل فى قلبهـا فطلبت من زوجـها ذلك الفـرعون العنيـد. والذى كان يقتل أبناء قوم موسى أن يبقيه داخل القصر.

ويقال فى هذا الشأن أن فـرعون موسى لم يكن آنذاك ينجب فاختـارت زوجته أن تتخذه ولداً لها، وهنا تتدخل مشيئة الخالق العظيم الذى يدبر كل شىء تدبيراً حكيماً.

أمـا المعنى الخاص بكون هذا اليم به مـاء مـالح، فقـد ارتبط كذلك بنهـاية قصـة فرعون مـوسى حيث أغرقه الله تعـالى وجنوده ووزيره هامان فى هذا اليم المالح وهـم فى طريقـهم إلى خارج مـصـر هرباً من مطاردته وجنوده وكـبير كـهنته ولحكمـة لا يعلمها إلا الله، فقد طفت جثة الفرعون ولم تغرق مثلما غرق كل من كانوا معه.

** الطور .. عندما كلم الله موسى:

وفى قصة موسى عليـه السلام أيضاً أماكن مشهورة أخـرى جاء ذكرها فى القرآن الكريم وهى تستـوجب منا التوقف عندها لتدبرها والتعـرف على معانيهـا ومغزاها. ومن بين هذه الأمـاكن الطور أو الطور الأيمن. ومن عظيم رحـمـة الله وتقديره لهـذه البقـعة المبـاركة فـوق أرض مصر.. أن ذكـرها العديد مـن المرات فى كتابه الـعزيز. فالطور كما هـو معروف هو الجبل أو اسم لجبل. وجاء ذكـره فى كتاب الله فى سورة البـقرة الآية (٦٣) وباللفظ فى (٩٣).. وفى سـورة النساء الآية (١٥٤) ومـريم الآية (٥٢) وطه (٨٠) والقصص الآيتين (٢٩ و٤٦) والطور الآية (١) .

كمـا ذكر لنا ربنا سبحـانه وتعالى الطور كمكان مـشهور فى هذا الكتـاب العزيز مقروناً بصحراء سيناء مـثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ الآية (٢٠) فى سورة المؤمنون. ومعناه فى هذه الآية وكما يقـول معجم ألفاظ القرآن الكريم: جبل قرب أيله.

ثم جاء نفس اللفظ مـقروناً بلفظ أخر يشـير إلى لفظ سيناء مع اختـلاف الحروف

وذلك فى قـوله تعـالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ﴾ الآية (٢) من سـورة التين، وطور سنين هنا معناه طور سيناء.[1]

وما نود أن نشير إليه فى سياق الحديث عن هذا المكان المشهور هو أن الطور وطور سيناء وطور سنين إنما يدل على مكان واحد. قد ارتبط بالمرحلة الثانية من مراحل حياة موسى عليه السلام الإيمانية. هذه المرحلة التى بدأت من بعد هروبه الأول من مصر على إثر ما حدث منه تجاه هذا المصرى الذى قتله.

ولقد شهدت هذه المرحلة تكليفه من لدن رب العالمين بالدعوة إلى الله وهداية فرعون مصر، هذه الدعوة التى تلقاها موسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن من البقعة المقدسة والتى تجلى فيها رب العالمين بنوره الذى سطع على الكون كله فى هذه اللحظة التى كلم فيها موسى عليه السلام.

وهناك العديد من المؤرخين وكتاب السير الدينية الذين توسعوا فى الحديث عن الطور ومكانه ودوره فى حياة موسى عليه السلام ومسيرة رسالته السماوية، كما تناول الحديث بعينه بعض مؤرخى الكتاب المقدس، ونرى الدكتور رشدى البدراوى يشير إلى كل ذلك فى قوله: إن التوراة تذكر أن هناك جبلين كلم الله موسى عليه السلام عليهما أحدهما جبل حوريب بجوار خليج العقبة والآخر جبل موسى المعروف فى جنوب سيناء.

بل إن معظم الكتب الدينية قد أجمعت على أن جبل حوريب هو نفسه جبل سيناء، ويؤكد الدكتور البدراوى، ونحن معه بطبيعة الحال بأن الحق هو ما قرره القرآن الكريم خاصة فيما يتعلق بالطور.. إذ إن موسى عليه السلام بعدما أمضى عشر سنوات فى أرض مدين استأذن حماه فى العودة إلى مصر وأخذ أهله معه وسار فى طريق العودة حيث انحرف جنوباً فوصل إلى جبل سيناء.

وفى ظل هذا الجبل المبارك حدث له ما حدث وفق ما حكاه القرآن الكريم عن

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم – جزء ٢ .

كلام الله لهذا النبى الصالح وتكليفه برسالته السماوية الأولى. والمعروفة بالديانة اليهودية.

ويؤكد الدكتور البدراوى أن موسى عليه السلام بدأت رحلة عودته إلى مصر مرة أخرى بعد أن بدأ فصل الشتاء. والدليل على ذلك قوله لأهله وفق ما جاء فى القرآن الكريم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ الآية (٧) من سورة النمل.

لقد ساقه الله إلى هذا المكان فى وسط سيناء بعيداً عن الطريق الذى تسلكه القوافل جيئة وذهاباً بإبلها وروثها، فوصل إلى المنطقة المسماة «الطور» وفيها الجبل الذى سُمى فيما بعد «جبل موسى». فلما رأى النار طلب من أهله أن يبقوا مكانهم، أما هو فسار حتى اقترب من النار فرأى عجبا على حد قول ابن عبّاس: إنه رأى شجرة أطافت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون، فوقف متعجباً من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة، فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها. (١) .

ويؤكد نعوم شقير فى كتابه «تاريخ سيناء القديم والحديث» أن جبل طور سيناء الذى إليه تنسب الجزيرة كلها هو نفسه الجبل الذى جاءه موسى عليه السلام وناداه الله من جانبه الأيمن كى يعود إلى مصر لهداية آل فرعون، وهو جبل يقع على نحو ٦٠ كيلو متراً إلى الشمال الشرقى من مدينة الطور، بل ويؤكد فى السياق نفسه أنه نفس الجبل الذى نزل عنده النبى موسى عليه السلام بعد خروجه بالإسرائيليين من مصر وتجلى الله له فأنزل عليه الشريعة. إضافة إلى ذلك فهو جبل خال من أى أنواع الخضرة وصعب ارتياده.

** الوادى المقدس طوى:

لا بد وأن نشير فى البداية إلى أن الله تعالى قد بارك كل أرض سيناء وجعل منها أول بقعة فوق سطح الأرض تشهد تجلى رب العالمين لأحد عباده الصالحين. وقد

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم – جزء ٢ .

سبق ومر علينا كيف استقبل موسى عليه السلام هذا التجلى الذى أسفر عن تكليفه بدعوة فرعون إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ويبدو من سياق حديث القرآن الكريم أن جبل الطور أو طور سيناء أو جبل موسى هو جزء أصيل من الوادى المقدس طوى الذى شهد كل أحداث تكليف موسى بهذه الرسالة السماوية فى مراحلها المتعددة سواء من قبل وصوله إلى مصر مرة ثانية أو من بعد رجوعه إلى أرض سيناء مع قومه من بنى إسرائيل.

والمسألة هنا فى تصورنا قد تعدت فكرة الجبل المرتبط بهذه الرسالة إلى واد كبير وعظيم وأرض مباركة مثل سيناء.. تلك التى شهدت تفاصيل لقاءات موسى عليه السلام وقومه مع رب العالمين..وتلقيه الألواح وأحداث أخيه وقومه والسامرى الذى صنع لهم عجلاً مما خرجوا به من أموال وذهب وحلى كى يعبدونه من دون الله.

أما فيما يخص الحديث عن الوادى المقدس طوى ومدى قدسيته بالنسبة لموسى عليه السلام وبالنسبة لنا أيضاً.. فإن الله تعالى قد أمر نبيه بأن يخلع نعليه حيث دخل إلى هذا الوادى المقدس، ويتجلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ الآية (١٢) من سورة طه كما جاء نفس اللفظ فى سورة أخرى هى سورة النازعات الآية (١٦).

ولقد تبارى المفسرون فى أسباب خلع موسى نعليه وفق ما أمره به رب العالمين.. ومما ذكروه فى هذا السياق قولهم: بأنها متعلقة بما بعدها وأن هذين النعلين كانا من جلد غير مُذكى فكانت نجسه، وقيل أيضًا لقد أُمر بذلك لتمس قدماه تربة ذلك الوادى المقدس فينال البركة، والأرجح وفق ما ذهب إليه الدكتور رشدى البدراوى أنها متعلقة بما قبلها أى : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ للخشوع والتواضع عند مناجاة رب العالمين.. وقد أخذ بهذا الرأى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ويضيف المفسرون: أن موسى عليه السلام وفى هذا الوادى المقدس قد أعطاه رب العالمين بعض الآيات التى سوف تعينه فى رسالته ضد فرعون، ومن هذه الآيات عصاه التى تحولت إلى ثعبان عظيم، ويده التى خرجت بيضاء من غير سوء.. إضافة إلى ما طلبه موسى عليه السلام من ربه بأن يجعل من أخيه هارون وزيراً له ومعيناً،

لأن هارون عليه السلام كان أفصح منه لساناً. مما يعنى أن رسالته هذه إلى فرعون كانت تعتمد فى المقام الأول على الإقناع بالحديث الطيب اللين والذى قد لا يقدر عليه موسى عليه السلام.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم أن الله تعالى قد أمد نبيه موسى عليه السلام بتسع آيات إلى فرعون وقومه، ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوى أن الوادى المقدس اسمه طوى والمقدس هنا معناه المطهر المبارك.

والسؤال الذى يجب أن نجتهد فى البحث عن إجابة له تقول كلماته: وهل الوادى المقدس طوى هو أحد أودية صحراء سيناء،؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فإن هذه الأرض الطيبة مكونة أو كانت مكونة جغرافيا من عدة أودية لم يصرح لنا الله تعالى إلا بأحدها والوادى - كما نعرف لا بد وأن تكون فيه كل مقومات الحياة من مياه وزروع.

ولعلنا نركب عجلة الزمن كى نصل من خلالها إلي أيامنا هذه لنتذكر سوياً ما أكده العالم المصرى الدكتور فاروق الباز من أن صحراء سيناء كانت أودية غناء بالخضرة والمحاصيل بدليل أن الأقمار الصناعية أثبتت أن فى أسفل هذه الصحراء أعظم وأكبر خزان ماء جوفى فى العالم.

بل وأكثر من ذلك قال أيضاً.. أن الأقمار الصناعية أثبتت أنه كانت هناك أنهار كثيرة فى هذه الصحراء، وأن هذه الآبار الجوفية الموجودة حالياً هى من نتاج هذه الأنهار، وبالتالى فعلينا أن نواصل البحث فى هذا الوادى وفى غيره من وديان أرض سيناء التى باركها رب العالمين عندما تجلى على أرضها وعلى جبالها أكثر من مرة.

ويبدو أن الرئيس الراحل أنور السادات قد أراد أن يحيى هذا المكان ويعيد إليه روح الزمن الماضى، عندما فكر قبيل وفاته فى تحويل هذا المكان إلى ما أسماه آنذاك بوادى الراحة !، هذا الوادى الذى شهد التقاء أصحاب الديانات الثلاث فوق أرضه موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام[1].

---

(١) راجع كتابنا: أماكن مشهورة فى حياة محمد ﷺ .

** مجمع البحرين.. والخضر عليه السلام:

الواضح فى كل كتب التفسير، الاهتمام بقصة مجمع البحرين وما ارتبط به من لقاء موسى عليه السلام بذلك العبد الصالح والذى أجمعت عليه كل كتب السيرة وكل ما كتب المؤرخين من أنه هو الخضر عليه السلام، وذلك دون أن يلتفت أحد من هؤلاء كى يحدثنا بالتفصيل عن مجمع البحرين هذا ومكانه وموقعه، ذلك لأن هذا المكان الطاهر هو جزء أصيل من القصة نفسها .

ولقد رأينا أن هذا الأمر مختلفاً بعض الشىء لدى كل من الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وكذلك الدكتور رشدى البدراوى صاحب كتاب قصص الأنبياء والتاريخ خاصة فى الجزء الرابع والذى صدر تحت عنوان «موسى وهارون عليهما السلام» ومن هو فرعون موسى!.

فقد أشار الدكتور طنطاوى فى بداية حديثه عن هذا المكان أولاً إلى معناه لغوياً.. حيث قال: إن مجمع البحرين هو ذلك المكان الذى فيه يلتقى البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط، ونقل عن الألوسى قوله: والمجمع: الملتقى وهم اسم مكان، والبحران: بحر فارس والروم. كما روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما .. وملتقاها: مما يلى المشرق، ولعل المراد به مكان يقرب فيه التقاؤهما، وقيل البحران: بحر الأردن وبحر القلزم.

وواضح هنا أن الألوسى قد نقل حديثه هذا عن النيسابورى الذى قال هو الآخر: «حتى بلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى الشرق» وقد جاء ذلك ضمن حديث طويل للنيسابورى عن قصة موسى عليه السلام وكيفية لقاؤه بالخضر عليه السلام، وعلامات ذلك اللقاء ونتائجه.

كما ينقل لنا الدكتور طنطاوى رأياً جديداً كتبه الشيخ سيد قطب فى كتابه فى ظلال القرآن والذى قال فيه عن مجمع البحرين: إنهما البحر الأبيض والبحر الأحمر، ومجمعهما مكان التقائهما فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

أما الدكتور البدراوى فيشير إلى هذا الخلاف الذى لاحظه بين المفسرين فيما يخص تحديدهم لمكان مجمع البحرين، فيقول : اختلف المفسرون فى تحديد هذا المكان حيث قال الألوسى والطبرى أنهما بحر فارس والروم. أو بمفهومنا الحاضر الخليج الفارسى أو العربى والبحر الأبيض المتوسط.

وقالوا: ملتقاهما مما يلى المشرق، ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما وإلا فهما لا يلتقيان إلا فى البحر المحيط. بينما ذكر أبو حيان أن مجمع البحرين يلى الشام.

وقال محمد بن كعب القرظى: هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور إلى حسبا، وقال أُبى إنه بإفريقية.

وروى عن السدى: البحران هما الكر والرس بأرمنيا وقيل بحر القلزم (البحر الأحمر) وبحر الأزرق، وللأسف لا يوجد على الخرائط بحر اسمه الأزرق، وقيل هما بحر ملح وبحر عذب وملتقاهما فى الجزيرة الخضراء فى جهة المغرب.

ويرجع الدكتور البدراوى هذا التخبط فى الوصول إلى حقيقة مكان مجمع البحرين بخصوص ما ساقه المؤرخون الأوائل إلى عدم معرفتهم بعلم الخرائط الذى ظهر حديثاً نوعاً ما كما كانت معلوماتهم الجغرافية مشوشة وغير دقيقة.

وبناء على المعلومات المتاحة حالياً فإننا نعرف أن مجمع البحرين هو مكان التقاء خليجى العقبة والسويس، ويؤكد الدكتور البدراوى أن هذا التفرع موجود منذ ملايين السنين ولكن لم تدركه عقول علماء الجغرافيا. وهذا المكان قد جاء ذكره كمكان مشهور فى كتاب الله فى سورة: الكهف (٦٠). أما لفظ البحرين فقد فقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سور: الفرقان (٥٣) والنمل (٦١) و(١٩) الرحمن.

وما عرفناه من المفسرين الأوائل بخصوص مجمع البحرين وكثرة اختلاف المفسرين حوله إنما كان يؤكد اجتهادهم قدر ما توافر لديهم من معلومات، وبالتالى لا يعد ذلك شططاً فى التفسير، حتى أن بعضهم حين أعيته الحيلة افترض أن البحرين هما موسى والخضر. أى أنهما بحران من المعرفة، بل وقال آخرون إن شخصية الخضر هى شخصية اعتبارية أو رمزية، بل وأكثر من ذلك فقد أنكر بعضهم أن يكون موسى

عليه السلام هو صاحب هذه القصة بل هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وقيل موسى بن أفرايم بن يوسف.

** وادى النمل .. وسليمان عليه السلام:

يقول الكثير من المؤرخين إن سليمان عليه السلام، كان يملك جيشاً كبيراً فى العدة والعتاد.. حتى أن نملة قد رأت هذا الجيش المهول من حيث عدده فخشيت على نفسها وعلى قومها.. فقالت وفق ما ذكره مولانا تعالى فى كتابه العزيز: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النمل الآية ١٨) .

ووادى النمل هذا وفق ما ذهب إليه الكثير من المؤرخين هو وادٍ كان يتبع مملكة سليمان والرأى الأرجح أنه وادى فى أرض فلسطين.

ونحن نعرف أن النمل يقيم دائماً منازله ومساكنه تحت الأرض.. وكثيراً ما يخرج القادرون منهم لالتقاط أرزاقهم من فوق سطح الأرض.

وهناك بعض المفسرين الذين يرون أن وادى النمل المقصود فى هذه الآية هو وادى السدير أحد أودية الطائف.

كما توسعوا فى الحديث عن هذا الوادى وطوله، فقال النيسابورى إن هذه النملة قالت قولتها هذه وسليمان عليه السلام كان على بعد ثلاثة أميال من هذا الوادى لأنه وعلى حد قوله لم يكن يتكلم خلق إلا حملته الريح وألقته فى مسامع سليمان عليه السلام.

وفى بعض الأخبار - والكلام لا يزال للنيسابورى - إن سليمان لما سمع قولها نزل إليهم وقال ائتونى بها فأتوه بها.. فقال لها لم حذرت النمل ؟ هل سمعت أننى ظالم؟! أم علمتم أنى نبى عادل؟! فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ قالت النملة: يا نبى الله أما سمعت قولى: وهم لا يشعرون.

وهناك رواية أخرى سردها لنا الدكتور البدراوى فيما يخص وادى النمل ولم يحدد لنا فيها موقفه ولأول مرة وعلى غير عادته.. يقول فيها: حتى إذا اقتربوا من

مـسـاكن النمل بواد من الوديان، ولايهـم تحديـد مكانه!!- رأت نملة ولعلهـا كـانت المسئولة عن حراسة قومها فى ذلك اليـوم الذى مر فيه سليمان وجنوده، وتحذرهم من الأخطار - جيوش سليـمان تقترب من أماكن سعـيها فخشيت أن تحطمـها فصاحت تحذر أقرانها وتأمرهم بأن يدخلوا مساكنهم تحت الأرض إلى أن يمر جيش سليمان.

ويؤكد فى السـياق نفسه وعلى غـير ما ذهب إليه بقـية المفسرين أن الله تعـالى قد أوحى لنبيه سليمان بما قالته هذه النملة، مما جعل سليمان عليه السلام يأمر بأن يبطىء جيشه المسـير حتى تمر هذه النملة وغيرها من قومهـا فى سلام، عندئذ تبسم هذا النبى الكريم مما قـالته، وقال آنـذاك داعياً الله تعـالى:«رب أوزعنى أن أشكر نعـمتك». أى اجـعلنى أوزع شكر نـعمـتـك، أى ارتبط به، مـجـازاً عن مـلازمـة الشكر والمداومـة عليه.(١)

** المغتسل .. حيث أراد الله الشفاء:

يتضح من تتبعنا الواعى لقصة نبى الله أيوب عليه السلام..وصاحب المغتسل.. أنه من أحفاد سيـدنا إبراهيم الخليل. كما أن أمه حفيـدة لوط عليه السلام، وبذلك وعلى حد قـول الدكتور أحـمد شلبى فـإن العهد الذى عـاش فيه يكون تـقريباً بين عـهدى يوسف وموسى عليهما السلام.

ولقد قـصدنا بالحـديث المقتـضب عن نسب هذا النبى الكريم تحـديد المكان الذى عاش فيـه سواء وهو صحيح البدن أو من بـعد مرضه، والمكان المقصـود وفق ما جاء فى كل الروايـات هو أرض الشـام ويقع بـالقـرب من فلسـطين، وبالتـالـى فـإن هذا المغتسل إنما هو موجود فى أحد هذه الأماكن .

وفى أثناء زيارة خاصة لى إلى دمـشق شاهدت داخل المسجد الأموى الكبـير بئراً عميقاً فى وسط هذا المسجد كان النصارى من قبل يتعمدون بمائه.

هذه البئر ضُمت إلى المسجد بعد الفـتح الإسلامى وكانت من قبل داخل الكنيسة التى كانت قائمة آنذاك من قبل بناء هذا المسجد.

ومن المحـتمل أن تكون تلـك العين أو هذه البئـر البـاردة هى التى تفجـرت تحت

(١) أنبياء بنى اسرائيل - د. رشدى البدراوى.

قدمى أيوب عليه السلام وبوحي من رب العالمين من أجل شفائه، وذلك وفق ما جاء فى الآية الكريمة: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ الآية (٤٢) من سورة ص.

وهناك من المؤرخين ومن المفسرين الذين تحدثوا بتوسع عن هذا النبيّ وعن ابتلائه، ومن هؤلاء قول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى: إن أيوب عليه السلام هو ابن أموص بن برزاح وينتمى نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكان صاحب أموال كثيرة وله أولاد، فابتلاه الله فى ماله وجسده وولده، وظل صابراً صبراً جميلاً حتى أتاه فرج الله فيما أوحى إليه به بأن يضرب الأرض التى كان يقم فوقها وهو سقيم.

وربما هى منزله أو مكان ملحق بهذا المنزل، فانفجرت تحت قدميه عين ماء كانت بالنسبة له مغتسل وشراب.

وهذا هو الماء الذى جعله رب العالمين شفاء له من كل أسقامه ومشكلاته الصحية.

وهناك تفسير مهم أورده لنا الدكتور أحمد شلبى فى كتابه عن أنبياء الله.. وفيه يقول: يروى أن زوجته عليه السلام كانت تساعده على قضاء حاجته، ولكنها أبطأت عليه فى إحدى المرات، فلم يجد ما يغتسل به بعد أن قضى حاجته ولم يجد من يأخذ بيده عقب ذلك. فجاءت لفته السماء «أركض برجلك» أى اضرب الأرض برجلك، فامتثل لأمر الله واضرب الأرض، فأنبع الله له عين ماء وأعلمه الله أن «هذا مغتسل وشراب» ليغتسل من الماء ويشرب منه.

وما إن فعل ذلك حتى أذهب الله عنه ما كان يعانى منه من الأذى والألم والسقم والمرض، وأبدله الله عقب ذلك صحة ظاهرة وباطنة وأعاد له جسمه كما كان من قبل تغمره الفتوة والصباحة والجمال [1].

وهناك بعض الروايات التاريخية التى تحدثت كذلك عن هذه العين. وهى التى حدثنا عنها الدكتور رشدى البدراوى عندما أشار إلى أن الله أنبع له عينًا وأمره بأن

(١) أنبياء الله - د. أحمد شلبى - مصدر سابق.

يغتسل فيها فأذهب جميع ما فيه من ألم ومرض. ثم أمره فضرب الأرض فى مكان آخر فأنبع له عينًا أخرى، وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما فى بطنه من السوء. وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، أى ذهبت القروح التى كانت بالجلد والآلام التى كانت فى الجسم.

وفى قول آخر: أنه عليه السلام قد ضرب برجله اليمنى فنبعثت عين حارة فاغتسل منها وبرجله اليسرى فنبعثت عين باردة فشرب منها، ولكن ظاهر المعنى هو عدم التعدد باعتبارها عين واحدة كانت له مغتسل وشراب.

وقالوا أيضاً: لما دعا جبريل عليه السلام فأخذه بيده ثم قال: قم فقام من مكانه، وقال: اركض برجلك فنبعثت العين فاغتسل وشرب وبرأ.

** الغار .. وصاحبة ثانى إثنين:

فى حياة نبينا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام أماكن مشهورة كثيرة جاء ذكر بعضها فى القرآن الكريم وتولت السيرة النبوية وكُتابها إكمال الحديث عن هذه الأماكن، وكان لنا شرف الإشارة إلى كل هذه الأماكن فى كتابنا الذى أصدرناه منذ عدة سنوات تحت عنوان «أماكن مشهورة فى حياة محمد».

وها نحن الآن نختتم حديث هذا الفصل الخاص بالأماكن المشهورة التى ذُكرت بكتاب الله وارتبطت بحياة الأنبياء وبرسالتهم السماوية بالحديث عن «الغار» الذى ذكره ربنا تعالى فى كتابه العزيز، وكان بمثابة الوعاء الآمن الذى استوعب النبى الكريم وصاحبه وكان له دوراً كبيراً فى حمايتهما وحماية الإسلام.

وفى حقيقة الأمر وكما يؤكد ذلك الدكتور أحمد شلبى فى حديثه عن السيرة النبوية العطرة. أن الإسلام ارتبط فى مسيرته الطويلة بغارين.. غار منهما بدأ فيه الوحى وظهر الإسلام، ذلك هو غار حراء.. وغار آخر بدأت به الهجرة النبوية. تلك الهجرة التى هيأت للإسلام أن يصبح أقوى من أعدائه.. ذلك هو غار ثور.

ونحن نضيف إلى ما قاله المؤرخ الدكتور أحمد شلبى. أن الله تعالى لم يذكر لنا

فى كتابه العزيز صراحة إلا غار واحد فقط، وإن لم يصرح لنا باسمه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية الأربعين من سورة التوبة.

هذا الغار الذى شهد بدايات ساخنة لمطاردة أهل قريش كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل والذى وصف لنا رحلته عليه الصلاة والسلام إلى ذلك الغار والتى كانت بتوفيق ورعاية من الله العظيم.

وهو يقول فى هذا الوصف: «وفى اليوم الثالث حين عرفا - أى محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبى بكر - أنه قد سكن الناس عنهما أتاهما صاحبهما ببعير له، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر بطعامهما. فلما ارتحلا لم تجد ما تعلق به الطعام والماء فى رحالهما فشقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر. فسميت بذلك بذات النطاقين».

ثم امتطى كل رجل بعيره ومعهما طعامهما ومع أبى بكر خمس آلاف درهم هى كل ماله. وزادهما اختفاؤهما بالغار ذلك النسيج الخاص بالعنكبوت والحمامتان والشجرة. (١)

وغار ثور يقع فى جبل ثور الذى يقع على بعد خمسة كيلومترات جنوب مكة المكرمة، ويتسم بالمشقة فى الصعود، فهو على حد قول الدكتور أحمد شلبى: إن الصعود إلى غار ثور أشق وأصعب حيث فيه الكثير من المرتفعات، ويصعب أن يصل الإنسان إلى قمة من قمم ذلك الجبل ثم ينحدر بضع عشرات من الأمتار، ثم يصعد ثانية قمة أخرى من قمم الجبل ثم يعود للانحدار وهكذا عدة مرات، إلى أن يصل إلى القمة التى يقع بها الغار والذى اختبأ فيه رسولنا وصاحبه.

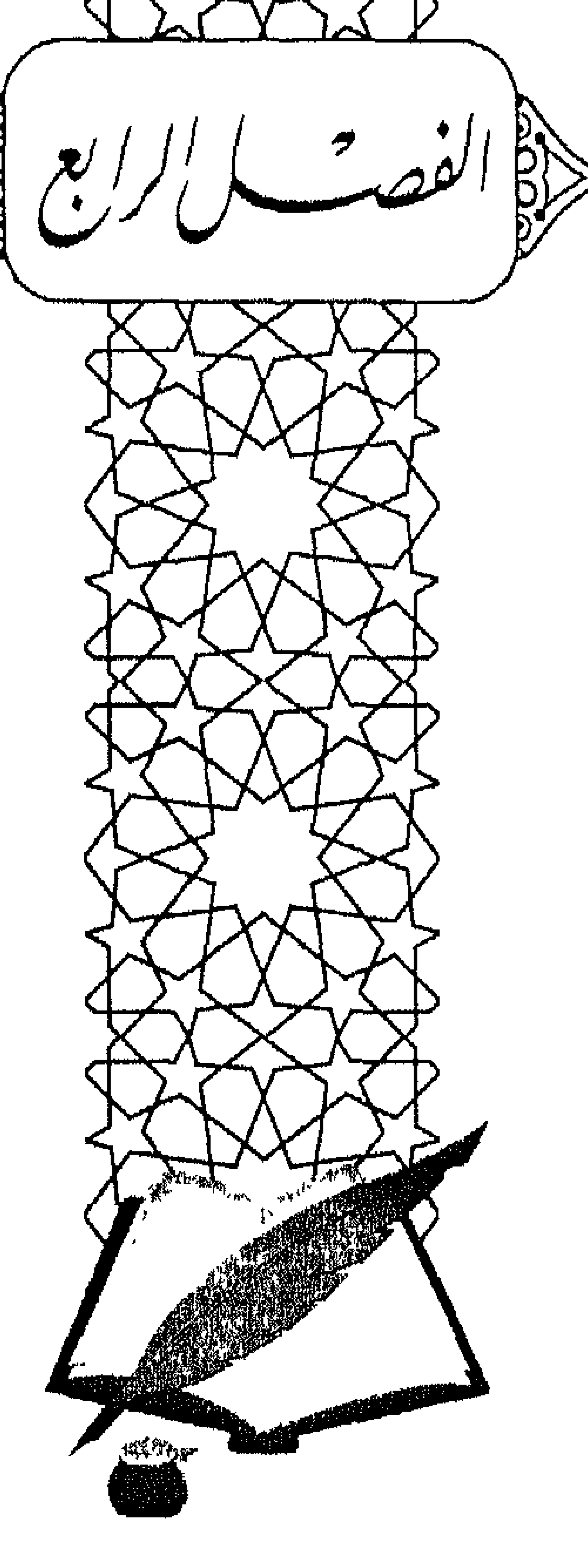
ويضيف الدكتور أحمد شلبى: وفى جبل حراء ليس هناك إلا غار واحد هو غار

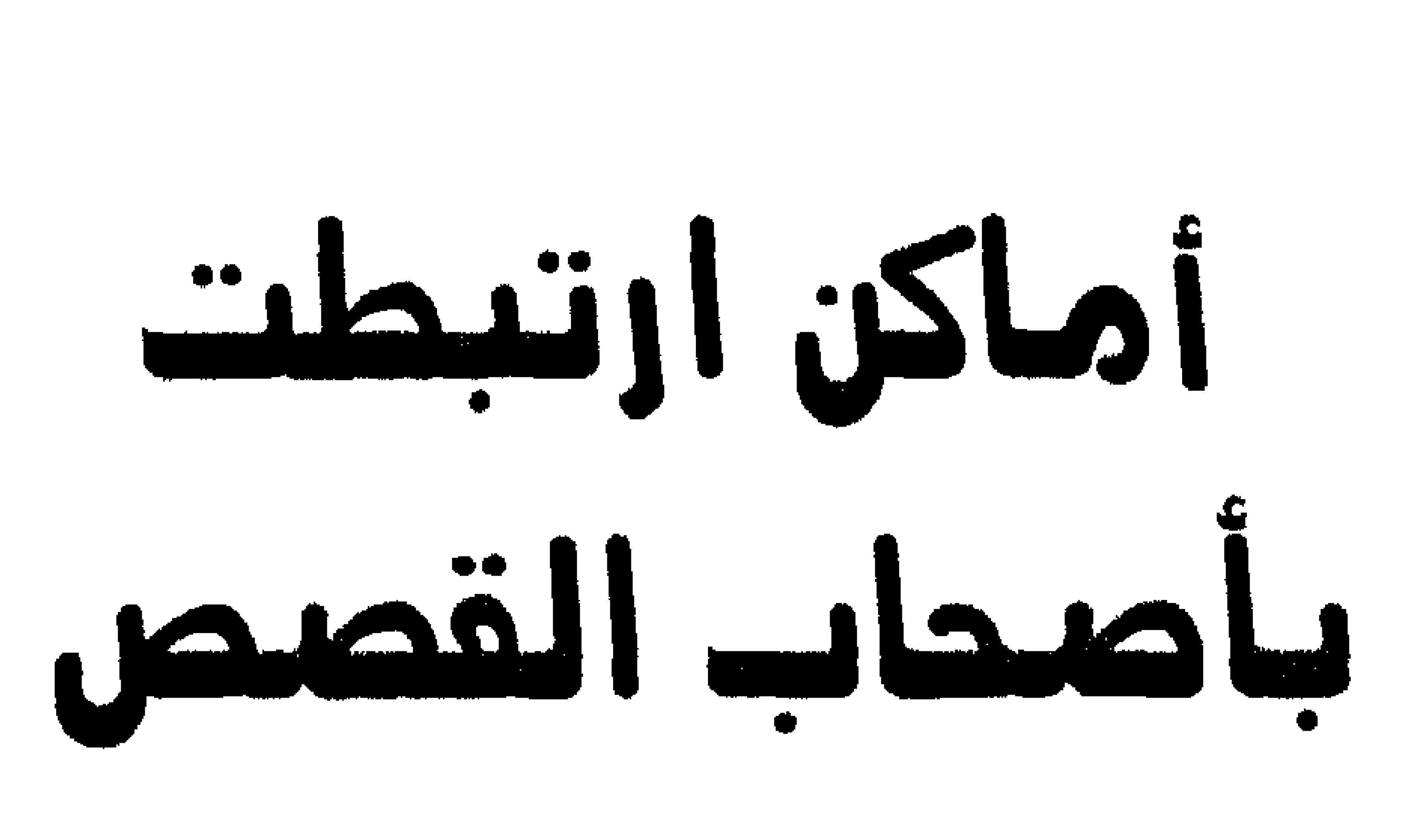
(١) حياة محمد ﷺ - د، محمد حسين هيكل.

حراء، أما فى جبـل ثور فهناك عديد من الغيران، وهذا ما جـعل من الصعب البحث فى كل غار عن محـمد وصاحبه لـكثرتها وانتشارها هنا وهنـاك، وربما بحثت قريش فى غار ثم بحثت فى غار آخر، وثالث فـوجدت الحيـوانات والزواحف، ثم توقفت لكثرة الغيران وللإحساس بعدم جدوى البحث فيها.

ليس هذا فقط بل إن غار ثور فى موقعه كان يناسب حـال الاختفاء كما يوجد فى سفحـه سهل به بعض المراعى مما يتيح للمرافق للنبى وصـاحبه أن يرعى غنم أبى بكر بعيداً عن ذلك الغار حتى يستطيع أن يصعـد للغار ليلاً ليحمل ألبان الأغنام للرسول ﷺ وصاحبه.

وبخلاف ذلك فقد تحدث العديد من الجغرافيين عن هذا الجبل وما احتواه من غار أمين وما آل إليـه الآن إذ أكدوا أن العمران بمكة المكرمـة قد وصل إلى سفوحـه الدنيا ففى طرفـه الشمـالى يقع حى الهجرة وعـلى طرفة الجنوبى الغربى حـى بطحاء وفى جنوبه الشرقى يقوم حى العوالى .. وهى الضاحية الجنوبية الجديدة لمكة المكرمة.





أماكن ارتبطت بأصحاب القصص

الفصل الرابع

أماكن ارتبطت بأصحاب القصص

القرآن الكريم كتاب الله إلى يوم القيامة فيه العشرات من القصص القرآنية التى رواها لنا رب العزة سبحانه وتعالى من أجل تحقيق العديد من الأهداف، ومن فضل الله ورحمته على عباده أنه بَيَّنَ لنا تفاصيل هذه القصص كما بَيَّنَ لنا كذلك الهدف من ذكرها فى هذا الكتاب العزيز.

هذه القصص المختلفة سواء المتعلق منها بالأنبياء أو بالرسل أو بالأمم السابقة أو بعباده الصالحين أو بعباده من الكافرين قد امتلأت كذلك بالأماكن المشهورة والتى ذكرها أيضاً كتاب الله الكريم. ولو أخذنا فى إحصاء هذه الآيات والسور الكريمات والتى تحدثت عن القصص التى أشارت إليها سوف نجدها كثيرة ومتنوعة، ومنها ما هو فى سورة القصص والنمل وفاطر والنساء ويوسف والتى تعتبر من أكبر سور القرآن الكريم التى ارتبطت بالقصص، وكذلك هناك من القصص الذى ورد فى آيات بينات أخرى وسور كريمة مثل الأعراف وهود وطه والأنعام وآل عمران.

ولعلنا نسوق هنا بعض من هذه الآيات الشريفة والمتعلقة بهذا الأمر المهم فى حياة البشر وحياة المسلمين لما فى ذلك من نفع عظيم.

يقول ربنا تعالى فى سورة يوسف عليه السلام: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية(٣).. والمقصود فى هذه الآية الكريمة هو رسولنا ﷺ، وفى سورة الأعراف الآية (١٠١) فى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾.

من ناحية أخرى إذا ما قمنا بنفس المهمة وأردنا أن نقترب من موضوع هذه القصص وشخوصها.. فسوف نكتشف أن هناك العشرات من المواقف ومن الشخصيات ومن الأماكن التى ارتبطت بتلك القصص والتى سوف نتناولها نحن أيضاً بالتفصيل من خلال إلقاء الأضواء المبهرة على ما جاء بها من أماكن مشهورة،

وذلك استكمالاً لدورنا فوق هذه الأوراق والتى يقوم منهجنا فيها على بيان أشهر الأماكن المذكورة فى كتاب الله، وما جاء بشأنها من آيات وسور قرآنية، وما ارتبط بتلك الأماكن من أحداث مست حياة هذا النبى أو غيره أو لعبت دوراً عظيماً.

كما أننا ومن خلال هذا الفصل الجديد سوف نتناول الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها فى قصص بعض الشخصيات من غير الأنبياء أحياناً. ولعلنا نضرب مثالاً أو مثالين على ذلك، فهناك قصة أصحاب الأخدود..، ومن خلال هذه الأوراق سوف نبحث عن معنى الأخدود ومكانه وأثر هذه القصة فى حياة هؤلاء المؤمنين، كذلك أصحاب الكهف والرقيم.. وذلك من أجل التعرف على ماهية هذا الكهف ومكانه وما طرأ عليه حالياً من تغيرات. إضافة إلى ذلك هناك أصحاب الرس وأماكن أخرى مثل البروج والريع والصرح وأصحاب الأيكة وهكذا.

وإن ذلك ليحدث لإيماننا العميق بأهمية بيان دور هذه الأماكن وتأثيرها على أصحابها ونتائج الأحداث التى شهدتها من أجل أن تكون عبرة لنا على مر الزمان.. وذلك وفق ما أنبأنا به رب العالمين فى كتابه العزيز وفى قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (الآية ١٢٠ فى سورة هود)، وفى قوله تعالى لكل البشر: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (الآية ١١١ فى سورة يوسف).

وندعو الله جميعاً أن نكون من هؤلاء الذين وصفهم رب العالمين بأولى الألباب، وإن لم نكن من هؤلاء فإن الله تعالى يقول لنا أيضاً فى كتابه العزيز: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآية ١٧٦ من سورة الأعراف).

إذن هناك آلاف العبر والنتائج الطيبة من تذكرنا لهذه القصص شريطة أن نعتبر ونفكر كى نستفيد!!.

** الأخدود.. الذى مات فيه المؤمنون:

ولعلنا نبدأ رحلتنا عبر أماكن هذا الفصل والتى ارتبطت بأشهر القصص المروية

فى كتاب الله بالحديث عن الأخدود وأصحابه من الذين قتلوا حرقاً لإيمانهم بالله العظيم، وهم فى ذلك لم يأبهوا بما أصابهم أو ما عرفوا بأنه سوف يصيبهم، فتلك الدنيا لا تساوى عندهم الكفر بالله العظيم.

وملخص قصة أصحاب الأخدود كما يقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى: أن جماعة من المؤمنين الصادقين، ثبتوا على إيمانهم وإخلاصهم العبادة لخالقهم دون غيره، فعذبهم أعداؤهم عذاباً شديداً حيث حفروا لهم حفرة فى الأرض وأضرموا فيها النار ثم ألقوا بالمؤمنين فيها.

ويضيف أن قصة أصحاب الأخدود جاءت فى سورة البروج وفى الآية (٤) فى قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ .

بل وأكثر من ذلك يقول لنا شيخ الجامع الأزهر أن الله تعالى قد أقسم بالسماء وباليوم الموعود وحق الشاهد والمشهود. لقد قتل أصحاب الأخدود، وطردوا من رحمة الله بسبب كفرهم وبغيهم.

والأخدود فى اللغة هو: الحفرة العظيمة المستطيلة فى الأرض كالخندق وجمعه أخاديد، ومنه الخد لمجارى الدموع والمخدة: لأن الخد يوضع عليها.

إذن أصحاب الأخدود هم قوم كافرون عذبوا المؤمنين من قومهم بالطريقة السابق الإشارة إليها، هؤلاء الذين توعدهم رب العالمين إزاء هذا الفعل الشنيع، هذا الوعيد الذى شمل طردهم من رحمة الله بعدما يحاسبوا يوم القيامة جزاءً ما اقترفته أيديهم من جراء فعلهم شديد القسوة.

وهناك من المؤرخين وكتاب السيرة النبوية الذين توسعوا فى حديثهم عن أصحاب الأخدود، ومن هؤلاء النيسابورى الذى أكد أن أصحاب الأخدود كانوا فى ثلاثة أماكن متفرقة وكلهم أقدموا على حرق المؤمنين الذين تمسكوا بدينهم وبإيمانهم بالله العزيز الحكيم.

وقال النيسابورى نقلاً عن مقاتل: إن أصحاب الأخاديد ثلاثة: واحد فى نجران باليمن وآخر بالشام وثالث بفارس، والذى بالشام فاسمه أنطياخوس الرومى وهو

الذى أحرق قوماً من المؤمنين، وأما الذى بفارس فهو بختنصر، وأما الذى فى اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن بشرخ الحميرى.

وفى أغلب الأقوال أن المقصود بلفظ أصحاب الأخدود هم من أتباع ذو نواس الذى أحرق المؤمنين من أتباع عيسى عليه السلام، وكان يجمع هؤلاء فيخيرهم بين الارتداد عن دين الله أو الإلقاء فى نار الأخدود، وقيل كان يخيرهم ما بين الدخول فى دين اليهودية أو الحرق فى الأخدود، ويقال إنه أحرق من هؤلاء المؤمنين أثنى عشر ألفاً، بينما قال مقاتل: إنما قذف فى النار يومئذ سبعة وسبعين إنساناً.

وقال الكلبى: كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا، فلما قذفوا المؤمنين فى النار خرجت النار إلى أعلى شفير الأخدود فأحرقتهم، وارتفعت النار فوقهم اثنى عشر ذراعاً ونجا ذو نواس، فسلط الله عليه أرياط الحبشى الذى هزمه فى اليمن فخرج هارباً واقتحم البحر فأغرقه الله فيه.

ولقد حاول العالم الراحل والمفكر القدير الدكتور محمد إبراهيم الفيومى إعطاء خلفية تاريخية عن هذا الحادث العظيم فى تاريخ المؤمنين، فقال عنه فى كتابه «تاريخ الفكر الدينى الجاهلى»: لقد تعاقب على حكم اليمن ملوك ليس لهم أعمال مهمة حتى جاء ذو نواس. الذى كان شديد التعصب على المسيحية وأراد اجتثاثها من اليمن، فطلب من النصارى ترك دينهم ولما رفضوا أحرقهم فى أخدود حفره لهم.

ويؤكد الدكتور الفيومى فيما كتبه: أن هناك الكثير من المؤرخين الذين تصوروا أن اضطهاد ذو نواس للنصرانية كان سبب تعصبه الدينى إذ إنه كان يدين باليهودية وهو متعصب لها، ولكن هناك أسباب أخرى لاضطهاده النصارى.. منها أن المسيحية فى الشرق كانت تحت بيزنطة والحبشة، وانتشارها يعنى ازدياد نفوذ هاتين الدولتين فى اليمن مما لا يرضى اليمنيين، بينما لم يكن يرافق انتشار الديانة اليهودية أى خطر سياسى لأنه لم تكن هناك دولة تحمى اليهود، وقيل كذلك بأن اليهود أنفسهم هم الذين حرضوا ذا نواس على اضطهاد النصارى.[1]

(١) تاريخ الفكر الدينى الجاهلى - د. محمد إبراهيم الفيومى.

** الكهف .. حيث هرب أولئك الفتية:

بدون الدخول فى تفاصيل الخلاف التاريخى حول من هم أصحاب الكهف نؤكد وفق ما أكده غيرنا من العلماء مثل الدكتور أحمد المجدوب أن القرآن الكريم هو كتاب الله الوحيد الذى أشار إلى قصة هؤلاء الفتية المؤمنين، والذين فروا بدينهم خوفاً من بطش الكافرين، فوقع لهم ما وقع داخل هذا الكهف العظيم،والذين بقوا فيه لأكثر من ثلاثمائة عام.

وفى ذلك يقول الدكتور المجدوب: إن قصة أهل الكهف أو قصة النيام السبعة لم يأت ذكرها من قريب أو بعيد فى المصادر اليهودية، وذلك عكس كل قصص القرآن الكريم التى نجد لها ما يقابلها فى قصص التوراة وغيرها من القصص الدينى التى وقعت أحداثها بعد نزول التوراة ثم أقحمه اليهود فى كتبهم.

وعندما نعود إلى كتاب الله لمعرفة عدد المرات التى ذُكر فيها ذلك الكهف وكذلك الآيات والسور التى ذُكر بها نكتشف وفق ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الكهف قد ذُكر فقط فى سورة الكهف وفى الآيات (١٠،١١،١٦،١٧،٢٥). والكهف هنا معناه الغار الواسع أو البيت المحفور فى الجبل، أما المراد به فى هذه الآية: الملجأ الذى اختفى فيه أصحاب الكهف.

ولسورة الكهف قصة يرويها لنا أصحاب السير .. رأينا من الضرورى الإشارة إليها فى عجالة لأهميتها أيضاً وذلك وفق ما رواه المفسرون من الذين قالوا: إن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة كى يسألوهم عن محمد وهل هو رسول أم لا؟! فقالوا لهما سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم فهو نبى مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول. سلوه: عن الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول وماذا كان خبرهم؟ وسلوه: عن رجل طواف طاف المشارق والمغارب ماذا كان خبره؟! وسلوه: عن الروح.

وبالفعل أقدمت قريش على سؤال محمد عليه الصلاة والسلام بما أشار عليهم اليهود، فأخبرهم عليه الصلاة والسلام بأنه سوف يخبرهم غداً ولم يستثن : أى لم

يقل إن شاء الله ، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا يأتى إليه الوحى حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد اليوم، ومضى خمسة عشر يوماً قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء عما سألناه.

وقد أحزن ذلك رسول الله وشق عليه ما تكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة أهل الكهف، وفيها عتاب، وكذلك خبر الروح وما سألوه عن خبر أمر هؤلاء الفتية والرجل الطواف.

ليس هذا فقط، بل لقد اجتهد هؤلاء المفسرون من أجل تحديد شخصية هؤلاء الفتية فقالوا إنهم كانوا من أولاد عظماء المدينة وقد خرجوا عن قومهم بعدما تعاهدوا على عبادة الله الواحد الأحد، فوصلوا إلى هذا الكهف.. ووقع لهم ما وقع من أحداث جاءت كل تفاصيلها فى كتاب الله.

ويؤكد علماء الآثار فى الأردن وهى مقر هذا الكهف أن هؤلاء الفتية دخلوا إليه فى عام ١١٢م .. كما أنهم ظلوا بهذا الكهف ٣٠٠ عاماً وبالتالى فقد خرجوا منه عام ٤١٢م.. كما توصل هؤلاء العلماء إلى مكان ذلك الكهف وكذلك الجبل الذى احتواه والذى سوف نتناول الحديث عنه بالتفصيل كمكان مشهور فى القرآن الكريم فى موضع آخر حيث خصصنا هذه الفقرة لحديث الكهف دون غيره.

أما عن الكهف ذاته فقد توصلت إليه الاكتشافات الأثرية الحديثة، كما زاره أحد الصحفيين المصريين فى عام ١٩٨٣ وكتب عنه كلاماً كثيراً نشرته فى حينه جريدة اللواء الإسلامى، ومن قبله كتب عالم الآثار الأردنى تيسير ظبيان تقريراً مفصلاً عن هذا الكهف، قال فيه: إنه يقع على السفح الجنوبى للجبل، وهو يقع فى طريق منزو عن المارة وبعيداً عن الطريق المعبد وعن طريق عمان – العقبة بنحو ثلاثة كيلومترات.

والكهف نفسه لا يمكن أن يراه المارة من الطريق ولا ينتبه إليه أحد إلا إذا قرب منه ووصل إليه . (١)

أما عن وصف الصحفى المصرى فقد ذكر فيه: عندما تصل إلى مكان ذلك

(١) أهل الكهف - محمد تيسير ظبيان.

الكهف وعلى بعد ثمانية أمتار منه، فإنك لا ترى شيئاً، وإذا قطعت هذه الأمتار الثمانية ودخلت إلى الكهف من بابه الحديدى فإنك ترى كل شيء، ترى المقابر المدفون فيها أهل الكهف، وقد فتحت دائرة الآثار الأردنية طاقة صغيرة فى إحدى هذه المقابر فوجدت بها عدة جماجم مما يجزم بأن هذه المقبرة تحوى رفات أكثر من شخص.

كما يقدم لنا وصفاً دقيقاً لشاهد رؤية عن هذا الكهف، قال فيه: وجدت مساحة مستوية تكاد تكون مربعة الشكل، فطولها لا يزيد عن المترين وعرضها أيضاً نفس المقاس والأرض منحوتة فى الصخر، وفى داخل الكهف نفسه قبو أشبه بالحجرة ترتفع عن الأرض، ومنحوته أيضاً فى الصخر ويضم هذا القبو ثلاث مقابر بنيت بالصخر.

أما عن مكان الفجوة المذكورة فى القرآن الكريم والخاصة بالكهف فاكتشف شاهد العيان أنها تقع أسفل الجدار الأيمن الداخلى وهى عبارة عن طاقة تبلغ مساحتها ٨٠سم ولا تستطيع النظر منها إلا إذا جلست على الأرض وأدخلت رأسك بها. هذه الفجوة ينفذ منها الضوء والهواء إلى داخل الكهف فتجعله صالحاً للحياة.

ومما رآه هذا الشاهد أيضاً فى رحلته إلى داخل الكهف جمجمة ذلك الكلب الذى كان يحرسهم وكأنه قد مات وهو جالس فى رقدته يحرس أصحابه. وهناك تفاصيل أخرى كثيرة لمن يريد التعرف عليها نرجوه الرجوع إلى كتابنا جبال الأنبياء.

** جبل الرقيم .. وفوق سفحه الكهف:

وبطبيعة الحال لا يستقيم الحديث عن أهل الكهف ومكانهم الذى عاشوا فيه كل هذه الفترة الطويلة من حياتهم، من دون التعرف على ذلك الجبل الذى حمل فوق صخوره هذا الكهف، والمعروف باسم جبل الرقيم وفق ما جاء فى كتاب الله العزيز.

وقد لاحظنا نحن كذلك أن هناك ترابطاً بين الجبل وبين هذا الكهف من خلال ما حكاه لنا رب العالمين فى كتابه العزيز وفى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الآية ٩ من سورة الكهف).

ولقد أجمعت معظم المصادر التاريخية والأثرية أن هذا الجبل يقع فى مكان غير ظاهر للعيان وأنه يبعد عن الطريق العام أو الممهد والذى يصل بين مدن عدن ومادبا والكرك والعقبة مسافة ثلاثة كيلومترات. كما أنه يبعد عن الطريق الممهد سبعين متراً فقط.

ويحكى أصحاب كتب السيرة النبوية أن أصحاب رسولنا الكريم قد شاهدوا هذا الجبل وفق ما رواه الواقدى فى كتابه فتوح الشام حيث قال: روى الصحابى سعيد بن عامر الذى جعله عمر بن الخطاب على رأس جيش أنفذه إلى الشام، وقد روى هذا الصحابى ما شاهده حيث قال: أنه وفى أثناء سيره بالجيش ظن أنه ضل الطريق إلى وجهته، ولكنه ما لبث أن تبين طريقه عندما طلعت الشمس.

وقال أيضاً: فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادى وحققت تلك الأرض والجبل وإذا به جبل الرقيم، فلما رأيته عرفته فرفعت صوتى بالتكبير وكبر المسلمون ورأئى وقالوا: ما هذا الذى رأيته يا بن عامر، فقلت وصلنا الشام وهذا جبل الرقيم.

من ناحية أخرى يؤكد الدكتور أحمد المجدوب أن المقدسى، أشهر الجغرافيين العرب قد عرف مكان هذا الجبل وأشار إليه فى مؤلفاته. كما أن العديد من الجغرافيين المسلمين نقلوا عنه هذا الموقع الذى حدده بالضبط وعرف المسافة بينه وبين مدينة عمان. ويقال إن هذا الجبل حاليا قد دخل فى حرم الطريق الممهد.

بل وأكثر من ذلك فإن مكان هذا الجبل قد عرفه من قبل أيضاً الصحابى الجليل عبادة بن الصامت الذى أكد فى رواية له أنه مر على مغارة فيها أجسام بالية موجودة فى جبل الرقيم على مقربة من طريق القوافل بين الشام والحجاز.

ولقد سبق وذكرنا بأن هناك ارتباطاً كبيراً بين الجبل وبين الكهف ولذلك نلاحظ أن الكثير من الأثريين ومن المحققين ورجال التاريخ يتحدثون أحياناً عن الجبل وأحياناً أخرى عن الكهف.

ومن هؤلاء الدكتور أحمد المجدوب الذى أخرج للمكتبة العربية كتاباً تحت عنوان «أهل الكهف فى التوراة والإنجيل والقرآن» ومن بين ما أشار إليه هذا العالم الجليل تلك الكتابات التى وجدت على جدرانه وكذلك عن المسجد الذى أقيم عند الكهف تكريماً لأهله. ونراه يقول فى هذا السياق:

إن من أبرز ما تم الكشف عنه عقب الحفريات هو كوة أشبة بالنفق طولها أربعة أمتار، وترتفع عمودياً من أسفل الكهف إلى أعلاه وفوهتها فى أرض المسجد المقام فوق الكهف، ولقد عثر فيه على لوحة حجرية سدت فوهة الكوة.

وأضاف: أنه تبين من هذه الكتابات التى وجدت على جدران ذلك الكهف، وهى بالخط الكوفى أن مسجد الكهف الذى أقامه المسلمون جددت عمارته فى أزمنة مختلفة إحداها فى عهد هشام بن عبد الملك بن مروان فى عام ١١٧هـ، والثانية فى زمن خمارويه بن أحمد بن طولون فى عهد الخليفة العبّاسى عام ٣٧٧هـ . والثالثة فى زمن قايتباى الملك الأشرف عام ٩٠١هـ أما الرابعة فكانت فى زمن الملك قنصوة الغورى عام ٩١٥ هـ.

ومن أعجب ما يروى بخصوص هذا الجبل أنه قد نبتت فوقه شجرة زيتون كان يأكل منها أصحاب الكهف، ويؤكد إمام مسجد الكهف أنه رأى هذه الشجرة بنفسه قبل أن يقتلعها الأهالى تبركاً بها، ولذلك فقد قام بزرع شجرة زيتون أخرى هى الموجودة حالياً وذلك بدلاً من الشجرة القديمة، ولدينا فى كتابنا «جبال الأنبياء» بعض صور خاصة لجبل الرقيم وكذلك لكهف أصحاب الرقيم المذكور فى كتاب الله.

** الرس .. بئر دفنوا فيه نبيهم حياً:

وكم من القصص التى رواها رب العالمين فى كتابه العزيز لها أهمية كبيرة فى حياتنا وحياة كل من يريد الآخرة... إذ بها العبر والعظات التى تعيد لنا الثقة والإيمان بالله دوماً.

ومن بين هذه القصص التى يجب أن نقف عندها طويلاً.. قصة أصحاب الرس..

هؤلاء القوم الكافرين الذين وقفوا إلى جانب الشيطان فيما فعلوه بأحد الأنبياء الصالحين والذى بعثه ربه إليهم لهدايتهم إلى الطريق المستقيم فما كان منهم إلا أن قتلوه حيًا داخل البئر أو الرس!!

تلك هى ملخص هذه القصة التى ذكرها لنا كتاب الله العزيز فى سورتين.. الأولى في سورة الفرقان في الآية(٣٨) وفى قوله تعالى:﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (والآية ١٢ فى سورة ق) فى قوله تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾.

ونحن نلاحظ فى هاتين الآيتين أن الله تعالى قد أخبرنا بزمن هؤلاء الكافرين الذين عاشوا بعد نوح عليه السلام وأقوام عادو وثمود، هؤلاء القوم الذين كذبوا الرسل ووقفوا ضدهم، بل وعاقبوهم لأنهم جاءوا لدعوتهم إلى عبادة رب العالمين الواحد الأحد لا إله إلا هو، وكان ذلك العقاب شديداً، وكما يؤكد ذلك كل المفسرين.

ففى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الرس: هو الأخدود أو البئر، وأصحاب الرس هم أهل قرية كذبوا نبيهم ودفنوه فى البئر وهو حى !! فأهلكهم الله تعالى.

ليس ذلك فقط، بل لقد تناولت بعض كتب السيرة.. قصة حياة هؤلاء الكافرين وقصة ذلك الرس الذى احتوى جسد نبيهم الطاهر الكريم.

وكان بين هؤلاء الذين تحدثوا تفصيلاً عن الرس وأصحابه .. الإمام ابن كثير فى كتابه عن قصص الأنبياء. حيث قال : لقد ذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى أول تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ أبى قاسم عبد الله بن عبد الله جرداد وغيره أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعث الله إليهم نبيًا يقال له حنظلة بن صفوان، فكذبوه وقتلوه، فسار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وولده من الرس، فنزل الأحقاف وأهلك الله أصحاب ذلك الرس وانتشروا فى اليمن كلها وفشوا مع ذلك فى الأرض كلها. حتى جاء جبرون بن سعد بن عاد بن إرم بن نوح إلى دمشق وبنى مدينتها.

وروى ابن جرير عن ذلك أيضاً: قال ابن عبّاس: أصحاب الرس هم أهل قرية من

قرى ثمود، وفى قـول آخر له نقله لنا وللتاريخ ابن أبى حاتم عن أبيه شـبيب بن بشر عن عكرمـة عن ابن عبّـاس قـال: الرس بئر أذربيـجـان، وقال قـتادة الرس من قـرى اليمامة.

بل وأكثر من ذلك توسع ابن كثير فى حديثه عن أصحاب الرس وتاريخهم فقال عن أبى بكر مـحمـد بن الحسن النقـاش: أن أصحـاب الرس كانت لهم بئـر ترويهم وتكفى أراضيهم جميعاً، وكان لهم ملك عـادل حسن السيرة، فلما مات وجدوا عليه وجداً عظيمـاً فلما كان بعد أيام تصور لهم الشـيطان فى صورته، وقال: إنى لـم أمت ولكن تغيبت عـنكم حتى أرى صنيعكم، ففرحـوا أشد الفرح، وأمُر بضـرب حجاب بينهم وبينه، وأخبرهم بأنه لا يموت أبداً. فصدق به أكثرهم وافتتنوا به وعبدوه، فبعث الله فيـهم نبـياً فـأخبرهـم بأن هذا شيطان يخـاطبهم من وراء حـجاب، ونهـاهم عن عبادته، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وكان اسمه حنظلة بن صفوان، فقبضوا عليـه وقتلوه وألقـوه فى البـئر فـفار مـاؤها وعطشـوا بعد ذلك ويبـست أشجـارهم وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم، ثم هلكوا عن آخرهم.

وأما الإمام النـيسابورى فيحكى لـنا قصة أخرى عن أصحـاب ذلك الرس ذكرها على لسان على بن أبى طـالب .. رضى الله عنه.. ومما قاله فى ذلك: أنهم كانوا قـوماً يعبـدون شجرة صنوبر يقـال لها شات درخت وكـان يافث بن نوح قد غرسـها على شفير عين يقـال لها دوسان، كانت نبتت لنوح عليه السلام بعـد الطوفان، وإنما سموا بأصحاب الرس لأنهم رسـوا نبيهم فى الأرض، وذلك قبل سليمان بن داود علـيهما السلام، وكـان لهم اثنتـا عشرة قـرية على شاطئ نهـر يقال له الرس من بـلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر.

ويشير النيسابورى فيـما رواه أيضًا إلى قصة ذلك الشيطان الذى تمثل لأهل الرس حتى عبدوه فجاءهم نبى من الله تعالى يرشدهـم إلى طريق الصلاح وعبادة الله الواحد الأحد.. فلـم يعجبـهم ذلك وقد حـفروا له بئـراً ضيـقة داخل هذه العين التـى كانت تأتيهم بالماء الـعذب ورسوا فـيها نبـيهم وألقوا فـيها صـخرة عظيمـة، فعاقـبهم رب

العالمين حيث صارت أرضهم كحجر الكبريت تتوقد. وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم حجراً كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار.

وهكذا قضى الله تعالى أمره بعقاب هؤلاء الذين قتلوا أحد أنبيائهم، لا لشىء إلا لأنه جاء يرشدهم إلى عبادة رب العالمين دون شريك له.

** البروج .. الحصون ومنازل الكواكب:

ومثلما لاحظنا فى القرآن الكريم عند حديثه عن البرزخ فإنه يشمل كذلك ما ارتبط بحياة الإنسان فوق الأرض وما خلقه الله فوقه حيث السموات العلى.

ولقد بين لنا كتاب الله ذلك فى عدة سور كريمات .. ففى سورة النساء .. ذكر البروج بمعنى الحصون فى قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ الآية (٧٨) فى سورة النساء . أما فيما يخص البروج فوقنا فقد جاء ذكرها فى ثلاث سور الأولى سورة الحجر وفى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ الآية (١٦) وكذلك فى سورة الفرقان الآية (٦١) .. ثم فى سورة البروج وفى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الآية (١) .

والبروج مفردها برج وهو أحد الأماكن المشهورة التى جاء ذكرها فى كتاب الله.. وقد تناول الحديث عن تلك البروج وبتفاصيل كثيرة.. عدد المفسرين وكذلك من العلماء، وكل فيما ذهب وفق عن المعنى الذى يقصده. ففى التفسير الوسيط للقرآن الكريم والذى وضعه الدكتور محمد سيد طنطاوى قال: البروج : جمع برج وهى فى اللغة بمعنى القصور العالية الشامخة، وهذا هو المقصود بقوله تعالى:﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أى لو كنتم فى قصور عظيمة محصنة، كما يقصد بالبروج أيضاً المنازل الخاصة بالكواكب السيارة ومداراتها الفلكية، وقال القرطبى قوله: هذا قسم الله تعالى وفي البروج أربعة أقوال: إحداها ذات النجوم، والثانى ذات القصور والثالث ذات الخلق الحسن أما الرابع: ذات المنازل وهى إثنا عشر منزلاً.

ولقد نزلت سورة البروج فى قصة أصحاب الأخدود الذين قتلوا المؤمنين فانتقم الله منهم أعظم انتقام.

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد مرة أخرى على أن كلمة البروج كمكان مشهور فى كتاب الله قد جاءت بمعنيين الأول القصور أو الحصون العالية والثانى: بمعنى منازل الكواكب.

ولدى الدكتور أحمد شوقى إبراهيم حديث آخر مختلف عن هذه البروج وقد ذكره لنا فى كتابه الجديد «فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم»، ومما قاله فى هذا السياق: لقد أقسم الله تعالى بالبروج، والبروج جمع برج، وهو كل بناء مرتفع وظاهر للناظرين.

ويضيف: أن للمفسرين آراء كثيرة فى تفسير كلمة البروج، إلا أننا نرجح أنها بروج السماء، فهى بروج فى السماء على الاستعارة.

ولقد نزلت سورة البروج وما بها من عبر وعظات لتثبيت المسلمين المستضعفين الأوائل وتعينهم على أذى المشركين لهم فى مكة، وتذكرهم بما حدث لمن سبقهم فى الإيمان من الأذى والتعذيب على يد المشركين السابقين. (١)

وكما ذكرنا من قبل كان للعلماء آراء كثيرة فى كلمة البروج خاصة الذين ربطوا بينها وبين ما فى السماء فوقنا، ومن هؤلاء العلماء الدكتور محمد جمال الدين الفندى، الذى تحدث عن البروج فى كتابه المهم: «الله والكون».. ومما أشار إليه فى هذا السياق قوله: البروج : حزام من مجموعات النجوم تزين السماء وتأخذ أشكالاً ثابتة المعالم لا تتغير بالنسبة لبعضها البعض نظراً لبعدها الهائل عنا، وتمر الأرض أمام هذا الحزام وتكمله مرة كل عام، كما تقع دائرة البروج فى مستوى فلك الأرض وهى تسبح من حول الشمس، وقد قسمت إلى اثنى عشر قسماً ومقدار كل قسم منها ٣٠ درجة تقع فيها البروج.

ففى ٢١ مارس الذى يمثل فلكيًا ابتداء الربيع، تكون الشمس فى أول نقطة ببرج

---

(١) فتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمى فيه الجزء الثلاثون جزء عم - د.أحمد شوقى إبراهيم . مصدر سابق.

الحمل، وعلى ذلك يقال إن الشمس سوف تدخل برج الحمل، وبعد مضى شهر تدخل الشمس برج الثور وهكذا.

ويضيف الدكتور الفندى: والبروج التى تحتوى على نجوم من القدر الأول هى : الثور - التوأمان - الأسد - العذراء - العقرب .

ونجوم التوأمان الرئيسة هى: رأس التوأم المؤخر ورأس التوأم المقدم، وهما متقاربان فى درجة اللمعان ولكن رأس التوأم المؤخر يقع ناحية الجنوب وهو من القدر الأول. (١)

وبعد ذلك وحين نعاود الحديث عن تلك البروج الموجودة فوق سطح الأرض سوف نلاحظ ارتباط الحديث عنها فى كتاب الله.. بمعظم القرى الظالمة وكبار الكافرين من الحاكم وغيرهم من الذين ظنوا أن حصونهم مانعة لهم من عذاب الله تعالى، إثر ما ارتكبته أيديهم من مظالم، ليس فقط ضد عباد الله الصالحين ، بل وضد إرادة رب العالمين لسلوكهم المعيب ضد إرادة رب العالمين وعدم إيمانهم بواحدانيته، مما استوجب عذابهم سواء وهم بداخل بروجهم أو حصونهم المنيعة أو بتدمير تلك الحصون وتخريبها. حتى باتت أثر بعد عين.

** حاضرة البحر.. قرية الحيتان:

رغم أن كتاب الله العظيم قد تحدث بالتفصيل عن بنى إسرائيل سواء من قبل ظهور نبى الله موسى أو منَ بعده، وحتى انتقالهم إلى الأرض المقدسة، إلا أن هناك سور وآيات أخرى فى كتاب الله قد تعقبت أفعال بعض هؤلاء القوم الذين عتوا عن عبادة ربهم، ومن بين هؤلاء، القوم الذين كانت قريتهم حاضرة البحر.

ولقد أخذ الله تعالى عليهم عهداً بأن يتفرغوا لعبادته تعالى خاصة فى يوم السبت، ومن أجل ذلك حرم عليهم الصيد فى ذلك اليوم اختباراً لهم، والله أعلم بما فى صدورهم.

---

(١) الله والكون - د. محمد جمال الدين الفندى.

وكما يقـول الإمام الدكتور محمـد سيد طنطاوى فقد أرسل الله إليهم الحـيتان فى يوم السـبت دون غـيـره فكانت تتـراءى لهـم على السـاحل فى ذلك اليـوم، قـريـة الاصطياد، من دون غيره من أيام الأسبوع!!.

إنها قصة عجيبة لقوم لـم يصمدوا لاختبار رب العالمين الذى أمرهـم بألا يصطادوا فى يوم سبتهم وأن يتفرغوا فيه فقط لعبادة الله الكريم.

وحين نعود للحديث عن حـاضرة البحر.. تلك القرية التى نسمـيها فى أيامنا هذه بقرية الصيد أو قـرية الصيادين، وجهور المفسـرين قد توصلوا إلى أن هذه القرية هى قرية أيلة والتى تقع بين مدين والطور، وقيل أيضاً هى قرية طبرية وقيل هى مدين.

ولقد أشار الله تعالي إلى هذه القرية فى قوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الآية ١٦٣) .

كـما ذكـر بعض المفسـرين أن هذه القـرية ربما كانت مـيناء صـغيـراً على البحـر المتوسط أو البحر الأحمر لارتباط هذين البـحرين بما أشار إليه القرآن الكريم من أنها حيتان.

وهؤلاء القوم كمـا أكد ذلك الدكتور محـمد سيد طنطاوى قـد أرادوا أن يحتالوا على رب العـالمين حين سـال لعاب شـهواتهـم ومطامعـهم، ولذلك فكروا فى حـيلة لاصطياد تلك الحـيتان خاصة فى ذلك الـيوم الذى أمرهم رب العزة عن التـوقف فيه عن الصيـد - فقالوا: لا مانع من أن نحـفر إلى جانب ا لبـحر الذى يعيشـون بجواره والذى يزخر بالأسماك من كل الأنواع أحواضاً تنساب إليـها المياه و معها الأسماك، ثم نترك هذه الأسـماك محبـوسة فى الأحواض فى يوم السبت ثم نصطادها يـوم غير السبت!!. وبذلك يجمعون بين احترام ما عُهـد إليهم من رب العالمين وبين ما تشتهيه أنفسهم من الحصول على هذه الحيتان!!.

ولقد نصحـهم الناصحون بأن عملـهم هذا يعد احتيالاً علـى الله وعلى محارم الله وأن حبس هذه الحيتان فى الأحواض هو صيـد تساويها فى المعنى، وذلك يعد فسوقاً

واحتيالاً وخروجاً على عهد الله والذى قطعوه على أنفسهم، وكان جزاء هذا الاحتيال من جانبهم أن انتقم الله منهم ومسخهم قردة كى يكونوا عبرة لغيرهم من الأقوام.

وروى الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية: بأن هذه القصة قد وقعت زمن داود عليه السلام وأن إبليس أوحى إليهم بذلك فقال لهم: إنما نهيتكم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحيتان، فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج فيأخذونها يوم الأحد!!. وهو نفس التفسير الذى أشار إليه من قبل الدكتور محمد سيد طنطاوى: ثم أضاف القرطبى فى تفسيره لمعنى حاضرة البحر فقال: إنها قريبة منه ومشرفة على شاطئه!

هذا المعنى يؤيد لما ذهبنا إليه من قبل من أنها كانت قرية صيد أو ميناء صغير يؤدى نفس الغرض.

** الصرح .. بين فرعون وسليمان :

جاء فى القرآن الكريم حديث طيب عن الصرح بمعنين وفى موقعين مختلفين، الأول جاء فى قصة سليمان عليه السلام وتلك المرأة التى أحضرها بعرشها من اليمن. والثانى جاء فى قصة فرعون وموسى عليه السلام.

وفى كل من هذين الموضعين أدت كلمة الصرح كمكان مشهور فى كتاب الله أيضًا معنين مختلفين .. ففى قصة فرعون وموسى عليه السلام .. حيث قال الله تعالى: ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ الآية (٣٨) فى سورة القصص وباللفظ فى سورة غافر الآية (٣٦) وهى هنا تعنى البناء المرتفع جداً أو كما ذكر معجم ألفاظ القرآن الكريم بأنها تعنى القصر العالى.

أما فى قصة سليمان عليه السلام فقد ذكرها الله تعالى فى موضعين أيضاً وفى آية واحدة فى سورة النمل حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ وفى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ (الآية ٤٤) .

***

ونبدأ بحديث الصرح فى قصة سليمان عليه السلام وفق الترتيب الزمنى الذى وضعه رب العالمين وما جاء فى قصص الأنبياء بشأنه.

هذا الصرح الذى أشير إليه حين جاءت ملكة سبأ إلى مملكة سليمان بعدما أحضرها إليه ذلك الذى كان عنده علم من الكتاب والذى أمده الله تعالى بهذا العلم.

وتقول تفاصيل هذه القصة أن سليمان عليه السلام قال لجنوده بعد أن استقر عنده عرش بلقيس، غيروا لهذه الملكة عرشها كأن تجعلوا مؤخرته فى مقدمته وأعلاه إلى أسفله، وبالفعل نفذوا ما أراد سليمان عليه السلام. ولما حضرت أمامه أمرها بأن تدخل إلى الصرح وهو ذلك القصر الذى أعده سليمان عليه السلام كى تنزل به .

ويقول العديد من المفسرين أن الصرح كمكان مشهور فى كتاب الله يطلق كذلك على كل بناء مرتفع، أما صرح هذه الملكة فقد بناه سليمان عليه السلام وجعل بلاطه من زجاج نقى صاف كالبللور، حيث يرى الناظر ما يجرى تحته من ماء، لذلك أخبرنا القرآن الكريم بأن هذه الملكة حين دخلت هذا الصرح كشفت عن ساقيها ظنا منها أن ملابسها يمكن أن تبتل من الماء الذى كان يوجد تحت هذا الصرح، وقد صحح لها سليمان عليه السلام حقيقة هذا الصرح بقوله: ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ بمعنى أملس وناعم.

إذن هذا الصرح الذى بناه سليمان عليه السلام والذى شارك فيه جنوده من الجن و الإنس .. كان بالفعل وكما أكدت ذلك كل قصص الأنبياء قصراً مشيداً أقيم فى فخامة غير مسبوقة حيث احتوى على الزجاج الأملس والبلاط النقى المضىء.

والإمام النيسابورى فيما رواه يؤكد أن الشياطين الذين سخرهم رب العالمين لسليمان عليه السلام هم الذين بنوا هذا الصرح، وهو قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً . كما أجروا من تحته الماء وألقوا فيه السمك.

ولو أردنا تحديد مكان هذا الصرح أو هذا القصر كان لا بد لنا أن نتذكر ونؤكد أنه كان ضمن مملكة سليمان عليه السلام والتى أقامها فى أرض الشام.

أما فيما يخص صرح فرعون والذى طلب من جنوده ورئيس كهنته هامان إقامته فواضح من سياق القصة أن هذا الفرعون قد طلب إقامة مكان مرتفع وشاهق حتى يستخدمه فى بلوغ الأسباب التى تحدث عنها موسى عليه السلام. أو لكى يطلع على إله موسى كما ذكر ذلك القرآن الكريم !!.

وهذا ما أكده الدكتور رشدى البدراوى حين قال: إن فرعون ادعى أنه إله، وإمعاناً فى تكذيب موسى والاستهزاء به طلب من وزيره أن يبنى له برجاً عالياً من الطوب المحروق الآجر ليصعد عليه فى السماء كى يرى إله موسى!!.

ويضيف: أن كل الأماكن حتى عصر هذا الفرعون كانت كلها تقام من الطوب اللبن أو الحجارة، وذلك لا توجد آثار قد بنيت بالطوب الأحمر قبل عصر رمسيس.

ويعتبر العديد من المؤرخين أن رمسيس أو فرعون موسى هو أول من استخدم الطوب الأحمر فى البناء المرتفع، وهناك بعض المفسرين الذين قالوا إن هذا الصرح لم يتم بناؤه من أصله، وقيل كذلك أن وزيره هامان هو الذى بنى له هذا البرج المرتفع والذى صعد فوقه ثم نزل يقول للناس: «أنه لم يجد إله موسى الذى يتقول به إذن فهو من الكاذبين»!!

وروى عن السدى : أنه لما بنى هذا الصرح ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء، فرد إليه وهو مفرج دماً، فقال: قتلت إله موسى!!!!

** عين القطر: بداية عصر التعدين:

هناك العديد من المؤرخين ومن المفسرين الذين يعتبرون الحديث عن عين القطر والتى جاء ذكرها فى كتاب الله فى قصة سليمان عليه السلام، إنما كانت تعنى بداية عصر التعدين بعدما أنزل الله الحديد من السماء..

وعين القطر وفق معظم التفسيرات تعنى منجم النحاس الذى خلقه رب العالمين لهذا النبى الكريم، وذلك بعد أن عَلَّم رب العالمين أبيه داود عليه السلام صناعة الدروع، وبالتالى تعلمها سليمان عليه السلام هو الآخر.

وإرشاد سليمان عليه السلام إلى عين أو منجم القطر أو النحاس إنما كان من نعمة الله على هذا النبى الكريم إضافة إلى ما أنعم الله عليه من نعم كثيرة ذكرها أيضاً القرآن الكريم وذلك فى سورة سبأ وفى قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ الآية (١٢) فى سورة سبأ.

ليس هذا فقط بل أن الله تعالى قد ألان لهذا النبى الكريم الحديد بحيث أصبح على حد قول الدكتور محمد سيد طنطاوى مع صلابته وقوته كالعجين فى يده، يشكله كيف يشاء، ومن غير أن يدخله فى نار أو يطرقه بمطرقة.

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق هو: لماذا أسال الله تعالى لهذا النبى عين القطر أو منجم النحاس وكذلك ألان له الحديد؟!

إن هناك العديد من المفسرين الذين حاولوا الإجابة على هذا السؤال المهم، فقالوا إن الله تعالى علم بأن هذا النبى الكريم كان فى حاجة إلى منشآت كثيرة شيدها فى أورشليم وغيرها من المدن، وكذلك ما كان من أمر أسطوله واحتياجه الشديد لهذا النوع من التعدين.

ويؤكد الدكتور رشدى البدراوى أن هذه الإنشاءات كانت قريبة من بلدة «عصيون جابر» فى الطرف الشمالى لخليج العقبة وهى التى تم فيها اكتشاف كل من النحاس والحديد، كما يُعتقد أنها كانت مكان تل الخليفة الموجود على بعد ٥٠٠ قدم من ساحل البحر الأحمر غرب ميناء إيلات الإسرائيلى.

ويضيف: أن ما يؤكد ذلك أن بعثتين أمريكيتين قامتا باكتشافات فى هذه المنطقة وأثبتا أن الصخور فى هذه المنطقة غنية بالحديد والنحاس، بل وفى كل مكان على طول وادى عربة، وهناك وجدوا ممرات محفورة فى الصخر من كل ما تبقى من مناجم مهجورة.

كما عثروا على قوالب طوب هى بقايا حوائط مبانى هذه المدينة القديمة، وقد

أعتبرا أن هذه البقايا ترجع إلى ألف عام ق.م فى الوقت الذى كان فيه سليمان يحكم إسرائيل، كما أكدت هذه الاكتشافات وجود قوالب لصب النحاس المنصهر، كما وجدوا بناء ثبت أنه كان بمثابة الفرن الرئيسى لصهر النحاس، ولا يزال هذا المعدن المهم يلعب دوراً كبيراً فى حياتنا الاقتصادية والصناعية، حيث اصبح يدخل فى صناعات كثيرة ثقيلة وخفيفة.

** المحاريب .. وزكريا ومريم عليهم السلام:

كما نعرف لغويا فإن المحاريب مفردها محراب، وقد جاء ذكر هذه المحاريب أو المحراب فى العديد من سور القرآن الكريم وآياته الشريفة. كما أوضحت لنا هذه السور مدى ارتباط هذه المحاريب بالعديد من أنبياء الله. وكذلك بدين الإسلام. وكان من أوائل الأنبياء الذين ارتبطوا بالمحاريب أو المحراب هو سليمان عليه السلام. وفق ما جاء فى كتاب الله العزيز وذلك فى قوله تعالى:﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ الآية (١٣) فى سورة سبأ.

وفى هذه الآية نعرف أن الله تعالى قد سخر الجان لهذا النبى الكريم من أجل أن يصنعوا له هذه المحاريب التى قيل إنها تعنى الأثاث اللازم لبيته.. وقال آخرون: إنما المقصود هو أماكن العبادة فى أيام سليمان عليه السلام.

ويحدثنا الشيخ الإمام الدكتور محمد سيد طنطاوى عما جاء فى هذه الآية بشأن المحاريب فيقول: إن معناها هو كل مكان مرتفع. كما يطلق كذلك على المكان الذى يقف فيه الإمام فى المسجد، وأيضاً على الغرفة التى يصعد إليها. وهنا لا بد من الإشارة إلى ارتباط المحراب بالدين الإسلامى وما هو موجود حالياً داخل مساجدنا حيث يرى المؤرخون بأن المحراب قد استحدث فى المساجد، وبالتالى لم يكن موجوداً من قبل كدليل على القبلة.

وهناك من يرى من الفقهاء أنهم كرهوا الوقوف داخل المحراب وبالتالى نرى الأئمة يتأخرون عنه بأقدام قليلة. كذلك ارتبط المحراب بقصة زكريا عليه السلام والسيدة العذراء مريم والذى جاء بشأنه كلمات فى كتاب الله .. وفى قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ الآية (٣٧) فى سورة آل عمران. وفى قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ الآية (١١) فى سورة مريم .

ويؤكد العديد من المفسرين أن المقصود بكلمة المحراب كأحد أماكن العبادة قد جاء فى قصة زكريا عليه السلام ومريم أم المسيح عليه السلام.. بدليل قوله تعالى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾.

إذن لقد أخبرنا الله تعالى بأن هناك ارتباطاً كبيراً بين ذلك المكان الذى كان يعبد فيه زكريا ومريم ربهما وبين المحراب. باعتباره ذلك المكان الطاهر الذى اختاره من أجل هذه الغاية الشريفة. ويبدو كذلك أننا فى الإسلام قد نقلنا المحراب كمكان عبادة من زكريا عليه السلام .. بدليل أننا قد وضعناه فى المساجد وأصبح كذلك علماً على اتجاه القبلة.

وبخلاف ما جاء بشأن المحراب أو المحاريب فى كل من قصة سليمان عليه السلام وزكريا ومريم.. هناك أيضاً ووفق ما أخبرنا به الله تعالى ارتباط ذلك المحراب بقصة داود عليه السلام. وإن جاء معناها فى هذه القصة الجديدة مخالفا لما سبق. إذ يقول المؤرخون والمفسرون أن المحراب فى قصة داود معناه القصر العالى الذى له أسوار عالية. بدليل قوله تعالى: ﴿إذ تسوروا المحراب» بمعنى أنهم حاولوا دخول القصر عن طريق أسواره وليس أبوابه.

وفى تفسير الإمام الألوسى قال عن أصل المحراب وتسوره فى قصة داود عليه السلام منقولاً عن ابن عبّاس: أن داود جزأ زمانه أربع أجزاء، يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً لجمع بنى إسرائيل يعظهم ويعلمهم أمور دينهم.

وكان اليوم المقصود بآية المحراب هو يوم عبادته، وفيه يحتجب عن الناس وينبه على جرس قصره ألا يدخلوا عليه أحداً.

وكان أن أرسل الله تعالى ملكين على هيئة بشر، ولما رأوا أن الحرس قد يمنعونهم من الدخول تسوروا المحراب، وعلوا السور ونزلوا إلى المكان الذى خصصه داود عليه السلام فى بيته للعبادة، وفوجئ داود بوجودهم ففزع منهم وخاف إذ هو يوم العبادة ولا يتوقع رؤية أحد من الشعب.

ولعله ظن أنهم قد اقتحموا بيته كى يقتلوه، عندئذ طمأنوه وطلبوا التدخل كى يحكم فيما جاءوا من أجله بشأن النعاج، وبعد أن قال داود رأيه اختفى الرجلين فجأة من أمامه وأدرك أن الرجلين فى الحقيقة ما هما إلا ملكين أرسلهما رب العالمين ليعلماه درساً فى أصول الحكم.

ولقد اعتبر كثير من المفكرين أن هذه القصة التى جاءت فى كتاب الله والتى ذكُر بها المحراب كانت امتحاناً من رب العالمين لنبيه داود لأنه تمنى على الله أن يكون فى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما سأل ربه أن يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم به من الفضل ويعطيه مثلما أعطاهم. (١)

** الكنوز .. التي يصعب حمل مفاتيحها:

هناك من الأماكن المشهورة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز والتى تحمل إلينا المئات من المعانى والعبر والعظات، ذلك لارتباطها بشخصيات تستحق التوقف عند تاريخها طويلاً. ولعل من أشهرها ما ارتبط بالخزائن والكنوز على مدى تاريخ البشرية كله وصاحبها قارون الذى كان من قوم موسى ثم بغى عليهم.

ولقد اجتهد الكثير من المفسرين ومن المؤرخين من أجل تحديد شخصية قارون للتوقف على المزيد من ملامح حياته وقالوا فى ذلك: إن قارون المشار إليه فى هذه الآيات إنما هو نفسه «يصهار» عم موسى.

واختلاف الاسم يعود إلى اختلاف اللغة، ويقدم لنا الدكتور رشدى البدراوى دلائل على هذا التوحد فى هذه التسمية فيقول: إن يصهار عم موسى هو نفسه قارون بدليل أن قاموس الكتاب المقدس قال إن يصهار اسم عبرى معناه يضيء أو يشرق، وجاء فى تفسير القرطبى: أن قارون كانت كنيته المنور لوضاءته وجماله.

(١) قصص الأنبياء للثعالبى - مصدر سابق.

إضافة إلى ذلك فإن الجذر العبرى «قـرن» معناه أنار أو أضاء وأشع، واشتقاقاً منه قارون بمعنى الأنور أو المنور، هذا الاستخراج تحدث عنه بالتفصيل رءوف أبو سعدة فى كتابه «من إعجاز القرآن».

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكنوز وضخامتها فى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ الآية (٧٦) فى سورة القصص، وهذا دليل عظيم على ضـخامة هذه الكنوز التى حـفرها فى الأرض أو التى أقامـها داخل جدران بيته. وفيها وضع كل ما كان يملك من أموال وذهب وفضه.

وهناك أيضـاً من المؤرخين الذيـن توسعـوا فى حـديثـهم عن حـيـاة قـارون من أجل التوصل لمصدر تـضخم هذه الكنوز وكثرة أمواله، فـقالوا إن قارون كان أحـد شيوخ بنى اسرائيل وكان مـوالياً لفرعون فجـعله رئيس سخرتهم، ولعله كان يقـتطع لنفسه جزءاً من أجـورهم كمـا كان يفعل الخـولى من اقتطاع جـزء من أجر العـمال الذين يعملون فى عزبة الباشا أيام حكم أسرة محمد على.

وأضافوا: أن ثروة قارون قد زادت وأراد أن يبنى لنفسه قصراً، ورفض فرعون أن يقـيم هذا القصـر بجـوار قصـوره، كمـا رفض قـارون أن يكون هذا القصـر بأرض جاسان. حيث كان يسكن بنى إسرائيل. من أجل ذلك أقطعه فرعون أرضاً فى الفيوم فبنى على شـاطئ بحيـرتها هذا القصـر الضخم وبداخله هذه الكنوز العظيـمة. وظل يتعاون مع فرعون ضد أهله من قـوم بنى إسرائيل الذين أخذوا يحسدونه على ما هو فيه من هذا الثراء الفاحش.

ولقد أكد لهـم أن هذه الكنوز إنما أوتيت على علـم عنده..!!

ولقد عرف مـوسى بما صار إليه أمر قـارون فأرسل بعضًا من شيـوخ بنى اسرائيل ومن عقلائهم من أجل أن ينصحوه بألا يفرح بـالدنيا وينسى الآخرة. كما طالبوه بأن يحـسن كمـا أحسن الله إليـه ولكن بلا فائدة ، وكـان جزاؤه أن خـسف الله به وبداره الأرض بما كان فيها من كنوز.

ويقال إن هذه الكنوز موجودة أسفل بحيرة قارون التى أخذت اسمها من قصته حيث كان يسكن إلى جوارها، ولم يغن عنه ماله ولا خدمه ولا حشمه على حد قول الدكتور رشدى البدارى ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله.

** الخزائن .. أشكالها وتاريخها:

قلنا من قبل إن الكنوز التى جمعها قارون وغيره من كبار الكفار على مدى التاريخ كان مكانها الخزائن. والكنوز أيضاً كانت هى الأخرى أماكن.. والخزائن وما جاء بشأنها فى كتاب الله تحمل أكثر من معنى.. منه ما ارتبط بالله تعالى ذاته، ومنها وما ارتبط بالسموات والأرض. وقد فسر لنا كتاب الله معنى كل من هذه الكلمات فى مواضعها وفق ما جاءت فى الآيات والسور.

إذن لدينا خزائن الأرض وخزائن الله ثم خزائن السموات والأرض، أما خزائن الله فمعناها وفق ما أورده معجم ألفاظ القرآن الكريم: مقدوراته التى استأثر بها وبعلمها من دون خلقه ومن شئونهم أيضاً، وجاءت هذه الكلمة كمكان مشهور فى كتاب الله فى قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الآية (٥٠) فى سورة الأنعام وباللفظ فى سور هود الآية (٣١)، وبذلك فإن الحديث عن الخزائن كمكان مشهور فى كتاب الله.. لا يشمل هذه الآية.. من منطلق أن خزائن الله يعلمها رب العالمين وحده .

وأما فيما يخص خزائن الأرض: فمعناها الأماكن الصالحة لتخزين الأموال بأنواعها من ذهب وفضة وأوراق.

وبطبيعة الحال فإن مثل هذه الخزائن لها مواصفات خاصة تساهم فى تحقيق الأمان لما هو موجود بداخلها، وخزائن الأرض جاء ذكرها أيضاً فى سورة يوسف وفى قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٥٥)، ومعناها أن يوسف عليه السلام قد طلب من حاكم مصرى الذى بعث إليه ليفسر له

أحلامه أن يكون هو المهيمن على مقدرات مصر بما فيها من خزائن المحبوب وغيرها من أجل إنقاذها وما حولها من بلاد أخرى من شبح المجاعة التى تنبأ بها هذا الحاكم.

وربما كان المقصود فى هذه الآية خزائن أو مخازن، الغلال والتى أشار إليها يوسف عليه السلام، هذه المخازن أو الخزائن كانت موجودة فى أكثر من مكان فى مصر فى ذلك الوقت.

وبخلاف ذلك هناك المقصد الثالث من لفظ خزائن كمكان مشهور فى كتاب الله وهو خزائن السموات والأرض، ويقول المفسرون أنها تعنى أرزاق الناس، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾.

وهناك بخلاف هذه المعانى الثلاثة معنى رابع لكلمة خزائن وهى خزائن رحمة الله. والتى ذكرها لنا رب العالمين فى كتابه العزيز وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ الآية (١٠٠) فى سورة الإسراء واللفظ فى الآية (٩) فى سورة ص والآية (٣٧) فى سورة الطور.

ومعنى هذه الآية واضح لكل ذى عقل يفكر .. حيث يؤكد لنا رب العالمين أن بعض الناس لو كانوا يملكون خزائن رزق الله وسائر نعمه، لخافوا من الإنفاق، ولكنهم لا يملكونها أبداً. وهى دعوة لكل الناس من أجل الإنفاق فى الحلال من دون الخشية من الإقلال أو الفقر!.

** ذات العماد .. التى أهلكها ربنا:

ومن الأماكن أيضاً والتى ترتبط بقصص القرآن الكريم ما أشار إليه رب العالمين فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ الآيات ٦،٧،٨ فى سورة الفجر.

وعندما نقرأ هذه الآيات التى ارتبطت بذلك المكان المشهور وهو ذات العماد .. سوف نلاحظ أن الله تعالى قد حدثنا عنها مرتبطة بشخصيتين مهمتين فى التاريخ ألا وهما إرم وعاد .

ويقول عن ذلك المؤرخـون والمفسرون أن عـاداً المقصـود فى هذه الآية هو عاد بن عوص بن إرم بن سـام بن نوح، وقد اخـتار الله تعالى اسم عـاد لكى يكون اسم علم على القرية التى كانوا يقيمون بها والتى أقاموا بها أيضاً ذات العماد.

أما الشخص الثانى فهو إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وربما أيضاً كانت القرية التى كـان يقـيم بها بعض مـن قوم عـاد اسـمهـا إرم وبالتـالى ارتبطت بتلك المبـانى الشاهقة التى وصفها الله تعالى فى كتابه العزيز بأنها ذات العماد .

ويقول الدكتـور أحمد شوقى إبراهيم أن بعض المفسرين قـالوا: إن عاد إرم كانوا قوم من العماليق ذو قوة فى الجسم وبسطة فى الطول، كما كانوا يبنون مساكنهم على عُـمد، وقـالوا أيضـاً إن تلك العـمـائر المقامـة على عُـمـد فى عهـد إرم، كـانت فى الإسكندرية، وقـال آخـرون كانت في دمـشق، بينمـا يؤكـد الدكتـور أحـمد شـوقى إبراهيم أنهــا كـانت بالأحـقـاف، اسـتـناداً على مـا جـاء فى كـتــاب الله فى قـوله تعالى:﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قوم بالاحقاف﴾.

هذه الأحقاف موقعها بالجزيرة العربية خاصة فى جنوبها ما بين عدن وعمان وهو ما يعرف حالياً بحضرموت، وهى أرض رمال، والأحقاف فى اللغة هى رمال مرتفعة عن الأرض، لذلك كانت هناك مـدينة إرم التى كانت أبنيـتها على عُـمد. وهناك من يقول إنهم كـانوا أول قوم يبنون أبنيتهم بهـذا الشكل، ويؤكد الدكتور أحـمد شوقى كذلك إن المـقصود في هذه الآيـة هم عاد الأولى والمسـماة بعاد إرم وهم مـن العرب العاربة أو البادية. (١)

ولقد شغـلت الأرم ذات العماد أذهان العديد من المفكرين فى المـاضى والحاضر، ولذلك نجـد أن هناك العديد من الآراء التـى حاولت المسـاهمة فـيمـا قيل بشـأن هذا المكان.

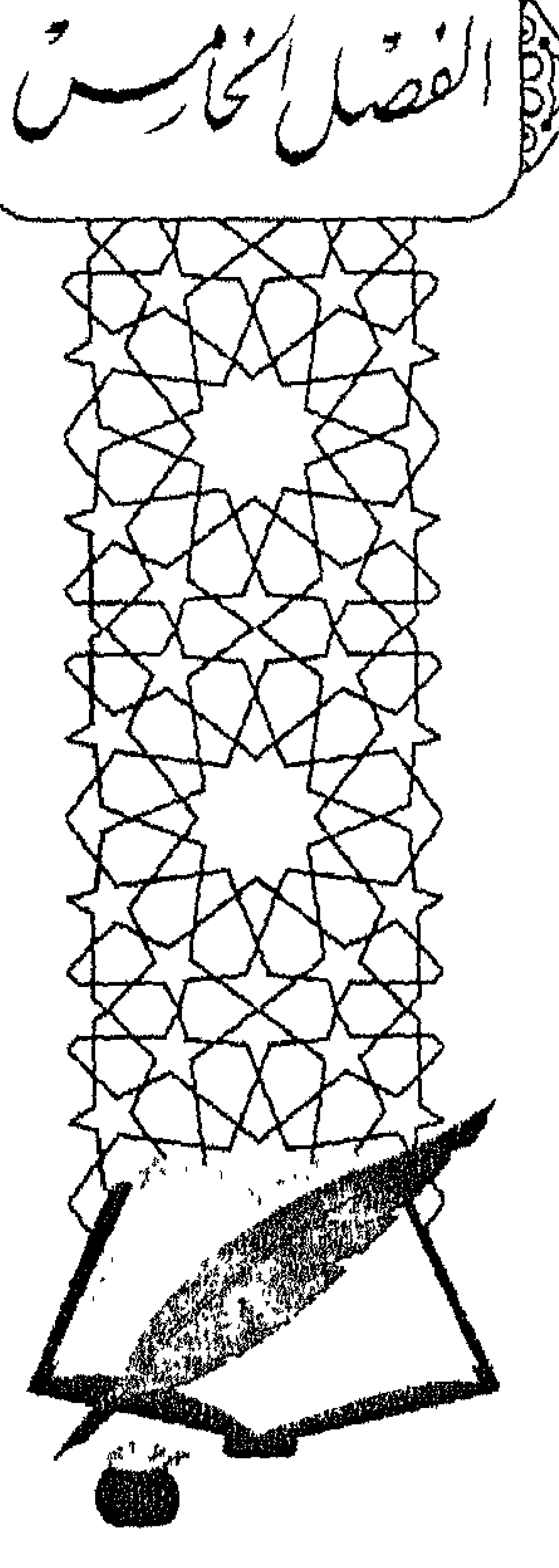
ومما قالوه فى هذا السيـاق: أن إرم ذات العماد هى مدينة بناها شـداد بن عاد أحد

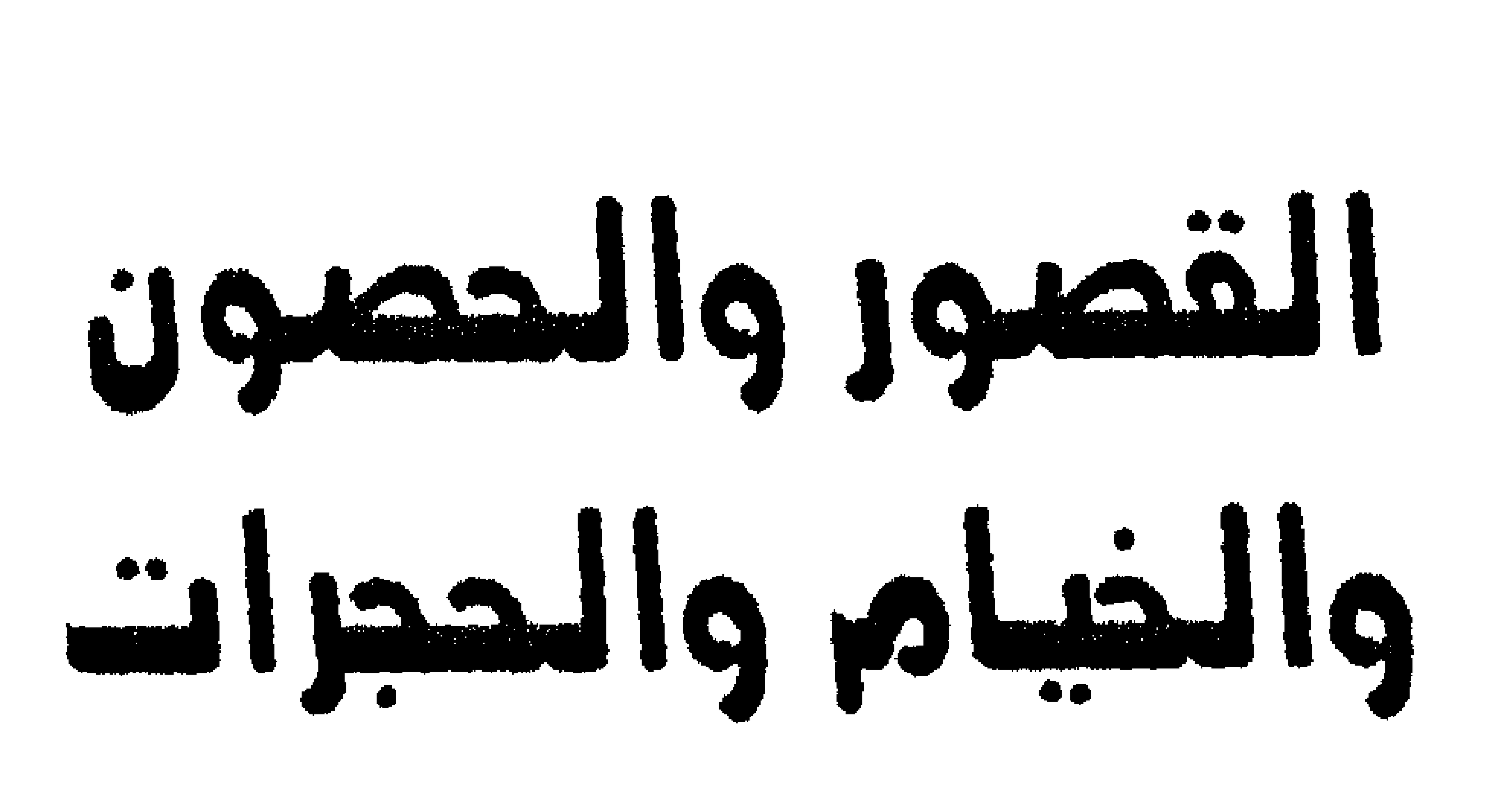
(١) د. أحمد شوقى إبراهيم – مصدر سابق.

زعمائهم، وزعموا أنه بناها فى صحراء عدن فى ٣٠٠ عام، وفى رواية أخرى فى ٥٠٠ عام، وأن عمره كان ٩٠٠عام كما أنه بنى هذه المدينة بالذهب والفضة وزين حيطانها بالدر والياقوت!.

ويعلل الدكتور محمد بيومى مهران تعدد هذه الروايات وجنوحها للخيال بأن هؤلاء الرواة قد رأوا ضخامة آثار الفراعنة فى مصر ومبانى الآشورين والبابلين، ومن ثم رغبوا فى أن تكون مدينة عاد أكثر ضخامة من هذه الآثار، فكان الخيال الذى ينزل بكتاباتهم إلى مبالغات الأساطير.

ويؤكد الدكتور رشدى البدراوى أن قوم عاد كانوا قوم غلظة وقسوة وجبروت وفق تصوير القرآن الكريم لهم.





القصور والحصون والخيام والحجرات

الفصل الخامس

القصور والحصون والخيام والحجرات

عظيم جداً هذا القرآن الكريم الذى أنزله رب العالمين.. وفيه من أمور وقضايا الحاضر والماضى والمستقبل، ما نراه وما لا نراه . وعظيم أيضاً هذا الكتاب الكريم الذى حدثنا عبر أياته وسوره عن أماكن كثيرة أرتبطت ليس فقط بالأنبياء والرسل وأصحاب القصص والبلاد والمدن والرسالات وما جاء بشأنها وأصحابها وأتباعها من حكم وتعاليم ومواعظ ونتائج ما بين محسن ومسئ، وما بين كافر ومؤمن، بل وشملت هذه الأماكن التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم أيضاً ما ارتبط بحياة الإنسان فوق الأرض التى نعيش عليها منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وإلى يوم أن تقوم الساعة.

هذه الأماكن لم تُذكر وحدها، بل جاءت فى سياق الآيات والسور القرآنية وما تناولته من قضايا وتعاليم ونصائح وقيم ومبادئ، أوردها مولانا الكريم رب العزة سبحانه. هدفها سعادة الإنسان الذى ما أن استقام على الصراط المستقيم وفق ما جاء بالقرآن الكريم بضرورة الإيمان بالله وباليوم الأخر وبالقدر خيره وشره وبالملائكة والرسل والأنبياء سوف يعيش بالفعل حياة سعيدة وهانئة، بل وينتقل إلى حياة أخرى أكثر سعادة وأمنا فى الدار الأخرة.

وفى هذا السياق واستكمالاً لمشوارنا مع الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها في كتاب الله الكريم، نسوق أشهر الأماكن التى ارتبطت بحياة الإنسان فوق الأرض وتنقلاته ومعيشته ووسائل حمايته واستمراره فى الحياة.

ولدينا في هذا الاطار أكثر من عشرة أماكن سوف نسوق حديثاً مفصلاً عنها وفق المنهج السابق والذى اعتمدناه سوياً، والقائم على بيان الآية أو الآيات التى جاء بها هذا المكان أو ذاك..ثم التعرف على معناه ومغزاه، وأهميته بالنسبة بالإنسان المرتبط به.

ولسوف يمر علينا فى هذا السياق الإشارة إلى بعض الأماكن التى تأخذ صفة العموم والتى لا تزال تتردد بيننا لفظاً ومعنى، كما سوف يمر علينا أيضاً حديث خاص ببعض الأماكن المتميزة والتى اقتصرت على زمن أو مجتمع دون غيره، وهى التى بطبيعة الحال تختلف من مجتمع الحضر عن مجتمع البدو أو أهل الصحراء.

وربما تكون هذه الأماكن بيننا الآن ولكنه نظراً لاختلاف الأزمنة وكذلك اللغة فى بعض الأحوال لا نشعر بها أو تستوقفنا.

وعلى أية حال فلن نفصح عن هذه أو تلك إلا فى حينه وذلك لضمان سلامة المتابعة من خلال ما سوف نفسره عن أكثر من عشرة أماكن ارتبطت بحياة الإنسان ومعيشته وحمايته وراحته ونومه، ورزقه وعمله، فتعالوا نتابع سوياً بقية هذا الحديث وبالتفصيل المطلوب.

** الخيام .. أولى أماكن الإقامة:

وفقا لتسلسل تاريخ حياة البشر فوق سطح الأرض .. ووفقاً لما أخبرنا به ربنا سبحانه وتعالى وكذلك المؤرخون والمفسرون. نجد أن الخيام كانت من أولى الأماكن التى ارتبطت بحياة الإنسان ومعيشته وإقامته فوق هذه الأرض من بعد خروج آدم عليه السلام من الجنة وهبوطه إليها، وإن كانت البداية الأولى وكما نعرف قد ارتبطت أكثر بالمغارات والكهوف، حتى عرف الإنسان كيف يصنع وكيف يخترع، وبالتالى جاء زمن استخدم فيه بنو البشر الخيام التى كانوا يصنعونها من الصوف والوبر والقماش وأوراق الشجر كأماكن يقيمون بها لتحميهم من البرد ومن حرارة الشمس.

والعجيب، بل والمثير للدهشة أنه ورغم مرور آلاف السنين، بل إن شئت قل الملايين من السنين على نزول أبو البشر إلى الأرض..، ورغم ما فيه ذريته الآن من رفاهية وتقدم وحضارة، إلا أنه لا يزال هناك الملايين من هؤلاء البشر من الذين يستخدمون تلك الخيام وفى نفس الأغراض.

بل ومن العجيب أيضا أن هذه الخيام قد أصبحت وإلى اليوم الملجأ والملاذ من البرد وحرارة الشمس والأخطار حتى فى المجتمعات الراقية.. خاصة وقت حدوث الأزمات كالزلازل والحرائق، وربما ستظل كذلك إلى أزمنة أخرى قادمة لا يعلم مداها إلا الله الذى خلق الإنسان وما يفعل.

وإذا ما تركنا هذا الكلام المرسل لندخل سوياً إلى مكان هادئ نفتح فيه كتاب الله وقرآنه العظيم كى نبحث عن الخيام فوق أوراقه سوف نكتشف أن الله تعالى قد ذكر الخيام فى هذا الكتاب الكريم مرة واحدة فى سورة الرحمن وفى الآية (٧٢) وفى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾.

ومن دواعى العجب أن الله تعالى قد ذكر الخيام مرتبطاً بالمكان الذى سوف تقيم فيه هؤلاء الحسناوات يوم القيامة، وهى بلا شك نفس الخيام، التى كانت فى مقدمة الأماكن التى استوعبت الإنسان، وأقام بداخلها قبل أن يعرف البناء ومواده وأصوله.

إذ من المعروف أنه وبعد ما نزل آدم من الجنة.. علمه الله تعالى أن ينسج بعض الأقمشة وأن يذبح الحيوانات، ومن هذه المنسوجات البسيطة ومن جلود هذه الحيوانات تمكن الإنسان الأول من أن يجعلها بحق المادة الخام التى استخدمت فى إنشاء الأماكن التى أقام بها بعد ما خرج من الكهوف، وكانت تلك هى الخيام، التى نراها كثيراً فى مساكن أهل الصحراء، وكذلك أيام الكوارث والحرائق والمصائب التى تصيب بعض الأقوام هنا أو هناك.

وخيام الجنة التى سوف يقيم بها هؤلاء الحور العين، تختلف بلا شك عن تلك الخيام التى يصنعها الإنسان، ولقد ذهب المفسرون مذاهب كثيرة فى تحديد نوعية هذه الخيام، حتى تليق بتلك الحسناوات من الحور العين.. فيقول الإمام الطبرى فى حديثه عن هؤلاء الحسناوات وعند تفسيره لهذه الآية: إن هؤلاء الحسان بيض محبوسات فى البيوت على أزواجهن، فلا يردن غيرهن، وتلك من النعم التى أنعم الله بها على عباده يوم القيامة.

فى حين يرى بعض المفسرين الآخرين من أمثال ابن كثير أن الله تعالى سوف يخلق خياماً من لؤلؤ وياقوت كى يقيم بها حسناوات الجنة، بل وذكر أحمد بن

محمود النسفى فى تفسيره للآية «الحور المقصورات فى الخيام»: أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة فى خيام من الدر المجوف.

وما نود أن نشير إليه نحن فى هذا السياق أن الحديث عن الخيام بلا شك سوف يختلف طعمه ومعناه ووجوده مرتبطاً بالدنيا والآخر مرتبط بالآخرة والجنة.

ويبدو أن هؤلاء المفسرين قد حاولوا التميز بين الخيام فى كل من الدنيا والتى يصنعها الإنسان وبين خيام الجنة والتى يخلقها الله تعالى خصيصاً لهؤلاء الحور العين، فقالوا إن خيام الجنة من الدر فى مقابل خيام الدنيا من القماش!!

وعلى أية حال.. فإننا قصدنا من وراء هذا الحديث بيان نوع من أنواع الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها فى كتاب الله وارتبطت بمكان إقامة بنى البشر فوق الأرض، ثم تكريم هذا المكان واقامته فى الجنة مع عدم علمنا بما سوف يكون عليه فى جنات الله تعالى، لأن كل شىء سوف يتغير هناك بما لا نعلم نحن وما يدخل فى علم الله تعالى .. ويكفيه شرفاً كمكان إقامة للإنسان أن جاء ذكره فى كتاب الله تعالى.

** البيوت.. فى كتاب الله العزيز:

وننتقل فى حديثنا عن الأماكن المشهورة فى حياة الإنسان إلى نوع آخر من هذه الأمكنة وذلك وفق تسلسل تطور الحياة فوق الأرض ووفق مشيئة الله تعالى.الذى ألهم هذا الإنسان وبعد فترة زمنية طويلة عاشها متنقلاً بين الكهوف والأشجار والخيام، أن يعيش داخل بيوت يقيمها بنفسه ويستخدم فى إقامتها ما توافر أمامه من مواد سواء حجرية أو طينية، ثمّ تطورت فى عصرنا هذا إلى مواد أسمنتية ورملية.

ونعرف جميعاً وكما أنبأنا بذلك علماء الآثار والتنقيب أن المبانى التى أقام بها الإنسان قد شهدت تطورات متعددة على مدى العصور الماضية وحتى وصلت إلينا بشكلها الحالى سواء من حيث الارتفاع أو الاتساع أو الضيق.

ليس هذا فقط، بل وأخبرنا أساتذة هذا العلم ورواده أن المبانى التى أقام بها الإنسان قد اختلفت من عصر إلى عصر بل ومن بيئة ومن مجتمع إلى آخر.. وما زالت سمة الاختلاف هذه القائمة إلى يومنا هذا.

وكان علينا من أجل استكمال الحديث عن هذه الأمكنة ضرورة العودة من جديد إلى كتاب الله لنعرف موقع هذه البيوت فى هذا الكتاب الكريم وما ارتبط به من تفسيرات أوردها لنا كبار المفسرين.

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم هناك حديث طويل ومتنوع عن هذه البيوت .. منها ما ارتبط بكونها مساجد.. لارتباطها بالشعائر التى تؤدى من أجل عبادة الله.. ومنها ما ارتبط فعلاً بإقامة الإنسان كمسكن له، هذا النوع من البيوت جاء ذكره فى كتاب الله وبهذا المعنى فى سورة الأعراف وفى الآية (٧٤) فى قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾.

ونلاحظ هنا أن الآية الكريمة قد حددت لنا نوع هذه البيوت وهى من الحجارة المنحوتة فى الجبال. كما جاء ذكر البيوت بنفس هذا المعنى فى الآيات (٨٧) من سورة يونس و(٨٢) فى سورة الحجر، (٦٨) و (٨٢) فى سورة النحل، (٢٧)و(٢٩) و(٦١) فى سورة النورو (١٤٩) فى سورة الشعراء. ثم ذكر لنا الله تعالى لفظ البيوت وبشكل مباشر كمكان يقيم فيه الإنسان مع ضرورة المحافظة على من فيه. وذلك فى حديث صريح جاءفى الآية (١٨٩) مكرر فى سورة البقرة. وفى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

ونعم القول قول ربنا العظيم الذى يعلِّم الناس التربية وأصول دخول المنازل التى يقيم بها الناس حفاظاً على مشاعرهم وخصوصيتهم، كما جاءت كلمة البيوت بهذا المعنى أيضاً فى الآية (١٥) فى سورة النساء و(٤١) فى سورة العنكبوت. ثم جاءت هذه الكلمة أيضا مضافة إلى الآباء والإخوة والأخوال والأعمام والأمهات والخالات والعمات فى سورة النور الآية (٦١) .

ليس هذا فقط .. بل إن كلمة البيوت ونظراً لأهميتها فى حياة الناس وارتباطها بمعيشتهم واستقرارهم فقد جاء ذكرها أيضا فى سور وآيات أخرى.. من ذلك ارتباطها ببيوت النبى الكريم وذلك كما جاء قوله تعالى فى سورة الأحزاب الآية (٥٣): ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. كما جاءت نفس الكلمة وبألفاظ

أخرى فى كتاب الله وفى سور وآيات كثيرة مثل كلمة «بيوتكم» في سورة آل عمران الآية (٤٩)و(١٥٤)و(٨٧) يونس و(٨٠) النحل و(٢٧) و(٦١) فى سورة النور، وكذلك لفظ «بيوتكن» فى الآية (٣٣)و(٣٤) فى سورة الأحزاب، ولفظ «بيوتنا» فى الآية (١٣) فى سورة الأحزاب ولفظ «بيوتهم» فى سورة النمل الآية (٥٢) .. وفى سورة الزخرف الآيتين (٣٣)و(٣٤) والآية (٢) فى سورة الحشر.. ولفظ «بيوتهن» الآية فى (١) فى سورة الطلاق.

ولو أخذنا أي سورة كريمة من هذه السور المذكورة والتى جاء بها لفظ البيت أو البيوت لنعرف معناها سوف نجد أن هناك مباراة تفسيرية بين العديد من المفسرين فى تناولهم لهذا المكان، ولقد اخترنا على سبيل المثال الوقوف على تفسير الآية (١٨٩) مكرر فى سورة البقرة والتى جاء بها ذكر البيوت صراحة كمكان ارتبط بإقامة الإنسان، والتى يقول فيها رب العالمين ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ويقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى فيما كتبه عن تفسيره لهذه الآية خاصة ما ارتبط بالبيوت: إن هذا القول الكريم نهى لجماعة المسلمين عن عادة كانوا يفعلو نها فى الجاهلية، وهى أنهم كانوا إذا عادوا من حجهم أو أحرموا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، بل كانوا يدخلون من نقب ينقبونه فى ظهور هذه البيوت.

وأضاف: وأخرج البخارى عن أبى إسحاق قال: سمعت البراء رضى الله عنه، يقول نزلت هذه الآية فينا . كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت الآية السابقة.[1]

ومن حيث اللغة فإن كلمة بيت وجمعها بيوت.. مصدرها كلمة بات بياتاً ومبيتاً، ومباتاً بمعنى أدركه الليل فنام أو لم ينم. والبيت هو المسكن.[2]

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم – سورتى الفاتحة والبقرة للإمام الدكتور محمد سيد طنطاوى.

(٢) المعجم الوجيز.

** القصور .. نوع آخر من الأماكن:

ووفقاً لقاعدة التطور البشرى فوق الأرض التى أقام بها الإنسان بعد نزول أبيه آدم عليه السلام فقد أخذ الإنسان يطور حياته وكذلك أماكن إقامته، حتى أصبح له ولغيره من علية قوم وممن يحكمونه أماكن خاصة بإقامتهم من أجل أن تميزهم عن غيرهم، إذ عرفنا من قبل ووفقاً لهذه القاعدة أن الله تعالى قد خلق الناس جميعاً سواسية وبلا تفرقة، ولكنه مع ذلك قد فضل بعضهم على بعض، وهذا التفضيل جاء بدرجات حددها رب العالمين وأخبرنا بها فى كتابه العزيز.

ويبدو أن هذا التميز فى الدرجة لم يتوقف فقط على المال والعلم، بل امتد كذلك إلى أماكن إقامة الإنسان، رغم أننا وآباءنا جميعاً ومنذ خلق الله السموات والأرض كنا نعيش سويًا فى الكهوف وفى الخيام فيما بعد.

ولكن يبدو أن حالة التميز التى أشار إليها الله تعالى فى كتابه العزيز قد التفت إليها الإنسان وأخذ يطبقها حتى فى أماكن إقامته.

ولقد تطورت هذه النظرة المتميزة فى إقامة الإنسان إلى أن وصلت إلى ذروتها فى بنائه للقصور العالية والقلاع المنيعة.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق أن لفظ القصر أو القصور قد تغير مغزاه من عصر لآخر وفق ما ارتبط بهذا العصر من تطورات سواء فى مواد البناء، أو فى اختيار أماكن الإقامة، أو تمتع الإنسان بالمناصب واقترابه من السلطة أو السلطان.

ليس هذا فقط، بل إن لفظ القصر والدال على تميز المكان الذى يقيم فيه شخص ما، قد تغير كذلك بتغير الزمن ، ومدى ما حصل عليه الإنسان من نصيب وافر من العلم والتطور، حتى أننا نجد أن لفظ أو كلمة القصر كمكان مشهور يدل على مكان إقامة شخص ما مميز عن غيره قد اختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر أيضاً.

المهم هنا أن يظهر أصحاب هذه القصور بأنهم متميزون فى أماكن إقامتهم، وهذا التميز يبدو فى كثير من الأحيان فى اختيار المكان ونوع البناء واتساعه أو ضيقه، ليس

هذا فقط، بل إن القصر كـمكان إقامة لإنسان ما قد ظل حلماً يراود الكثـير من البشر وفى مجتمعـات مختلفة. كما ظل أيضاً رمزاً من رمـوز التقدم والآبهة للإنسان وسط قومـه دون غيـره، وعلى هذا الأساس فـقد ارتبطت نظرة الناس وتقـييـمهم لغـيرهم بالمكان الذى أصبحـوا يقيمون فيه. إضافـة إلى ما كانوا يلبسونه من ثياب، وكـثيراً ما نجد هذا التـميز منتشراً فـى طبقات الحكام وأصحـاب النفوذ من كبار التـجار، وكان ذلك من السمات المميـزة لتاريخ بنى البشـر وفى كل المجتمعات تقـريباً، وعلى درجة الخصوص حين عرف الناس طريقهم إلى التطور والاستفادة مما حولهم من إمكانيات سواء بشرية أو طبيعية.

وما توصلنا إلـيه هو ما أشـار إليه كتـاب الله العزيز إذ يؤكد مـعجم ألفـاظ القرآن الكريم أن كلمة قصـر أو قصور معناها فى كتاب الله البـيت الفخم الواسع، وجاءت بهذا المعنى كمكان مـشهور فى هذا الكتاب الكريم فى سـورة الحج وفى قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ الآية (٤٥).

كمـا جاء ذكـر هذا المكان على سبيل الجمع مـثلاً فى كلمـة «قصور» فـى سورة الأعراف الآية (٧٤) واللفظ فى الآية (١٠) فى سورة الفـرقان وذلك فى قوله تعالى: ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ أى بيوتاً فخمة وواسعة.

وكما سبق وذكرنا فإن مفهوم الفـخامة والسعة قد اختلف من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر أيضاً، وعلـى ذلك فما يراه غيرنا فـخماً فى مجتـمع ما، نراه نحن وهو معنا أقل فخامة، ذلك لأن هناك ما هو أفخم منه وأحدث .

إذن القيـاس يظل مرتبطاً بمدى مـقدرة الإنسـان على التنقل والتبـصر من أجل أن يتمكن من المقارنة.

وهناك العشـرات من المفسرين الذين شـغلوا أنفسهم بذكـر العديد من التفـاصيل وربما غير المرغوب فيها خاصة فى وصفهم لأحـد القصور مثل قصر ملكة سبأ مثلاً، أو قصر فرعون، أو بيت أو دار قارون أو غيـره من الأماكن التى ارتبطت بشخصيات بعينها ذكرها القرآن الكريم، وكذلك التاريخ.

ومن أجل معرفة ذلك وأكثر تعالوا نعيش لحظات مع تفسير الإمام الطبرى والخاص بالآية التى يقول فيها رب العالمين: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ الآية (٤٥) فى سورة الحج، حيث قال الإمام الطبرى فى هذا التفسير: كم من قرية أهلكناها وأهلها وهم يعصون الله ويعبدون غيره، وقد باد أهلها وخوت من سكانها وتساقط جدرانها على سقوفها، وكم من قصر رفيع قد خلا من سكانه بما أذقناهم من العذاب. (١)

وإذا ما أعدنا قراءة هذا التفسير سوف نكتشف أن هؤلاء القوم الذين أهلكهم رب العالمين كانوا بالفعل يقيمون فى قصور عالية وكانوا بذلك يتميزون عن غيرهم من بنى قومهم مما كان يدل كذلك على وضعهم المتميز بين هؤلاء القوم.

هذه القصور العالية لم تغن عنهم من عذاب رب العالمين، بل كانت كذلك خير شاهد على الانتقام لما بدر منهم من كفر وابتعاد عن الصراط المستقيم.

والقرآن الكريم قد حكى لنا عن بعض هؤلاء القوم الظالمين الذين كانوا يسكنون هذه القصور ظناً منهم أنها سوف تغنيهم عن عذاب رب العالمين، ومن هؤلاء .. هود، وعاد، وثمود، وفرعون، أولئك الذين تهاوت قصورهم وتهدمت فوق رءوسهم وربما أمام أعين بقية أبناء قومهم كى يكونوا عبرة لهم ولغيرهم من الذين يبتعدون عن منهج الله وطريقه المستقيم.

** الغرف .. والغرفات والحجرات:

بعد ما انتهينا من حديث المكان الذى يقيم فيه الإنسان سواء كان هذا المكان خيمة أو بيتاً أو قصراً، كان لا بد لنا من التوقف أمام ما يشتمل عليه هذا المكان من أماكن أخرى يستخدمها الإنسان، وكلها قد جاء ذكرها أيضاً فى القرآن الكريم .. ومن أهم هذه الأمكنة وكما نعلم جميعاً.. فهى الغرف أو الغرفات وهى جمع غرفة أو الحجرة وجمعها الحجرات، ومعناها من حيث المساحة والمكان: هو ذلك الحيز الذى نختاره داخل بيوتنا من أجل تخصيصه إما للنوم أو للطعام أو للجلوس.

(١) مختصر تفسير الطبرى - الجزء الأول.

وتختلف هذه المساحة من بيت لآخر كما يختلف الشكل والتأثيث وفقا لإمكانات كل صاحب بيت وقدراته المادية.

وقد يتساءل البعض: وهل يوجد داخل الخيام أيضاً غرف وحجرات؟ والإجابة بطبيعة الحال: نعم.. ولكن ليست غرفاً بالمعنى المتعارف عليه ولكنها مجرد أماكن مستورة أو منفصلة داخل الخيمة، ويتم تخصيصها وفق حاجيات صاحب الخيمة وأسرته.

ومع التطور يحاول كل إنسان داخل منزله أو بيته أن يضع تصورات خاصة لهذه الغرف، وكذلك استخداماتها. كما يحاول إمدادها بكل ما يراه لازماً له ولغيره من أهل بيته من أدوات .. حتى رأينا على سبيل المثال الكثير منا خاصة فى المناطق الحارة يمد هذه الغرف بالمكيفات الهوائية وكذلك المصابيح الكهربائية والوسائد والأسرة. إضافة إلى بعض المكونات التى سوف نشير إليها كذلك فى حينها والتى جاء ذكرها فى القرآن الكريم وهى ترتبط بالإنسان وحياته داخل منزله وخارجه.

وكما كان منهجنا من قبل مع كل هذه الأماكن، فإننا سوف ندخل معها إلى صفحات كتاب الله وقرآنه العظيم من أجل اكتشاف موقعها وكذلك تحديد أهميتها.

ونبدأ أولاً بالحديث عن الحجرة والحجرات، ومعناها وفق ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ذلك المكان من الدار الذى يحاط بجدران، وجاء هذا اللفظ بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ الآية (٤) من سورة الحجرات.

والمقصود هنا أصحاب رسول الله الذين كانوا ينادونه من خارج بيته وهو داخل حجراته مع زوجاته، ولقد أرشدهم رب العالمين لما فى هذا السلوك من عيب تجاه هذا النبى الكريم الذى كان يستاء من هذا الفعل الصادر منهم.

ليس هذا فقط، بل ولقد جاء توجيه رب العالمين فى هذه الآية ليشمل كل المسلمين الذين يعلمهم الله التأدب وحسن التعامل مع غيرهم، وخاصة وهم داخل حجراتهم، ومنازلهم.

وفى تفسيره لهذه الآية الكريمة قال الإمام الطبرى: إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك أكثرهم جهال بدين الله، واللازم لهم من حقك وتعظيمك، ولو أن هؤلاء الأعراب الجفاة صبروا، فلم ينادونك حتى خرجت لهم لكان خيراً لهم عند الله، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك.

أما الإمام النسفى فقد حدثنا عن سبب نزول هذه الآية وقال: إنها نزلت فى وفد من بنى تميم، وأن المقصود بالوراء: الجهة التى يواربها عنك الشخص بظله من خلف أو من قدام، أما الحجرة فهى الرقعة عن الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، والمراد فى هذه الآية حجرات نساء النبى وكانت لكل منهن حجرة. (١)

هذا عن الحجرة أو الحجرات، أما بخصوص ما جاء فى كتاب الله عن الغرفة والغرفات.. فتعالوا معنا أيضاً نكمل المشوار فوق صفحات كتاب الله لنعرف عنها الشىء الكثير، ومما يثير الدهشة والعجب أن كلمة غرفة وغرفات ارتبطت فى كتاب الله بمنازل المؤمنين يوم القيامة، فسبحان الله العظيم فيما أنزل إلينا من كتاب خالد. ذلك الكتاب الذى لم نعثر فيه عن معنى لكلمة الغرف بما يؤدى معنى ما نعرفه عنها الآن، وبحيث تتساوى مع كلمة الحجرة أو الحجرات، واستخداماتها المعروفة لدينا وأيضاً وفق ما جاء بشأنها فى القرآن الكريم.

إذن الغرف هنا معناها المقصود فى القرآن الكريم هو المنازل العالية فى الجنة، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم وفق هذا المعنى فى الآية (٢٠) مكرر فى سورة الزمر وفى قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ . وجاءت بلفظ «غرفاً»: فى قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ الآية (٥٨) فى سورة العنكبوت، وبلفظ الجمع «غُرفات» بمعنى المنازل العالية فى الجنة فى قوله تعالى" ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ الآية (٣٧) فى سورة سبأ.

ومعنى ذلك أنه يجب علينا حين نتحدث عن مكونات البيوت والمساكن والقصور، أن نذكر كلمة الحجرة أو الحجرات بدلاً من الغرفة والغرفات، إلا إذا كنا

(١) تفسير النسفى - مرجع سابق.

نردد الكلمة الأخيرة على سبيل التمنى بكونها غرف الجنة، والتى نتمناها جميعاً. وندعوا أن نكون من سكانها يوم القيام وبعد حساب يسير. آمين.

** المضاجع .. حيث ينام الناس:

جاءت كلمة المضاجع فى كتاب الله كى تعبر عن أماكن راحة بنى البشر، كما ارتبطت فى الوقت نفسه بكلمة أخرى جاء ذكرها فى كتاب الله وهى كلمة سُرر أو أَسِرَّة، وهى كلها أشياء يستلزم وجودها فى حياة الإنسان داخل بيته وحجراته وقصوره، وحتى فى الخيام، وتلك من عظمة هذا الكتاب الكريم وعظمة ما ذكره لنا رب العالمين عن كل ما يرتبط بحياة الإنسان حتى أماكن راحته ونومه ويقظته، وبل وبعض الآنية التى يستخدمها فى الدنيا وما سوف يكون مثلها فى الآخرة.

ليس ذلك فقط، بل لقد شمل حديث القرآن الكريم عن حاجات بنى البشر أشياء أخرى مثل الأرائك والفُرش المرفوعة ، وكلها ترتبط فى حقيقة الأمر بالمضاجع أو بالوسائل التى تحقق راحة الإنسان فى حياته خاصة داخل بيته.

إذن نحن ومن خلال هذه الفقرة سوف نتناول المضاجع والسرر والأرائك والفرش المرفوعة، باعتبارها شىء واحد أو عدة أشياء تصب فى خانة وسائل تحقيق راحة الإنسان خاصة داخل بيته حين يلجأ إلى الراحة.

ونبدأ بالمضاجع التى ذكرها الله تعالى مرة واحدة فى سورة السجدة وفي قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية (١٦) .

ومما لاحظناه بخصوص لفظ المضاجع كمكان مشهور ارتبط براحة الإنسان سواء بالليل أو بالنهار أنه لفظ شامل وجامع لكل معنى الراحة بالنسبة للإنسان أكثر من ارتباط مكان آخر خاصة داخل البيت. وجاء ذكره فى القرآن الكريم مثل السُرر والفرش المرفوعة والأرائك، ولذلك نرى أن ربنا سبحانه وتعالى قد ذكر لنا فى كتابه العزيز أن هناك طائفة من الناس من الذين يتفانون فى عبادة ربهم .. تخاصم

أجسامـهم مضاجعـهـم فى الليل ويتفرغـون لعبادة ذلك الرب العظيم بعدمـا هجروا النوم وتفرغـوا لصلاتهم وترديد اسم ربهم الأعلى فى السـر وفى العلن، وهم حيث هم فيه يدعون ربهم خوفاً من عقابه وطمعاً فى عفوه ورحمته.

وفى تفسير الإمام النسفى لهذه الآية يقـول : تتجافى أى ترتفع وتتنحى أجسامهم عن الفُرش والمضـاجع التى فيهـا ينامون، وقد أذن الله لهم بمناجـاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم لهم بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

وفي تفـسيـر الجـلالين بيان لـمعنى المضاجع: وهـى مواضع الاضطجـاع بفـرشهـا لصلاتهم بالليل تهجداً.

ولو نظرنا حولنا فـيما يخص أنواع هذه المضـاجع سوف نراها ممثلة فى الأرائك.. وجـمـعهـا أريكة وهى التـى جاء ذكـرها فى القـرآن الكريم فى سـور وآيات سـوف نستـعرض أرقامهـا وبعض ما جاء بشأنهـا. وذكر لنا معجم ألفـاظ القرآن الكريم أن الأرائك معناها الأسـرة أو السرر، وأن هذه الأرائك جـاء ذكرها فى كتـاب الله تعالى وفى قوله تـعالى :﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ الآيات: (٣١) فى سورة الكهف و(٥٦) فى سورة يس و(١٣) الإنسان و(٣٣)،(٣٥) المطففين.

ثم جـاء فى كتـاب الله كلمـة الأريكة أو الأرائك بلفظ آخـر ولكنهـا تؤدى نفس مـعناها ووظيفـتهـا ونعنى بذلك لفظ «السُـرر».. ومعناهـا لغوياً: مكان مـرتفع عن الأرض وفوقه وسادة من قماش أو قطن أو أى حشو آخر. وتُعتبر فى عرف المضاجع من أهمها وأشهرها لدورها فى حماية جسم الإنسان فى أثناء نومه لأنها أداة يرتفع به النائم عن سطح الأرض خوفاً من البرودة أو الحرارة.

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم جـاء ذكر كلمة «سُرر» فى الآية (٤٧) فى سورة الحجر واللفظ فى الآية (٤٤) فى الصـافات والآية (٢٠) فى سورة الطور و(١٥) فى الواقعة و(١٣) فى الغاشية.

كمـا جاءت بلفظ «سُرراً» فى سـورة الزخرف فى الآية (٣٤) .. فى قـوله تعالى:

﴿وسُرُرا عليْها يتَّكِئُونَ﴾ وكما سبق وذكرنا فإن هذا المعجم يؤكد لنا أن لفظ «السرر» مفرده سرير.. ومعناه ما يجلس أو يضطجع عليه.

ثم يأتى المعنى أو اللفظ الثالث والمساوى للمضاجع والمذكور فى كتاب الله والمتمثل فى لفظ الفُرش المرفوعة.. كى يؤدى تقريباً نفس الوظيفة التى عليها المضاجع مع اختلاف بسيط من حيث شموليته للراحة، ويبدو ذلك بوضوح فيما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى ذكر لنا أن كلمة فُرش هى جمع فراش. وجاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ الآية (٥٤) فى سورة الرحمن واللفظ فى الآية (٣٤) سورة الواقعة.

وفى حديث الطبرى عن تفسير هذه الآية قال: ولهم فيها فُرش مرفوعة بعضها فوق بعض، وفى الحديث النبوى الشريف، ارتفاعها كما بين السماء والأرض، وفى قول آخر لصاحب تفسير الجلالين: إن الفُرش المرفوعة هى ما غلظ من الديباج وحسن الظهائر من السندس.

** المصابيح .. عندما تضاء بنور الله:

من المؤكد أن الكهوف والمساكن والبيوت والقصور، وما بداخلها من حجرات لا يمكن أن ينعم بها الإنسان بدون أن تضاء بنور الله الذى خلقه لنا كى نعيش ليلاً بين جدرانه ونرى ما حولنا.. وقد متعنا الله رب العالمين بنوره قبل حلول ليله البهيم عندما نرى الشمس نوراً ودفئاً.

وحتى عندما يأتى ذلك الليل نرى فى السماء مصابيح نور الله المتمثلة فى قمره ونجومه، وكما نعرف جميعاً ووفقاً لقاعدة تطور البشرية فوق الأرض التى نزل فوقها أبونا آدم عليه السلام. فإن ذلك الإنسان قد ظل يعيش فى حلم الوصول إلى أسرار النار، والوقوف على أطوارها ووظائفها لا ليدفئ بها، بل كى تنير له طريقه وكل مكان يقيم به، ولقد ألهمه ربه إلى التعرف على طريق الوصول إلى هذه النيران، عندما بدأ أولاً فى استخدام الأحجار والتى ينتج عن احتكاك بعضها البعض شرارة ساهمت فى إشعال نيران بسيطة فى بعض أوراق الشجر اليابسة ثم فى أخشاب

الأشجار. وقد ظل هذا التطور مستمراً فى حياة الإنسان الأول لفترة طويلة حتى أبصره رب العالمين بما حوله من مواد أخرى يمكن أن تشتعل وتحقق له الدفئ والضياء والنور فى آن واحد.

وكما نعرف فقد بدأ هذا المشوار باكتشاف قدرة الماء المغلى على توليد الطاقة ثم الفحم والبترول والمياه والرياح وأخيراً محطات الطاقة النووية فى الاستخدام السلمى، وقد أصبحت كلها بالفعل وسائل ومواد تساهم فى إشعال المصابيح كى تنير حياة الإنسان سواء بالليل أو بالنهار، وكانت هذه المصابيح نفسها هى الطريق الممهد لحضارة الإنسان وامتدادها خارج نطاق الكوكب الذى نعيش فوقه، إذ قادته قدرته على اكتشاف أنواع من الطاقة إلى الخروج من كوكب الأرض إلى القمر وغيره من كواكب المجموعة الشمسية، ثم العودة مرة أخرى فى أمان وسلام، فسبحان من خلق هذا كله، وسخره لبنى البشر كى يضيئوا حياتهم فى الماضى والحاضر وفى المستقبل.

إذن نكتشف أن المصابيح كمصدر إضاءة ودفء للإنسان قد جاءت مكملة لنعم الله عليه فيما ارتبط بأماكن إقامته سواء داخل الخيام أو البيوت أو القصور، وتكريماً لهذه المصابيح ولدورها المضىء في حياة الإنسان فقد كرمها رب العالمين أيضاً بذكرها كمكان مشهور فى كتابه العزيز وفى قوله تعالى فى سورة الملك الآية (٥): ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

والمصابيح المقصودة هنا وفق ما أشار إليه ربنا فى الكتاب العزيز هى النجوم الساطعة ليلاً.. والتى تضىء للإنسان حياته، وكانت كذلك من قبل اكتشافه النار ومشتقاتها، وكذلك فى قوله تعالى :﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية(٣٥) فى سورة النور .

ولو أعدنا قراءة هذه الآية الكريمة سوف نعرف قيمة النور والمصابيح ليس فى حياة البشر فقط، بل فى حياة كوكب الأرض وما فيه.

وفى تفسيره لهذه الآية يقول الطبرى: مثل نور الله الذى أناره لعباده سبيل الرشاد فى قلوب المؤمنين مثل عمود القنديل الذى فيه السراج. هذا المصباح يوقد من زيت شجرة مباركة زيتونة، تشرق الشمس عليها وتغرب.

وبهذا التفسير نعرف أن الله تعالى قد علم الإنسان قيمة الزيت فى مجال الإضاءة وكيفية استخدامه من أجل أن تضاء له المصابيح.

ولقد ظل عقل الإنسان يبحث عن ذلك الزيت فى كل مكان سواء داخل الأشجار أو تحت الأرض حتى توصل إلى أعظم أنواعه وهو زيت البترول الذى أصبح أهم علامة من علامات تقدم الإنسان فى هذا العصر وفى غيره من العصور. ثم تمكن ذلك الإنسان وبخلاف اكتشافه لهذا الزيت من اكتشاف قوة الماء فى توليد الكهرباء التى ساهمت أيضًا فى إضاءة هذه المصابيح، بل وإضاءة كل ما حوله حتى أصبح يعيش فى النور ليلاً ونهاراً، وبالتالى فقد اصبح من المستحيل أن يعيش الإنسان بعيداً عن هذا النور الذى خلقه رب العالمين وخلق لنا منه ما نستمتع به إلى قيام الساعة. كما أنزل لنا فى الوقت نفسه القرآن الكريم لكى يضىء حياتنا فى الدنيا وفى الآخرة.. باعتباره نور على نور، يوفر لأتباعه الحياة الطيبة ويهديهم به إلى سواء السبيل وإلى الطريق المستقيم.

** السهول .. المزارع والمراعى والحياة:

وإذا ما تركنا كافة الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها فى كتاب الله والتى ارتبطت بأماكن إقامة الإنسان منذ خلقه الله وإلى اليوم، وهى التى استعرضناها جميعاً من قبل، كان لا بد لنا وأن نقف أمام أماكن أخرى جاء ذكرها أيضاً فى كتاب الله ولكنها هذه المرة ارتبطت ليس بإقامته وراحته، بل ارتبطت بما هو أهم، حيث كانت وما زالت هى مصدر رزقه ومعيشته. ونقصد بها السهول!!

وفى تعـريف بسيط لمعنى السـهول.. نجـد أنها كل الأمـاكن المنبسطة فـوق سطح الأرض والتى تجرى من حولها الأنهار وبالتالى فهى قابلة للزراعة والحياة والنماء.

وأعتقد أن كلمة السهول قد جاءت هنا بمعنى السهولة فى الحياة ويسرها لما يتوافر فيها من عوامل كـثيرة أتاحت للإنسان حياة مريحة ورغدة وسط خيـرات كثيرة سواء فى الزراعة أو فى المراعى!

ونحن نعرف جميعاً أهمية الزراعة بالنسبة لحياة الإنسان، ومدى سهولتها الآن فى ظل وجود هذه الثورة العلمية غير المسبوقة.

ولقد تحـدث العديد من علمـاء الجغرافـيا عن مسـميات هذه السـهول وصفـاتها وملامحـها وأشهر أماكنهـا فوق سطح الأرض .. فى مقابل حديثـهم عن الصحارى والتى تمثل الضد بالنسبة لحياة الإنسان من حيث ندرة مياهها وخشونة الحياة فيها.

وبدون أدنى شك فـقـد توصل علمـاء الآثار وكـذلك المـؤرخـون إلى أن أعظم حضـارات الإنسان أقيـمت بالقرب من ضفـاف الأنهار وداخل هذه السـهول، ولعل أشهرها قديما الحضارة الفرعونية والأغريقية والرومانية والفارسية وغيرها.

بل وما زالت هذه السـهول هى مصدر الحضـارات الحديثة بما تقدمـه للإنسان من طعام وشراب هانئ وسهل وغزير.

وقديما كما يحـكى بعض المؤرخين أن آدم عليه السلام حين نزل إلى الأرض، ظل يعيش لسنوات لا يعلمهـا إلا الله فوق سفوح الجبال، ثم انتقل بعـدها سواء هو نفسه أو أولاده وأحفاده حيث السهول والأنهار الجـارية التى كانت هى فاتحة خير على بنى الإنسان من أجل تعمير هذه الأرض والعمل على إقامة حضارات متنوعة هنا وهناك.

ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر القول بأنه إذا ما ذكرت السهول، ذكرت المياة العذبة والأراضى الزراعية والمحاصيل المتنوعة والمعيشة الرغيدة، ثم بناء الحضارات.

ولقد كرم الله تعالى هذه السهول كأماكن طيبة ومشهورة فى حياة الإنسان بذكرها

فى كتاب الله العزيز، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ الآية (٧٤) الأعراف.

وفى التفسير اللغوى لكلمة سهول وفق ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن: أنها تعنى المنبسط من الأرض ليس فيه وعورة ولا غلظة.

ولقد جاءت هذه الآية ضمن حديث القرآن الكريم عن نعم الله وفضله والذى آتاه لقوم ثمود الذين بعث إليهم رسولهم كى يرشدهم إلى طريق الله المستقيم.

ولا شك فى أن هذه النعم المرتبطة بسهول الأرض لم يحظ بها قوم ثمود أو عاد فقط، بل حظى بها كل الأقوام الذين عرفوا قيمة الحياة حول ضفاف الأنهار.

ولسوف تظل هذه القيمة مستمرة إلى يوم القيامة، أو حتى يريد الله لعباده غير ذلك، عندما تجف الأنهار وتتحول السهول إلى صحارى برمال صفراء، وبالتالى يشمل التغيير كل بقاع الأرض.

ولن نغالى حين نقول إن البشرية فى طريقها إلى هذه المرحلة حيث يسارع كل البشر تقريباً من أجل المشاركة فى حرب البيئة والقضاء على ما بها من الأشجار والمحاصيل، وبالتالى على ما بها من سمات حضارية شارك فى صنعها على مدى تاريخه الطويل.

** الأودية .. أنواع من السهول الجيدة:

وإذا كان ربنا العظيم قد ذكر لنا السهول فى كتابه العزيز كمكان مشهور لعب دوراً مهماً فى حياة الإنسان وبناء حضاراته على مر التاريخ. فإن هذا الكتاب العزيز أيضاً قد حدثنا كذلك عن الأودية، وهى تلك الأماكن الخصبة الموجودة داخل مجتمعات بعينها. والتى يوجد أغلبها حول ضفاف الأنهار، حيث المياه العذبة التى يستخدمها الإنسان فى الزراعة وفى الشرب أيضاً.

وصحيح أن القرآن الكريم لم يذكر لنا واد خصب بعينه أو ذكر لنا مكاناً مرتبطاً

به صراحة باسم الوادى أو الأودية، ولكنه فى نفس الوقت ذكر لنا بعض الأماكن التى قامت بها حضارات إنسانية ونعم أصحابها بالعيش الرغيد فى ظل ما أمدهم به الله تعالى من نعم كثيرة فى الزراعة والمياه والمعادن.

ولقد أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى مثل هذه الأمكنة فى قصة عاد وثمود وفرعون وأقوامهم الذين كفروا بنعم الله فكان جزاؤهم عسيراً، إذ حرمهم مما كانوا يتمتعون به، فتحولت هذه الأراضى الخصبة وماؤها العذب إلى أراض جرداء وماؤها مالح!!.

ومن أشهر ما ذكره لنا القرآن الكريم فى هذا السياق ما آل إليه حال أصحاب السبت وأصحاب القرية التى كانت تعمل الخبائث من قوم لوط، وفى المقابل، كافأ رب العالمين أصحاب الإيمان من عباده الذين أقاموا فى هذه الأودية، وفتح الله عليهم وأمدهم بالخير الوفير ثم أرشدهم لتحقيق المزيد من التقدم فى حياتهم المعيشية وبناء الحضارات .وقد ضرب الله الكريم لنا أمثلة كثيرة لهؤلاء القوم المؤمنين.

إذن الأودية ومفردها واد هى الأماكن التى هيأها رب العالمين بما وفر لها من إمكانات طبيعية فى الماء والطقس كى تحتضن حضارات الإنسان عبر التاريخ الطويل.

ولدينا أمثلة عظيمة على هذه الأودية التى ما زالت قائمة إلى الآن ويعيش أهلها فى سلام وهناء ورغد، بعدما أقاموا للبشرية حضارات مهمة ساهمت فى إعلاء كلمة التوحيد والتنوير والتقدم.

ومن هذه الأدوية المعروفة لدينا جميعاً وادى النيل ووادى الفرات ووادى نهر الأردن، بخلاف أودية كثيرة أخرى تحدث عنها وبكل التفصيل المطلوب أساتذة الجغرافيا وعلماء الزراعة، سواء فى نطاق عالمنا العربى أو خارجه، وسواء ما هو موجود منها فى العالم القديم أو ما تم اكتشافه فى العالم الجديد.

فسبحان الله العظيم الذى هيأ لعباده من بنى البشر كل شيء طيب كى يتمتعوا به فى ظل رعايته وعبادته والسير فى طريق التقوى والإيمان بواحدانيته.

والقرآن الكريم ذاته قـد أخبرنا بذلـك وأكثر .. والسـورة القرآنية الوحـيدة والتى جـاء بها ذكـر الأودية بالمعنى الذى أشرنـا إليه من قـبل، هى سورة الرعـد وفى الآية (١٧) حـيث قـال ربنا العظيم فى هذه الآية: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

وواضح هنا ذلك الربط العظيم بين خـصوبة هذه الأودية وبين الماء الـعذب الذى أنزله رب العالمين، هـذه الخصوبة، وتلك الميـاه، كانت بحق من أهم وسـائل الإنسان وفى كل عصر من أجل الأرتقاء بحياته وبناء حضارته وقوته وحاضره ومستقبله.

وهناك آية كـريمة أخرى فى سـورة الفـجر تبـرهن أكثـر على مـا ذهبنا إليه بشـأن الوادى والأودية وهو قـول الله تـعـالى فى الآية (٩): ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.

وهؤلاء القوم الذين أنعم الله عليـهم بأن أسكنهم فى واد فسيح وبه كل مـقومات الحيـاة الطيبـة، وهم لم يكتفوا بذلك بـل أخذوا يقتطعـون الحجارة الصـلبة من أجل استخـدامها فى بناء بيـوتهم وقصورهم، وقد ظنوا فـيما بعد أن هذه الحـجارة وتلك الصخورسوف تمنعهم من عذاب رب العالمين.

ويؤكد العـالم الدكتور أحـمد شوقى إبراهيم أن هؤلاء القـوم كانوا يعيـشون فى وادى الأردن حيث ما زالت توجد آثار قوم ثمود، وكذلك فى جبال طوروس جنوب الأناضول وشـمال بلاد الشام أيضـاً حيث توجد آثار أخرى تدل عـلى معيشـتهم فى هذه الأودية.

ثم جاء لفظ «الوادى» لثـالث مرة فى سورة الشعراء وفـى الآية (٢٢٥) حيث قال ربنـا العظـيم : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ والمقـصود فى هذه الآية طائفـة الشعـراء من الذين يكون مقصـدهم دائما الأودية والوديان الخضـراء والتى يذهبون إليها بعقولهم ويهيـمون بها على غير قصد فيمدحون بالبـاطل قوماً ويهجون آخرين بالكذب.

** مصانع .. المزيد من الرفاهية:

ولو أردنا تدبر حكمة رب العالمين فى خلقه لبنى الإنسان ، وكيف يسر وسير له حياته وفق مشيئته تعالى .. سوف نكتشف أن هذه الحياة مرت بعدة مراحل، وكان لكل جيل من الأجيال دور بارز فى كل منها.

ولقد عرفنا من قبل قصة الخلق ثم هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، وسعيه وأهله من أجل تعمير تلك الأرض، هذا التعمير الذى مر هو الآخر بمراحل متعددة بدأت بعدما استقر الإنسان فى مسكنه الآمن وتدبيره لوسائل معيشته المضمونة، وذلك وفق تدبير العزيز الحكيم.

ولما اطمأن ذلك الإنسان على هذه الحياة وسط الأرض الخضراء وعلى مقربة من الأنهار، انتشر أبناؤه فى الأودية والسهول الخصبة وكذلك فى الجبال والصحارى، وذلك بحثاً عن تحقيق المزيد من الآمال التى تضيف إليه الرفاهية والحياة الطيبة والأمل فى غد أفضل، ولذلك نراه بعدما علمه رب العالمين من لدنه علماً عظيماً مثل الزراعة والرعى، مؤكداً على استقراره فى الحياة داخل مساكن وبيوت وحجرات وقصور فارهة، نظر الإنسان فيمن حوله وأمامه ووراءه من أجل أن يؤكد وجوده فى هذه الحياة، ويضمن المزيد من الرفاهية والتقدم، ولم يكن أمامه من سبيل سوى إقامة المصانع، خاصة بعدما أرشده ربنا تعالى إلى المعادن وعلمه كيف يصهرها، ثم كيف يستخدمها فى تحقيق تلك الآمال.

ولقد عرفنا من قبل كيف أن الله تعالى قد أرشد عبده ونبيه الكريم داود عليه السلام إلى أماكن استخراج الحديد والنحاس، ثم واصل الإنسان بعد ذلك بحثه عن بقية أنواع هذه المعادن المطلوبة لإقامة حضارات فوق الأرض ، وكان سبيله لصهر هذه المعادن ثم استخدامها فى إقامة كل مشروعاته، هو بناء المصانع الكبيرة والصغيرة، حتى وصلت هذه المصانع إلى ما هى عليه الآن .. وقد أصبحنا نشاهد بالفعل المصانع من كل نوع وفى كل مكان.. وذلك من أجل تصنيع كل شىء، بدءاً من الإبرة إلى الصاروخ كما يقولون.

ورويداً رويداً شعر الإنسان بأهمية ما ينشئه من مصانع سواء فيما يخص المواد الخام الزراعية أو الصناعية أو المعدنية، كما أصبحت تلك المصانع تحمل إليه بشائر المستقبل باعتبارها من أعظم ما حقق للإنسان فى حياته ومعيشته من الخير والبركة والأمان، كما أصبحت فى الوقت ذاته عنوان الحضارات وأهم أسباب قيامها ونجاحها.

إن الله تعالى وبكرمه قد علم الإنسان ما لم يعلم فى كل شىء، كما صاحبت رحلة التعلم هذه.. رحلة بحث طويلة من أجل تحقيق عملية تحويل واسعة فى كل المجالات.

هذا التحول كان مكانه الطبيعي، تلك المصانع التى أصبح يقيمها الإنسان وفى كل المجتمعات وعلى مر كل العصور مع الفارق طبعاً فى درجة التقدم من حيث استخدام الآلات والأيدى العاملة والطاقة، وحجم هذه المصانع، والتى تطورت على مر هذه العصور ووفق ما تعلمه الإنسان من علوم ساهمت كثيراً فى هذا التطوير.

وإذا كان الله تعالى قد خلق لنا الزراعة وأدواتها وأرشدنا إلى كيفية الاستفادة منها من أجل بقائنا فى هذه الحياة، فإن الصناعة وما خلق الله من أجلها من معادن وغيرها من المواد الخام قد أصبحت بحق هى الأخرى صمام أمان الإنسان من أجل تعميره لهذه الأرض وإقامة حضاراته عبر كل العصور، وأيضاً مع اختلاف كبير أو صغير وخاصة فى التفاصيل .

ولا ننسى أن نشير فى هذا السياق إلى أن هذا الإنسان، قد حول هذه المصانع فى كثير من الأوقات والأزمنة إلى وسائل تدمير لنفسه ولغيره، ولا يزال يسير فى هذا الاتجاه، وعليه أن يفيق ويرجع إلى الله، ذلك لأنه تعالى قد خلق لنا ما مكننا من إقامة هذه المصانع من أجل حياة طيبة ومستقبل أفضل.

وهذا ما أشار إليه بالضبط القرآن الكريم حين ذكر لنا المصانع كأماكن مشهورة فى حياة الإنسان، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ الآية (١٢٩) من سورة الشعراء.

ومعنى الآية على العموم أن الله تعالى قد حذر هؤلاء القوم الذين تصوروا أن بناءهم المصانع سوف يساهم فى تخليدهم وابتعادهم عن عذاب رب العالمين.

هذا الحديث صحيح وإن كان موجهاً ووفق ما جاء فى هذه الآية الكريمة إلى قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هود عليه السلام، إلا أن معناها يتسع بعيداً عن هؤلاء القوم ليشمل كل البشرية، وفى كل العصور مع اختلاف نوعية هذه المصانع وما تنتجه لأصحابها.

وها نحن اليوم، وفى عصرنا الحاضر نشاهد المصانع الشامخة التى يحاول أصحابها أن تنتج لهم بالفعل ما تصوروا فيه الخلود، مثل مصانع الأسمنت والحديد وكذلك مصانع الطاقة النووية. فسبحان الله العظيم الذى أخبرنا بالمستقبل وحذرنا وإياهم مما سوف ترتكبه أيدينا فيه من أعمال نظن بعدها الغرور!! وكلها أبداً لن تغنى عنهم من الله شيئا، إلا إذا كانوا على صراط مستقيم، وذلك وفق ما أشار إليه ربنا الكريم.

ولكنها النفس البشرية الأمارة بالسوء والتى تأخذها العزة وتسير وراء الشياطين بكل أنواعها وأشكالها وأجيالها !!.

والشيء الذى يلفت الأنظار فيما تحدث عنه المفسرون، أنهم اعتبروا المصانع وكما يقول بذلك الإمام الطبرى فى تفسيره لهذه الآية وكذلك الإمام النسفى. هى ذاتها القصور والحصون.. مع أن اللفظ صريح ومعناه كل ما يقدم عليه الإنسان من أجل تصنيعه، حفاظاً على حياته ومستقبله !!. وذلك لأن كلمة المصانع مأخوذة من الصناعة وفعل يصنع ، وهى لذلك تؤدى المعنى المباشر منها، وكما سبق وأوضحنا، والدليل على ما ذهبنا إليه أن الله تعالى قد ذكر لنا وفى السورة نفسها مظاهر حضارة قوم عاد الذين كانوا ينحتون بيوتهم فى الجبال ويقيمون القصور الشاهقة والأبراج العالية.

** الأسواق .. وفيها يبيع الإنسان ما أنتج:

من يقرأ القرآن ويتدبر معانيه الظاهرة والباطنة سوف يكتشف كل العجب، ذلك

لأن الله تعالى قد خلق الإنسان وهيأ له كل سبل الحياة الطبيعية، كما أرشده كذلك إلى تلك السُبل من أجل الانتفاع بها فى حياته لتحقيق المزيد من عمارة الأرض.

وها نحن نكمل مسيرة الأماكن المشهورة فى حياة الإنسان.. إذ بعد أن أخبرنا ربنا بما كان من أمر تلك المصانع، أخبرنا كذلك بأن هذه المصانع لا بد لها من تصريف ما تنتجه، وأن المكان الطبيعى لتصريف هذه البضائع هى الأسواق، التى نقيمها هنا وهناك ويجتمع فيها الناس من كل مكان من أجل استكمال حاجياتهم وما ينقصهم.

وتلك سنة الله فى خلقه وحتى يظل الإنسان فى حاجة إلى أخيه الإنسان، هذه الحاجة قوامها الأموال والتبادل التجارى والتى يكون مقرها الطبيعى فى الأسواق.

وكما نعرف جميعاً فإن هذه الأسواق قد بدأت بشكل بدائى .. وتمثل ذلك أولاً فى المقايضة كأسلوب للبيع أو الشراء، ثم ظهرت الأوراق المالية.. وكذلك السندات.

وعلى مرور العصور والأزمنة تغير كل شىء فى حياة الإنسان حتى رأينا هذه الأسواق تتعدى حدود البلدان والدول، وبالتالى تحولت إلى مصدر إمداد الإنسان باحتياجاته سواء الزراعية أو الصناعية، بل ومن غرور الإنسان ذاته أن حول تلك الأسواق إلى أماكن يبيع فيها كل شىء، حتى الإنسان ذاته وفى صور متعددة مثل بيع العبيد على سبيل المثال وبيع الأخلاق وخلافه.

وما قصد ربنا سبحانه وتعالى ذلك أبداً.. بل أوصانا بأن نجعل من هذه الأسواق أماكن شريفة لأجل إمدادنا بما نحتاج إليه فى حياتنا.

ويظل الإنسان فى غروره وفى كل عصر.. إذ لم يكتف بذلك، بل جعل من هذه الأسواق أماكن غير شريفة كما ذكرنا من قبل فى كثير الأحيان حيث يبيع فيها ويشترى منها كل شىء، حتى يدمر حياته ومن حوله.

ولقد رأينا وعرفنا، بل وسمعنا وربما شارك بعضنا فى هدم الأسواق التى يباع فيها ما يذهب عقل الإنسان ويحط من قدره!!.

ولو أننا اتبعنا سنة الله فى خلقه وجعلنا أسواقنا أماكن شريفة لتبادل ما لدينا من حاجات وبضائع، لاختلف الحال كثيراً.

وحين نعود إلى كتاب الله الكريم سوف نعرف عن هذه الأسواق أكثر مما ذكرناه لأن الله تعالى علمنا وما زلنا فى حاجة إلى هذا العلم، حيث ذكر لنا ربنا هذه الأسواق فى آيتين فى سورة الفرقان .. وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ الآية (٧) واللفظ فى نفس السورة فى الآية (٢٠). وفى تفسير هذه الآية وفق ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الأسواق معناها مواضع البيع والكفار قد أنكروا على النبى ﷺ النزول إلى تلك الأسواق فإذا كان الله قد أرسله فلماذا لم يهيىء له كنزاً أو جنة يأكل منها. (١)

والآية الثانية التى جاءت فى سورة الفرقان توضح لنا أكثر ماهية تلك الأسواق ودورها فى حياة البشر، ولعل ذلك يبدو بوضوح فى قوله تعالى فى هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ (الآية ٢٠).

ومعناها أن الله تعالى قد جعل الأنبياء والرسل أيضاً يتجولون بالأسواق لشراء ما يحتاجون إليه مثلما كان يفعل رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

كما أشار القرآن الكريم فى الآية ذاتها.. إلى ما يحدث فى هذه الأسواق من تجاوزات، خاصة من التجار الأغنياء الذين يتلاعبون بأقوات الفقراء مما أدى إلى تحولهم من الشرف إلى الوضاعة.

وهذا المعنى بالضبط ما أشار إليه تفسير الجلالين.. فيما ذكره حيث جاء فيه بالحرف الواحد: «لقد ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع».

هذا الابتلاء هو بعينه ما يحدث فعلاً داخل كل الأسواق التى خلقها رب العالمين كأماكن مشهورة لخدمة الإنسان ذاته إذ يجد كل ما يحتاج إليه متوفراً أمامه ليحصل عليه سواء بالمقايضة أو بالمال.

ولكننا وكما ذكرنا قد بدلنا كل شيء وبالتالى حولنا هذه الأسواق إلى أماكن لا نرغب فى ارتيادها إلا فى ظروف بعينها، ذلك لما نراه ونسمعه فى تلك الأسواق وما

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم –ج١ .

يقع فيها من تجاوزات لا يرضى عنها ربنا الكريم ، وهى تخالف حتى ما جاء فى التفسيرى اللغوى لهذه الكلمة، إذ من المعروف أن كلمة سوق مصدرها فعل ساق، سوقاً وسياقة. ومعناها: حثه من خلفه على السير، ويقال كذلك ساق الله إليه خيراً ونحوه. أى بعثه وأرسله، والتسوق يعنى البيع والشراء. (١)

** الحصون والملاجئ والمغارات.. للحماية:

هذه الأماكن المشهورة فى حياة البشر وما جاء بشأنها فى القرآن الكريم تكمل بعضها البعض، إذا ما تدبرها كل إنسان منا، وكلها تصب فى طريق توفير وسائل الراحة والحياة الرغدة للإنسان ذاته.

ونحن نتوقف هنا أمام هذه الأماكن التى علم الله تعالى الإنسان من أجل بنائها لحمايته من أعدائه ومما يحيط به من مخاطر! .

إذ أن ذلك الإنسان بعدما هيأ الله له الأرض لعمارتها فبنى بها البيوت والقصور والأسواق، كما كان عليه كذلك ووفقا لمشيئة رب العالمين أن يفكر فى أماكن أخرى لحمايته من الأعداء، فأقام الحصون والصياصى والملاجئ والمغارات، وكلها أماكن جاء ذكرها فى القرآن الكريم.

ومن عجيب ما قرأنا عنه فى كتب التاريخ أن الإنسان ظل حريصاً على الإنفاق ببذخ على هذه الحصون وتلك القلاع.

ليس ذلك فقط، بل واتخذ منها علية القوم مساكن يقيمون بها، ليس من أجل حمايتهم من الأعداء بل وحمايتهم كذلك من رعاياهم!!

كما وظفوا عقولهم وعقول حكماء القوم معهم وكذلك علماءهم لأجل البحث عن أماكن معينة كى تصلح لبناء هذه القلاع وتلك الحصون والملاجئ.

ولذلك نجد أن أشهر هذه القلاع وكذلك الملاجئ والمغارات قد ارتبطت فى تاريخ البشرية ببعض الشخصيات المهمة وكذلك ببعض الأمم والشعوب.

---

(١) المعجم الوجيز – مصدر سابق.

ويؤكد علماء التاريخ أن العصور الوسطى كانت من أزهى عصور بناء القلاع والملاجئ والحصون، وفق نظريات تحقيق الأمن والأمان .. لما كان يتوفر لها من سبل المقاومة والصمود أمام الغزوات.

وبطبيعة الحال ووفقاً لتطور الأزمنة فقد مرت هذه الحصون وتلك القلاع وكذلك الملاجئ والمغارات بمراحل متعددة، إذ أقيمت في بداية استخدامها بشكل بدائى ثم تطورت حتى أخذت أشكالاً متعددة من حيث القوة والاتساع والقدرة على المقاومة.

وفى عالمنا العربى وكذلك فى أوربا هناك قلاع مشهورة بدرجة كبيرة من حيث كونها شهدت أحداثا سياسية أو عسكرية ساهمت بدورها فى تغيير مسار التاريخ، كما كانت فى الوقت نفسه شاهداً على عصر قوة الحكام ومدى ارتباطهم بالعلم والعلماء والجاه والسلطان.

هؤلاء العلماء الذين كانوا هم طليعة تفكيرهم فى تنفيذ هذه الحصون بما يسمح بصمودها على مدار السنوات والدهور حتى رأينا أن هناك قلاعاً يصل عمرها إلى آلاف السنين وما زالت بصحتها وقوتها، بل وأصبحت تمثل لأهل هذا المجتمع أو ذاك إحدى العجائب التى يشاهدها الأبناء كرمز لعظمة أجدادهم، سواء من حيث عظمة التشييد أو قوة البناء أو مكانها المتميز أو من حيث اتساعها وضخامة بنائها .

ورغم انحصار أهمية تلك القلاع فى عصرنا الذى نعيش فيه الآن إلا أن الملاجئ والمغارات لا تزال تلعب دورها القديم خاصة فى أوقات الحروب والأزمات.

وما نود أن نشير إليه أن المغارات فى أغلبها كانت من صنع الطبيعة وهى كثيراً ما توجد فى المناطق الصحراوية أو المتاخمة للصحراء، وما كان على الإنسان إلا أن يستخدمها، مثلما حدث معه فى استخدام الكهوف التى نُحتت بشكل طبيعى فى جوف الجبال.

أما الحصون والملاجئ فهى دائما من صنع الإنسان لتؤدى له وظيفة مهمة فى مجال الحروب إما لحمايته من أعدائه أو لاستخدامات أخرى كثيرة تحدثنا عن بعضها آنفاً.

ولقد احتفل القرآن الكريم بهذه الأماكن وأشار إليها ربنا سبحانه وتعالى فى هذا الكتاب المبين، ففى سورة الحشر .. أشار القرآن الكريم إلى كلمة الحصون فى آيتين، الأولى ذكرت الحصون مباشرة وذلك فى قوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ الآية (٢).

وكلمات هذه الآية واضحة المعانى والمقاصد، حيث ظن مجموعة من أهل الكتاب وهم بطبيعة الحال كانوا من اليهود الذين كانوا يسكنون خيبر أن حصونهم العالية والقوية سوف تمنع عنهم عذاب الله تعالى، وإمكانية عدم تغلب المؤمنين من المسلمين آنذاك عليهم حتى وهم بداخل تلك الحصون القوية. وقد ألقى ربنا تعالى فى قلوبهم الرعب مما جعلهم يختلفون مع بعضهم البعض خوفاً من الموت أو الوقوع فى الأسر، فتمكن منهم المسلمون وبالتالى خرجوا من هذه الحصون مهزومين.

والمعنى أيضا واضح فى هذه الآية فيما يخص الهدف الذى من أجله يقيم الإنسان هذه الحصون، والإمام الطبرى يؤكد فى تفسيره لهذه الآية: أن أتباع رسولنا الكريم ظنوا أن هؤلاء المشركين من أهل الكتاب لن يخرجوا من مساكنهم ومنازلهم وهم داخل حصونهم التى بنوها للدفاع عنهم، ولقد ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فتمكن رسول الله وأتباعه من دخول هذه الحصون وإجبارهم على تركها.

ثم جاءت كلمة « محصنة» مرة واحدة وفى نفس السورة الكريمة فى الآية (١٤) وفى قوله تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ والمشار إليهم فى هذه الآية هم أيضاً يهود خيبر الذين بنوا حصونهم فى المدينة أو يثرب من أجل أن تحميهم وهم فى ضلالهم المبين خوفاً من المسلمين الذين تغلبوا عليهم بإرادة الله، وبالتالى لم تمنعهم تلك الحصون من الهزيمة وترك ديارهم.

ويؤكد لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم أن القرى المحصنة ما هى إلا قرى منيعة فى الحماية وكأنها فى حصن، وخير دليل على ذلك ما كان من أمر حصونهم فى خيبر وما كان من أمر المسلمين تجاه هذه الحصون.

ثم جاء حديث آخر للقرآن الكريم عن الحصون بمعنى الصياصى.. وذلك فى سورة الأحزاب فى الآية (٢٦) وفى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ والصياصى وفق ما جاء فى تفسير الجلالين معناها: الحصون.. ومفردها صيصة، والمقصود بالحديث فى هذه الآية هم بنو قريظة.. الذين قذف الله فى قلوبهم الرعب وحتى لا يظنوا أن هذه الحصون العالية والمنيعة سوف توفر لهم الأمان.

وواضح من سياق هذه الآيات التى مرت علينا .. أن اليهود كانوا من أوائل الشعوب التى أحسنت إقامة الحصون والقلاع ، نظراً لإحساسهم بالدونية والخوف من البشر.

أما فيما يخص المغارات والملاجئ فقد حدثنا عنها ربنا تعالى فى سورة التوبة وفى قوله تعالى فى الآية (٥٧) : ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

وواضح من ظاهر معنى الآية أن الملاجئ والمغارات قد صنعها الإنسان كى يهرب إليها عند تعرضه لأى عدوان.

وفى تفسير القرآن الكريم أن المغارات: هى سراديب تحت الأرض والملجأ: هو كل مكان محصن يلجأون إليه.

والمقصود فى هذه الآية كانوا هم فئة من المنافقين من أهل المدينة الذين أخذوا يحلفون بأنهم مع المسلمين ولكنهم كذبوا على الله ففضحهم فى هذه الآية الكريمة.

** الغائط .. عندما يخلصنا من الشرور.

ونختتم هذه الجولة فى الأماكن المشهورة والمرتبطة بحياة الإنسان .. بالحديث عن الغائط.. وهو ذلك المكان الخلوى البعيد فى الصحراء والذى كان يتخذه الأعراب وما زالوا وكذلك سكان الصحراء لقضاء حاجتهم فيه .

ويبدو أن كلمة الغائط قد جاءت من فعل غوط أى ابتعد، وهى على أية حال ما

زالت تتردد على ألسنة بعض العامة والذين يقولون «الغيط» وهم يقصدون بذلك الأرض الزراعية البعيدة عن الصحراء.

والغائط: هو ذلك المكان الذى يختاره الإنسان بإرادته كى يقضى فيه حاجته، بشرط أن يكون آمنا ومستتراً وبعيداً عن الأعين، وذلك حتى يستطيع الإنسان أن يتم هذه العملية بسلام وأمان،، مخرجاً ما فى بطنه من فضلات لم يعد الجسم يستفيد منها وبالتالى وجب إخراجها فوراً.. ولقد اكتشف الأطباء هذا الأمر وأوصوا به.

وإذا ما نظرنا نحن فى عصرنا الحاضر لمسألة الغائط ومكانه.. فإنه ونظراً للتطور وزيادة أعداد السكان وانخفاض أعداد أماكن الغائط، فإن الإنسان قد لجأ إلى نقل هذا الغائط فى داخل منزله وهو ما نطلق عليه نحن حالياً بيت الراحة أو «التواليت»!! مع المزيد من التطور فى استخدام المياه للنظافة وخلافه.

إذن الغائط أو بيت الراحة هو ذلك المكان الذى يساهم كثيراً فى تخليص الإنسان من فضلاته الزائدة حفاظاً على صحته.

ولقد أخبرنا ربنا تعالى بموجبات التعامل مع هذا الغائط والذى يستلزم استخدام المياه للتنظيف بعد عملية الإخراج هذه، وحتى يكون الإنسان، منا جاهزاً للدخول فى الصلاة.

والآية القرآنية التالية سوف تخبرنا بذلك وأكثر.. إذ قال الله تعالى فى سورة النساء وفي الآية (٤٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾.

إذن الغائط ووفق ما جاء فى تفسير هذه الآية: هو ذلك المكان المعد لقضاء الحاجة، والآية فيها شروط كثيرة لا بد من اتباعها من أجل أن تصح الصلاة، من أهمها الطهارة بالماء وإن لم يجد الإنسان ذلك الماء، فقد أمرنا ربنا العظيم بالتيمم، باستخدام التراب الطاهر، هذا التيمم هو سبيلنا إذا ما جئنا من الغائط ولم نجد ماء للدخول فى الصلاة.

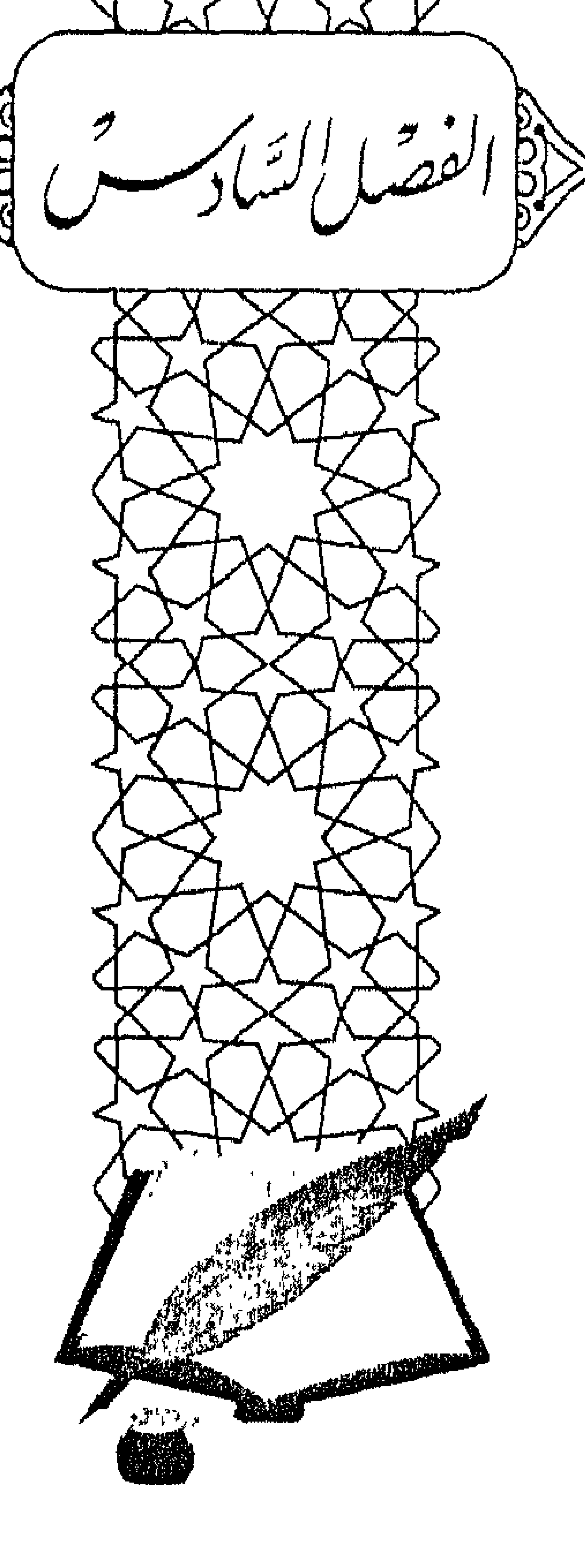
وفى سورة المائدة فى الآية (رقم ٦) حـديث مشابه عن الغائط وضرورة اسـتخدام الماء للنظافة من أجل الصلاة وإذ لم يجد المسلم هذا الماء فعليه أيضاً بالتيمم.

معنى ذلك أن هناك ارتبـاط كبير بين التـخلص من فضلات ما فى جـوف الإنسان وبين ضرورة استخدام الماء من أجل تنظيف مكان الإخراج، وذلك حفاظا على صحة الإنسان وتأهيله لأداء العبادات بدءاً بالدخول فى الصلاة.

ولسنا فى حاجة إلى التأكـيد مرة أخرى على أهمية الغائط أو مكان قـضاء الحاجة أو بيت الراحة فى حيـاتنا، والذى حولناه فى كثيـر من الأحيان ووفق الإمكانات إلى أشبه ما يكون بصـالون به كل ما يحتاج إليه الإنسان، كـما ألحقنا به حماماً نسـتخدمه فى تنظيف أجسامنا مما علق به من أوساخ أو أتربة.

وسـبحـان الله العظيم الذى خلق لنا كل شىء من أجل راحـتنا ومن أجل صحـتنا ومن أجل أن نكون على درجة كبيرة من النظافة.

ومع ذلك ينكر بعضنا هذه النعم ولا يوفى خالقها حقه فى العبادة.



الوجوه والأعناق والأفئدة والسوق

الفصل السادس

الوجوه والأعناق والأفئدة والسوق

جـانب آخر من جـوانب حـديثنا عن الأماكن المشـهـورة فى القرآن الكريم، وقـد ارتبطت بشـدة بجـسم الإنسان، سـوف نفـسح لها كل أوراق هـذا الفصل الجـديد، وذلك على طريق بيان هذه الأمـاكن وأهميتـها، وكيف كرم الله تعـالى بنى آدم بمنحه هذه العطايا العظيمة التى كانت سبيله لحياة طيبة ما دام يحافظ عليها.

ولقد أخبـرنا ربنا تعالى بأهمية هذه الأماكن وضـرورة أن نتفكر فيها ونتـدارسها، من أجل تحقيق هدفين رئـيسين أحدهما يرتبط بالدنيا التـى نعيشها والتى يؤدى فـيها جسدناً دوراً مهماً يساهم فى تعمير الأرض واستمرار العيش بها.

والهدف الثانى هو التفكير فى قدرة الله تعالى وعظمته فى تسخير هذه الأماكن أو ما يسـميه علمـاء الطب بالأعضاء مـن أجل خدمة ذلك الإنسـان، واستمـرارها بقوة وبصحة وبتـألق ما دامنا لا نهملها ولا نعـرضها إلى المهالك، بل ومـا كان من أمر الله تعالى فـيمـا خص به الإنسان ذاته من أعـضاء بعينهـا لـم تتوافـر لمخلوق غيـره، مثل السمع والبصر والعقل والقدرة على التفكر من أجل تحقيق غد أفضل.

والحديث عن الأماكن المشهورة فى جسد الإنسان سوف يبعدنا ربما بوصات قليلة عما ذهب إليه علماء الطب وما توصلوا إليه من نظريات علمية تطبيقية وغير تطبيقية بشأن ما يسمونه بالأعضاء.. ذلك لأن هؤلاء الأطباء نظروا إلى جسد الإنسان وما به من ظاهر وباطن إلى كونه مجموعـة من الأعضاء تؤدى دورها فى تكامل وتناغم غير مسبوق، وذلك بإرادة الله العظيم الذى خلق لنا هذه الأعضاء و تلك الأماكن.

وسـبب اختـلافنا فى الحـديث القـادم مع هؤلاء العلماء والأطـباء هو أننا سـوف نتناول جسد الإنسان كوحدة واحدة، مقـسمة إلى عدة أماكن رئيسية ، وكل مكان أو كل وحدة يكون لها دور فى جسم الإنسان ومن حـق العلماء والأطباء أن يقولوا أنها مكونة بالفعل من أعضاء.

ونضرب لذلك مثالاً أو مثالين.. فإذا ما نظرنا إلى تكوين جسم الإنسان من أعلاه إلى أسفله سوف نكتشف بأن هناك وحدة متكاملة تعمل بتناغم وتكامل مذهل، ونعنى بها رأس الإنسان وما بها من أعضاء كثيرة ومتنوعة وتكمل بعضها البعض، وكذلك الوجه، وأيضاً ما به من أعضاء تكمل بعضها البعض وتتكون في ذات الوقت من أعصاب ثم من لحم ودم، وكذلك الصدور والجباه والأعناق وخلافه.

وقس على ذلك بقية مكونات الجسد وما به من أماكن نرى بعضها ظاهر للعين والآخرى بداخل هذا الجسد، وبالتالى لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكن باللجوء إلى الأجهزة الطبية الحديثة.

إذن حديثنا القادم ينظر وكما سبق إلى جسد الإنسان على أنه مجموعة من الأمكنة الرئيسة وربما نقول كما قال الأطباء بأن فى كل مكان من هذه الأمكنة مجموعة من الأعضاء.

ولا شك أن استعراضنا لهذه الوحدات أو لتلك الأمكنة سوف يساهم كثيراً فى تقريب ما نصبوا إليه من الوصول إلى ما نفكر فيه وما نريد أن نحققة من نتائج.

إن جسم الإنسان وفق هذه الرؤية الخاصة يتكون من مجموعة من الأماكن البارزة، هذه الأماكن هى: رأس الإنسان وما بداخله من عقل أو لباب.. وما فوق هذه الرأس من شعر يغطيها ويحميها من برد الشتاء وحر الصيف، ومن بعد الرأس نشاهد الوجوه وبداخلها أو فى حيزها العين والشفاه والألسن والأذن والأنف. ثم الجباة، والأعناق وما بداخلها من شرايين، وكذلك الصدور والأفئدة والظهر والبطن والاجناب والأيدى والأرجل والسوق أو السيقان. ثم الفروج، وأخيراً الدماء التى تجرى فى العروق بلا توقف إلا حين يموت الجسد.

بل وأكثر من ذلك فإننا نرى أن الحديث المفصل عن هذه الأماكن وما جاء بشأنها فى القرآن الكريم سوف يوضح ما نريده أكثر. فتعالوا إلى هذه الأماكن وما بها من أعضاء.

** الرءوس .. نواصينا بيد الله:

إذ ما نظرنا إلى جسم الإنسان وأردنا أن نتفحص مكوناته.. سوف نكتشف أن هذا الجسم يبدأ من أعلى أى من الرأس.. وتلك من عظمة الله تعالى وتكريمه تعالى للإنسان.

هذه الرأس جعلها ربنا دائما مرفوعة إلى أعلى وبالتالى لا يجب أن تنحنى إلا إلى خالقها تعالى. خاصة بالسجود إلى ربنا الكريم الذى خلقنا فى أحسن صورة، وإذا ما انحنت هذه الرأس لغير الله تعالى .. فإنها تعنى الانكسار والتذلل!، وما أكثر ما نرى صوراً لهذه الحالات التى يكون فيها الإنسان ضعيفاً مهاناً، حين يقف أمام جبار أو ظالم أو متعجرف، يستعطفه أن يرحمه أو أن يترفق به وبحاله.

والعكس هو الصحيح حين نجد ذلك الإنسان يقف شامخاً رافعاً رأسه فى عزة وإباء، ولا يخشى فى الله لومة لائم.

وهناك فروق كثيرة نشعر بها حين ننكس رءوسنا سجوداً لله تعالى فنحن أمام رب العالمين وبين يديه نشعر بالراحة والأمان. فى حين نشعر بالذلة والمسكنة حين ننكس هذه الرأس لغير خالقها!

إنك حين تسجد بين يدى الله وتجعل رأسك تلامس الأرض التى خُلقت منها، تشعر بسعادة ما بعدها سعادة، بل وإن سجودك بين يدى الله تعالى يقربك إلى الخالق العظيم، ويجعل دعاؤك مستجاباً وفق ما أخبرنا به رسولنا الكريم فى قوله الشريف: «إن أقرب ما يكون العبد عند ربه وهو ساجد».. ولذلك يُستحب الدعاء فى هذا الموضع الكريم .

وحين يتطرق الحديث عن رأس الإنسان فى القرآن الكريم سوف نجد أن هذه الرأس تحظى باسم آخر حيث نقرأ عنها بأنها الناصية!

ولسوف يتضح ذلك بجلاء حين نتناول الآيات القرآنية الشريفة التى حدثتنا عن رأس الإنسان أو ناصيته، ولكننا من قبل أن نشير إلى هذا الحديث المفصل نود أن

نشير إلى أن رأس الإنسان يوجد بها تجويف أسفل شعره، هذا التجويف يحفظ أعظم ما يملك الأنسان ألا وهو العقل والذى يطلق عليه الأطباء إسم المخ، فى حين يسميه لنا القرآن الكريم اللباب أو اللب وجمعه الألباب.

من هنا نعتبر أن رأس الإنسان هو أهم مكان فى جسده.. ولذلك فقد إتخذ أجدادنا هذه الرأس فى كل أمثالهم وأقوالهم المأثورة.

وهناك مؤلفات كثيرة حدثتنا عن رأس الحكمة ورأس الأفكار، وغير ذلك من الأقوال التى اتخذت من رءوسنا دليلاً على الحكمة والتعقل والتفكر وحسن التدبر.

ونفس هذا المعنى أشار إليه معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا بأن الرأس من كل شيء.. أعلاه ومنه رأس الإنسان بأعلى جسمه وينبت فيه الشعر ويجمع علي كلمة رءوس.وأكثر ما ورد بالقرآن الكريم يتصل برأس الإنسان.

ويضيف المعجم أن الله تعالى حين أراد أن يشير إلى شعر الإنسان قال فى كتابه العزيز: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أى شعر الرأس.

ويعدد لنا المعجم الآيات والسور التى جاء بها ذكر رأس الإنسان. ففى الآية (٤) فى سورة مريم قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وفي سورة الأعراف الآية (١٥٠) فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾.

كما يشير المعجم ذاته إلى أن القرآن الكريم قد حدثنا كذلك عن ألفاظ عدة مثل: «رأسه» و«رأس» و«رءوسكم» و«رءوسهم»، وذلك فى سورة البقرة الآية (١٩٦) وفى سورة يوسف الآية (٤١)و (٤٨) فى سورة الدخان، حيث أشار ربنا إلى كلمة «رأسه». أما كلمة «رأس» كمكان مشهور فقد أشار إليها القرآن الكريم فى سورة طه الآية (٩٤) وفى سورة يوسف الآية (٣٦)، أما عن كلمة «رءوسكم» فقد أشار إليها القرآن الكريم في الآية التى يقول فيها ربنا الكريم : ﴿وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ الآية (١٩٦) فى سورة البقرة كما جاءت نفس الكلمة فى كل من سورتى المائدة الآية (٦) و (٢٧) الفتح.

فى حين ذكر لنا كتاب الله لفظ أو كلمة «رءوسهم» والمراد بها رأس الإنسان فى قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ الآية (٤٣) فى سورة إبراهيم و(٥١) الإسراء و(٦٥) الأنبياء و (١٩) الحج و(١٢) السجدة و(٥) المنافقون.

وإذا ما قمنا بعمل حصر سريع لما جاء فى شأن رأس الإنسان فى كتاب الله باعتبارها أحد الأماكن المشهورة فى جسم الإنسان وأيضاً فى القرآن الكريم فسوف نكتشف أن الله تعالى قد ذكرها فى ١٦ آية كريمة. وقد جاءت كلها فى ثلاثة عشرة سورة كريمة، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية هذا المكان بالنسبة للإنسان ولحياته ومعيشته وأسباب تعميره للأرض التى خُلق فوقها.

ويكفى هذا الرأس شرفاً أنها تسجد لله تعالى، كما أن بها ما نسميه العقل أو اللب أو الألباب، تلك الألباب التى احتفل بها كتاب الله أيضاً بدليل أنه قد جاء ذكرها فى ست عشرة آية هى : (١٧٩) البقرة، واللفظ فى(١٩٧) و(٢٦٩) البقرة أيضاً، و(٧)و (١٩٠) آل عمران، و(١٠٠) المائدة و(١١١) يوسف، و(١٩) الرعد، و(٥٢) إبراهيم، و(٢٩)و(٤٣) ص، و(٩)و(١٨)، (٢١) الزمر، و(٥٤) غافر وأخيراً فى سورة الطلاق الآية(١٠) .

والألباب معناها العقول، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

ونجد فى كثير من آيات كتاب الله أن هناك ربطاً مؤكداً بين قوة الإيمان والعقيدة والتوحيد بالله الكريم وبين أصحاب الألباب الذين يخاطبهم رب العالمين باعتبارهم أهل العقول فى مجتمعاتهم وبين أهليهم.

ولقد تبين لنا ذلك بوضوح فى قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ الآية(١٠٠) .وفي قوله تعالى فى سورة يوسف:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ الآية (١١١)، وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ الآية (٥٢) فى سورة إبراهيم. فاللهم اجعلنا من

أصحاب العقول التى تتفكر فى خلق الله، ومن أصحاب الألباب التى تؤمن بالله بلا حدود أو شك أو رياء، ذلك لأن الله تعالى قد ميز هؤلاء الذين وصفهم بأولى الألباب عن غيرهم من البشر.

ومن قبل أن ننتقل إلى حديث جديد عن مكان جديد فى جسم الإنسان.. رأينا ضرورة الحديث كذلك عن الرأس كما جاء عنها فى كتاب الله فيما يخص لفظ «الناصية»، إذ قال الله تعالى فى سورة الرحمن وفى الآية (٤١) : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾.

وفى تفسير أصحاب الجلالين لهذه الآية: أن هؤلاء المجرمين سود الوجوه ولهم عيون زرقاء يؤخذون حيث تضم ناصية أى رأس كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى بهم فى النار.

أما الإمام الطبرى فيقول فى تفسيره عن النواصى والمذكورة فى الآية السابقة أن الملائكة قد عرفت هؤلاء المجرمين من علاماتهم حيث هم سود الوجوه زرق العيون، وبالتالى يأخذهم زبانية جهنم حيث يسحبون إلى جهنم وتقذفهم فيها.

ونستطيع أن نفهم مما مر علينا آنفا أن الله تعالى عندما جعل رأس الإنسان مناط تكريمه فى الدنيا.. قد جعلها كذلك إحدى علامات تعذيبه في الآخرة عندما يبتعد عن الطريق المستقيم وبالتالى يبتعد عن عبادة الله رب العالمين. وما نود أن نشير إليه فى ختام الحديث عن الرءوس أن الله تعالى قد ذكرها لنا فى كتابه العزيز مصحوبة بكلمة﴿رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ فى سورة البقرة الآية (٢٧٩) ولفظ ﴿ رءوس الشياطين﴾ فى سورة الصافات الآية (٣٥).

** وجوه.. ناعمة ومظلمة:

لقد رأينا من قبل الحديث المفصل عن الوجوه كأماكن مشهورة فى كتاب الله والتى جاء ذكرها ضمن مشتملات ومكونات جسم الإنسان، ضرورة أن نستعرض سوياً أعضاء هذا ا لوجه أو مكوناته وفق ما رآه الأطباء وما أكد عليه العلماء،

وحاول مثلى أن تنظر لمن يـجلس حولك خاصة إلى وجهـه كى تستطلع قدرة الله وعظمته وتكريمه للإنسـان، سوف تكتشف أن هذا الوجه رغم اختـلاف جماله ولونه من حيث الـبشرة يتكون وفى كل الأجـسام التى خلقـها الله، خـاصة لبنى البـشر من عينين وشفـتين وأذنين ولسان واحد. وكذلك من أنف واحدة أيضاً، وشـفتى الإنسان هى مدخل فـمه الذى يوجد بـداخله أسنان ثم لسان، هذا الفم الذى يحـمل للإنسان كل مظاهر الحياة والتفاعل مع من حوله، كما يضـمن له البقاء باعتباره بوابة الطعام.

كل ذلك يحويه وجه الإنسان الذى خلقه لنا رب العالمين، والذى يحمل كذلك ما يحدد اختلاف شكل كل منا عن الآخر سواء أكان ذكراً أم أنثى.

والحديـث عن الوجه أو الوجـوه.. وفق ما جـاء فى القرآن الكريم لا بد وأن يبدأ بذكر الآية أو الآيات القرآنية التى جاء بها ذكره. ومعجم ألفاظ القرآن الكريم يحدثنا عن ذلك وبالتفـصيل، وهو يبدأ هذا الحـديث بتعريـف كلمة وجه والتى يقـول عنها: الوجه ما تواجـه به الناس من الرأس وفيه معظم الحواس، كمـا يذكر لنا ذات المعجم أن كلمة وجه جاءت على أكثر من لفظ فى كتاب الله.

ففى سورة يوسف الآية (٩٣) ذكر ربنـا تعالى كلمة «وجه»: ﴿وَجْهِ أَبِي﴾ أيضـاً الآية (٩) فى السورة نفسـها. وكذلك لفظ «وجهه» كما جـاء فى سورة يوسف أيضاً الآية(٩٦) واللفظ فى سـورة الـنحل الآية (٥٨) و(١١) الحج و(٢٤) الزمـر و(١٧) الزخرف و(٢٢) الملك. وفي قوله تعالى فى سورة البقرة الآية(١١٢) :﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، واللفظ فى سـورة النسـاء الآية(١٢٥) و(٥٢) الأنعام و(٢٨) الكهف، و(٨٨) القـصص و(٢٢) لقمان. ثم لفظ «وجهـها». مثلما جاء فى سورة الذاريات الآية (٢٩) وفى قوله تعالى :﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

ثم ذكرت كلمة «وجه» على سبيل الجـمع فجاءت كلمة «وجوه» فى آيات وسور متعـددة مثل الآية (١٠٦) مكرر فى سورة آل عـمران واللفظ فى (٧٢) الحج و(٢٧) الملك و(٢٢) و(٢٤) فى القـيـامـة و(٣٨) و(٤٠) فى عـبس، و(٢)و(٨) فى سـورة الغاشية.

كما جاءت نفس الكلمة مضافاً إليها ألف مثل كلمة «وجوهاً».. فى سورة النساء الآية(٤٧) وجاءت كـذلك مضـافاً إليهـا الألف واللام.. «الوجوه» فى قـوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ الآية (٢٩) فى سـورة الكهف. وكذلك فى سورة طه الآية(١١١) .

ليس هذا فـقط، بل جاءت الـكلمة ذاتهـا مضـافـاً إليهـا كـاف وميم فـأصبـحت «وجوهكم» مثل قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ الآية (١٤٤) البـقـرة. واللفظ فى الآيات (١٥٠)و(١٧٧) البـقرة أيـضاً و(٤٣) فى سـورة النسـاء و(٦) مكرر فى المائدة و(٢٩) فى الأعراف.

إضافـة إلى ذلك جاءت كلمة «وجوهكـم» بمعنى ذواتكم فى الآية (٧) من سورة الإسراء .. وكـذلك جاءت كلمة «وجوههم» فـى سورة آل عمران وفى قـوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الآيتـين (١٠٦) واللـفظ فـى (١٠٧) من نفس السـورة، والآيـة (٥٠) فى الأنفـال و(٢٦) و(٢٧) يونس ، و(٥٠) إبراهيم، و(٩٧) الإسـراء، و(٣٩) الأنبـيـاء، و(١٠٤) المؤمنون، و(٣٤) الفـرقـان. و(٩٠) النمل، و(٦٦) الأحـزاب، و(٦٠) الزمـر، و(٢٧) مـحـمـد، و(٩) الفـتح، و(٤٨) القمر، و(٣٤) المطففين.

ولكى يوضح لنا ربنا تعـالى أهمية الوجـه فى حياة الـبشر.. ذكـر لنا فى سورة آل عمران وفى الآية (٤٥) مامعناه أن الوجه يقصد به الشرف والمنزلة، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

كما جاء نفس هذا اللفظ فى الآية (٦٩) من سورة الأحزاب.

***

وإذا ما أغلقنا هذا المعجم الأمين من أجل الحديث عن الـوجه خارج نطاق ما جاء بشأنه فى كـتاب الله العزيز.. فـإننا نؤكد على أن الحديث عن وجـه الإنسان وأهميـته وقـيمـته سـواء فى الدنيـا أو فى الآخرة يـتطلب أكثـر من كـتاب، نظراً لضـرورة أن نتحـدث عن ذلك الوجه من كل الوجـوه طبيـاً ونفسيـاً ودينياً، ولكن يكفـينا فى هذا المقـام حديث كتـاب الله العظيم والذى سـوف نستكمله بحـديث آخر يرتبط بالـوجه

ارتباطاً مباشراً ألا وهو ما سوف نتناوله من أعضاء داخل هذا الوجه والتى سبق لنا وتناولناها فى بداية الإشارة إلى ما فيه من أعضاء عددناها بكل أمانة.

ونبدأ الرحلة «بالعين» وما جاء بشأنها فى كتاب الله.. ولسنا فى حاجة بطبيعة الحال إلى الخروج عن نطاق حديث كتاب الله عن هذا العضو المهم فى الوجه وفى جسم الإنسان بشكل عام إذ إن هناك العشرات من المؤلفات التاريخية والفسيولوچية والطبية التى حدثتنا ولا تزال تحدثنا عن عين الإنسان.

يقول معجم القرآن الكريم: العين هى عضو الإبصار، وجاءت فى كتاب الله مرتبطة بكلمة قرة عين وذلك فى الآية (٩) فى سورة القصص فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ ثم جاءت بمعنى حسنة العين واسعتها كما جاء فى سورة الصافات (٤٨) واللفظ فى(٥٤) الدخان و(٢٠) الطور و(٢٢) الواقعة.

بل وأكثر من ذلك فقد جاء ذكر العين بلفظ «أعين» أى جمع عين، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الآية (١٧٩) فى سورة الأعراف واللفظ فى(١٩٥) الأعراف أيضاً و(٧٤) الفرقان و(١٧) السجدة، كما جاءت مصحوبة بأداة التعريف «الأعين» فى سورة غافر (٩) واللفظ فى (١٧) الزخرف.

ثم جاءت كذلك فى لفظ «أعين الناس» فى الآية (١١٦) الأعراف واللفظ فى (٦١) الأنبياء. ولفظ «أعينكم» فى الآية (٤٤) الأنفال و(٣١) هود. ولفظ «أعيننا» فى قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الآية (٣٧) هود واللفظ فى (٢٧) المؤمنون و(٤٨)الطور و(١٤) القمر، وكذلك لفظ «أعينهم» فى الآية (٨٣) المائدة، واللفظ فى (٤٤) الأنفال و(٩٢) التوبة و(١٠١) الكهف و(١٩) الأحزاب و(٦٦) يس و(٣٧) الفجر. وأخيراً لفظ «أعينهن» فى الأية (٥١) فى سورة الأحزاب.

وإذا ما تركنا العين لنبحث عما يليها من أعضاء داخل تجويف وجه الإنسان سوف نتوقف فوراً أمام «الشفاه» التى هى بوابة فم ذلك الإنسان، وقد جاءت فى كتاب الله تحت لفظ «شفتين» أى ذلك الجزء اللحمى الظاهر من الفم والتى تستر الإنسان.

وجاء ذكرها بهذا اللفظ فى الآية (٩) فى سورة البلد وفى قوله تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

وفى تعليق الدكتور أحمد شوقى إبراهيم على معنى هذه الآية يقول: إن الله تعالى لم يترك الإنسان، فقد أرسل إليه رسله بالمنهج القويم الذى كان يجب عليه أن يفهمه ويردده بلسانه وشفتيه سعياً للهداية فى الدنيا والفوز بالآخرة.

وفى داخل فم الإنسان والذى يقف على بوابته هاتين الشفتين توجد أعظم وسيلة مخاطبة خلقها رب العالمين لنا.. ألاوهو اللسان أو الألسنة أو الألسن!.

ولقد احتفل به القرآن الكريم احتفالاً عظيماً ظهر جلياً فى كثرة الآيات والسور التى ذكر فيها، وكما نعرف فإن هذا اللسان هو عضو فى الفم كما يقول معجم القرآن الكريم ووظيفته التذوق والنطق، وجاء ذكره فى كتاب الله على سبيل الجمع ككلمة «ألسنة» وذلك فى قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ الآية (١٩) فى سورة الأحزاب.

وحاولوا معى أن تتدبروا هذا المعنى الخطير والذى أشارت إليه هذه الآية، إذا أخبرتنا بالوظيفة السيئة لذلك اللسان الذى نستبدل به الحديث الطيب والمرتبط بذكر الله وترديد حسنات الإنسان، باستخدام ألفاظ مسيئة وصفها كتاب الله بالسياط التى نستخدمها فى جلد أجسامنا!!!

كما جاء نفس اللفظ بصيغة الجمع «ألسنتكم» فى سورة النحل الآية (١٦) واللفظ فى الآية (١٥)، وكذلك لفظ «ألسنتهم» فى سورة آل عمران الآية (٧٨) واللفظ فى (٤٦) النساء و(٦٢) النمل و(٢٤) النور و(١١) الفتح و(٢) الممتحنة.

وفى إشارة صريحة فى كتاب الله إلى اللسان كوسيلة للغة والتخاطب والتفاهم، قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية (١٠٣) النحل واللفظ فى (١٩٥) الشعراء.. ثم باعتباره عضو.التكلم كما فى الآية (٩) فى سورة البلد، وأيضاً ارتباطه بالنطق كما جاء فى لفظ «لساناً» فى الآية (٣٤) فى القصص واللفظ فى (١٢) الأحقاف.

وفى موضع آخر من كتاب الله الكريم هناك إشارة إلى اللسان على أنه اللغة ذاتها، مثلما جاء فى الآية (٧٨) المائدة، واللفظ فى (٤) إبراهيم و(١٠٣) النحل.

ليس هذا فقط بل لقد احتفل كتاب الله أكثر بلسان الإنسان فجاء كلفظ «السانك» فى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (٩٧) مريم واللفظ فى (٥٨) الدخان و(١٦) القيامة وكذلك لفظ «لسانى» فى قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ الآية (٢٧) فى طه واللفظ فى (١٣) الشعراء.

ومن عجيب ما جاء بشأن اللسان فى كتاب الله.. وصفه بأن السمعة الطيبة والذكر الحسن.. وذلك كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية (٥٠) فى مريم واللفظ فى (٤٨) الشعراء.

ومن أسفل الفم أو الشفاه نرى على الفور الأنف التى هى سبيل الإنسان لاستنشاق هواء الدنيا، والتمتع برحيق أزهارها واستنشاق عبيرها وما ينتج عن ذات الإنسان من أفعال حولت كل شىء من طيب وذات رائحة زكية إلى شىء منفر وذات رائحة كريهة، وأنف الإنسان هو تلك الآلة التى تستطيع أن تميز بين هاتين الرائحتين، وهو فى ذات الوقت أيضاً أسرع وسيلة للقضاء على البشرية كلها إذا ما انفجرت مثلا قنبلة نووية أو انتشرت فى الأجواء الحرب الكيماوية!!.

ولقد أخبرنا المعجم أن الأنف هو بالفعل عضو التنفس والشم في جسم الإنسان، وجاء ذكره مرة واحدة فى القرآن الكريم وفى قوله تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ﴾ الآية (٤٥) المائدة مكرر.

ونأتى سوياً لعضو آخر على جانب كبير من الأهمية وهو يحتل مكاناً بارزاً فى وجه الإنسان ألا وهو الأذنين. تلك الوسيلة التى بها نسمع الأشياء، كل الأشياء، بل وهو الوسيلة الوحيدة التى نعتمد عليها فى تلقى تعاليم رب العالمين خاصة المسموع منها.. وبقدر فهمنا لما نسمعه بقدر سعادتنا فى الدنيا وفى الآخرة.

ليس هذا فقط ، بل لقد خلق الله تعالى تلك الأذنين كى تتلقى آخر صيحات يوم القيامة إيذانا بالنهاية المحتومة، وتحول البشر من الدنيا إلى الأخرة.

ولن تقتصر هذه الوظيفة حينئذ على أذن الذين سوف يعاصرون هذا الحدث العظيم، بل سوف يسمعها من هم فى القبور أيضاً.

ولقد أكد لنا المعجم أن كلمة آذان وفق ما جاء بالقرآن الكريم هى جمع أذُن ومعناها حاسة السمع، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فى الآية (١٧٩) الأعراف واللفظ فى (١٩٥) الأعراف أيضاً و(٤٦) الحج، كما جاءت فى كتاب الله، فى صيغة جمع «آذاننا»، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ الآية (٥) فصلت. ثم فى لفظ «أذانهم» فى الآية (١٩) البقرة،و(٢٥) الأنعام و(٤٦) الإسراء ،(١١) و(٥٧) الكهف و(٤٤) فصلت و(٧) نوح، ثم جاءت أيضاً باللفظ الصريح «أذن» كعضو للسمع فى قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الآية (١٢) الحاقة، وكذلك فى لفظ «هو أذن» بمعنى مستمع قابل لما يقال، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ الآية (٦١) التوبة. ولفظ : «أذن خير» بمعنى يسمع الخير ولا يسمع الشر فى قوله تعالى:﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية (٦١) التوبة، كما جاء نفس اللفظ مضافاً إليه الألف واللام «الأذن» كعضو للسمع كما فى قوله تعالى: ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ الآية (٤٥) مكرر فى سورة المائدة .

وأخيراً جاء فى كتاب الله لفظ «أذنيه» كما فى قوله تعالى : ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ الآية (٧) فى سورة لقمان.

ولتشريف هذا العضو المهم فى جسم الإنسان، فقد ربطه ربنا تعالى بالمؤذن أو المنادى وذلك فى قوله تعالى : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الآية (٤٤) فى سورة الأعراف و(٧٠) فى سورة يوسف، وكذلك بمعنى «إعلام» . كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ الآية (٣) فى سورة التوبة.

** الجباه.. حيث نسجد لرب العالمين:

بالحديث عن الجبهة أو جباه البشر، نكون قد أكملنا حديث الثلاثية المرتبطة بكل

من الرأس والوجه ثم الجبهة، وإن كانت تلك الجباه تلى فى الترتيب العضوى رأس الإنسان، وكما هو واضح من ترتيب خلق الله لجسم الإنسان.

والجبهة وفق تعريفها المكانى: هى تلك العظمة البارزة في وجه الإنسان. وهى تعلو تجويف العين، كما توجد أسفل تجويف المخ والذى يحتويه الرأس .. وعلى الرغم من أنه ليس لها أهمية طبية كغيرها من أعضاء جسم الإنسان، إلا أن لها أهمية أخرى ترتبط بالتعبير عن الخشوع لله تعالى، وذلك حين تلامس جباهنا الأرض، خشوعاً لله العظيم، وعادة ما يحدث ذلك فى أوقات الصلاة، والويل كل الويل لمن لا تخضع جبهته لهذا الخشوع الواجب تجاه ربنا الكريم. عندئذ سوف يقابله خشوع من نوع آخر فيه الإذلال والتعذيب يوم القيامة، وذلك جزاء هذا التكبر الذى صدر عن صاحب هذه الجباه وتعاليه على رب العالمين.

ولقد أشار الأطباء والعلماء إلى تعريف الجبهة.. فقالوا : إنها جزء الوجه الذى يعلو العينين، وجاء هذا التعريف فى الجزء الثانى من معجم المصطلحات الطبية.

وكما سبق وذكرنا فهم لم يتناولوا هذا العضو بالدراسة المستوفاة نظراً لعدم أهميته فى تيسير حياة الإنسان.

وفى تعريف المعجم الوجيز: أن الجبهة هى ما بين الحاجبين إلى الناصية، وجمعها جباه، ولولا أن جاء ذكر هذا المكان أو هذا العضو فى كتاب الله، ما كان له هذه الأهمية، مع العلم بأن ذكره فى القرآن الكريم جاء تعبيراً عما سوف يلقاه الظالمون من ألوان العذاب جراء مواقفهم المعلنة بشأن إنكار وجود رب هذا الكون وتعاليهم على ذات الله العليا.

ولقد ذكرت الجباه فى سورة التوبة الآية (٣٥) وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

ومن يعيد قراءة هذه الآية الكريمة ويتدبر معانيها سوف يعلم تماماً مقدار ذلك العذاب الذى سوف يصيب أصحاب هذه الجباه المتعالية والتى تنكر وحدانية رب

العـالمين، إذ سـوف يقـوم مـلائكة العـذاب عندئذ بكى هذه الجبـاة بالنار ليل نهـار، وأصـحـابهـا يقـاسـون من هول هذه النـار التى تحـرق تلك الجـبـاه، بل وتحـرق كل أجـسادهم، ولكنهـا خطوات في العذاب تـبدأ بالنواصى والجـباه ثم بقـية الجـسم !، ونحن نعرف أنه لا خروج من هذا العذاب إلا بمشيئة الله تعالى إن أراد ذلك لأحد من هؤلاء العباد.

** الحلقوم.. ممر الحياة والآخرة:

من وجهة نظرناً، نـعتبر أن الحلقوم.. وارتبـاطه بكل من الأنف والفم والمعدة، هو الممر الآمـن أو الفتحـة التى هى همـزة الوصل بين حيـاة الإنسان ومـوته!! باعتـباره المكان المشهور فى جسم الإنسان والذى تمر منه روح الإنسان حين دخولها إليه وحين خروجها منه !.

وعلى ذلك فقد حظى الحلقوم باهتمام كـبير خاص من علماء الدين وفق ما أشار إليه القرآن الكريم فى محكم آياته وسوره.

ولقد اخترناه نحـن كذلك من أجل هذه الأهمية، وباعتبـاره من الأماكن المشهورة فى جـسم الإنسان وفى كـتاب الله الـعزيز أيضـاً.. ولعلنا نبـدأ الحديث عن الحلقـوم بالبحث عن مـعناه وموقعـه فى المعاجم اللغـوية.. هذه المعاجم التى أقرت جـميعـها تقريباً بأن الحلقوم هو مـساغ الطعام والشراب إلى المرىء. وبالتالى فهـو عضو أصيل من أعضـاء جسم الإنسان، رغم عدم رؤيتنا له لأنه يوجد داخل تجويف الفم وعادة ما يعـرف بأنه الممر الخـاص بالطعـام والشـراب والهواء من الفم إلى الـبلعوم ويشـمل تجويفـه وجدرانه ما يـعرف باسـم الحلق [1] معنى ذلـك أن الحلقوم ما هو إلا الـبوابة الرئيسـة داخل فم الإنسان والذى يسمح بمرور الأطعمـة التى نتذوقها. بل وأكـثر من ذلك يرى العلماء بأنـه البوابة الرئيسـة لمرور روح الإنسان وقت دخولهـا حين مولده ووقت خروجـها حين مماته. ولقدل أشار إلى ذلـك كتاب الله العزيز فى قـوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ الآية (٨٣) فى سورة الواقعة.

(١) معجم المصطلحات الطبية: ج ٢ .

وفى تفسيره لهذه الآية يقول الإمام النسفى : أنه إذا ما بلغت النفس والروح عند الموت الحلقوم وهو ممر الطعام والشراب ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾.. أى لمن حول الميت فى تلك الساعة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أى إلى المحتضر منكم ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾، أى لا تعقلون أو تعلمون.

وعلى نفس المنهج فى التفسير صار أصحاب الجلالين حين قالوا: فلولا إذا بلغت الروح وقت النزع الحلقوم أى مجرى الطعام وأنتم يا حاضرى الميت حينئذ تنظرون إليه، والله وملائكته أقرب إلى هذا الميت المحتضر منكم وأنتم لا تعلمون بذلك أو ترونه.

أما الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى فقد تناول فى حديثه عن الحلقوم حديثاً أهم عن الموت ومراحله التى تبدأ عند باب الحلقوم؛ ويتضح ذلك من قوله: أنه عندما يحين الأجل تبدأ أولا ساعة الاحتضار ثم تعقبها حياة القبر، ثم تنتهى هذه المرحلة بالبعث.

ويضيف أن الموت يبدأ بالاحتضار، ومعنى الاحتضار أن حياة الاختيار البشرى قد انتهت، فالإنسان فى الحياة الدنيا له اختيارات وله عقل يختار بين البدائل. ولكنه ساعة يحتضر تنتهى فترة الاختيار االتى كانت إختباراً له وإمتحاناً وابتلاء. وتبدأ مرحلة أخرى جديدة لإختيار للإنسان هما حيث يصبح مقهوراً.

والإنسان حين يحتضر يعرف يقينا أنه ميت لأنه يرى الملائكة ويرى من كون الله ما كان محجوباً عنه.

ويؤكد الإمام الشعراوى على حديثه السابق بذكر الآية التى ذُكرت بها الحلقوم فى سورة الواقعة وفى الآية (٨٣)، تلك الآية التى صورت لنا ساعة الاحتضار حيث يتم إزالة الحجب ويُرفع الغطاء ويحتد البصر، ثم يكُشف عن كل ما كان غيبياً عنا.

ويختتم حديثه بالقول بأن الإنسان فى هذه اللحظة يبدأ أولى منازل الآخرة، لأن من مات فقد قامت قيامته وعرف آخرته، وهو فى هذه اللحظة يسمع ولكنه لا يستطيع الرد، ويرى ولكنه لا يستطيع أن يروى ما يراه لأن لهم إدراكاً كما للحى

إدراك. (1)

**** الأعناق.. والأغلال والكتب:**

حقاً إن الله تعالى قد خلقنا وصورنا، وجعل لكل عضو أو مكان سواء بداخلنا أو بخارجنا آية لابد وأن نتفكر فيها. وذلك خروجاً بموقف ينم عن إيمان كامل بقدرة الله العظيم ونعمه الكريمة على عباده.

وتزداد آيات الله فى خلقه كمالاً كلما أخذنا نتبع ذلك الجسد الذى تجرى فى عروقه دماء.. إذا ما توقفت توقفت الحياة كلها.

وها نحن فى تتبعنا لآيات الله فى جسم الإنسان نقف أمام أحد هذه الأماكن المهمة وهو عنق الإنسان! أو ما نسميه نحن بالرقبة، والتى هى مستودع كل الأوردة والشرايين الذاهبة والقادمة من القلب ومن المخ إلى بقية الأعضاء، حاملة عصارة الغذاء والأوكسچين إلى أجل غير مسمى .. بهدف استمرار الحياة، ولا تنقطع إلا حين يشاء الله تعالى.

وفى تصورنا أن مناط تكريم الإنسان من لدن رب العالمين يتجلى وبقوة فى عنقه الذى يحمل رأسه ومن أسفله قفصه الصدرى الذى يحوى كذلك القلب أو الفؤاد.

ولنا أن نتصور أى جسد بلا عنق، أو أى شكل نتصوره فى الحياة يقوم أو يبنُى بدون عنق، فذلك فيه تشويه كبير، وكذلك يتخذ عنق الإنسان أشكالاً وأطوالاً ما بين القصير أو الطويل وما بين الكامل أو المصاب بالأمراض.

من هنا فإن هذا العنق يلعب دوراً مهماً فى حياة وشكل الإنسان واختلافه عن الآخر أو الآخرين، وهو كذلك يلعب نفس الدور وأخطر منه فى الحياة الآخرة وسبحان الله العظيم الذى جعل من أماكن مشهورة فى جسد الإنسان ترتبط بشكل مباشر بالآخرة أو بنهاية حياته وتحولها إلى العدم، أى إلى فناء ، إذ يتحول جسد الإنسان حينئذ إلى تراب داخل أتربة سبقته وخلقها الله من ملايين السنين.. هذا التحول قد لا يستغرق سوى أيام معدودة.

---

(1) الحياة والموت – الشيخ محمد متولى الشعراوى.

ولقد أخبرنا المعجم الوجيز بأن العنق هو الرقبة وهى وصلة بين الرأس والجسد ومنه عنق الزجاجة ومن كل شيء أوله.

ومعجم ألفاظ القرآن الكريم قد ذكر لنا أن الأعناق: جمع عنق وهى الرقبة، وجاء ذكرها في القرآن الكريم فى السور والآيات التالية: فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ الآية (١٢) واللفظ فى (٣٣) ص . وفى قوله تعالى أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣٣) فى سورة سبأ.. ثم تكرر ذكر الأغلال والأعناق فى سورة الرعد الآية (٥) واللفظ فى (٤) الشعراء و(٨) يس و(٧١) غافر، ثم جاء ذكر كلمة عنق مفردة فى سورة الإسراء وفى قوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية (٢٩) وفى الآية (١٣) فى نفس السورة فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

من كل ما مر علينا من آيات وسور كريمات نستطيع أن نقدر قيمة عنق الإنسان بالنسبة لوجوده فى الدنيا وفي الآخرة، فإذا كان عنقه هو الذى يحمل رأس جسده، وهو المستودع الذى خلقه رب العالمين لحفظ أوردة وشرايين هذا الجسد كى يضمن له الحياة فى الدنيا، فإن ذلك العنق سوف يكون كذلك موضع تكريم أو تعذيب في الآخرة، إذ سوف يعلق فى عنق كل منا كتاباً يوم القيامة ومن قبل أن يحاسبنا الله تعالى.

وعندما يميل الميزان ناحية الذنوب سوف تضرب الأعناق أو تعلق بها الأغلال وصاحبها فى طريقه إلى جهنم والعياذ بالله العظيم، وأما إذا ما كثرت حسناته وقادته الملائكة مع الذين رضى الله عنهم فسوف تكرم هذه العنق وتتمتع بنعيم جنات ربنا العظيم.

ويحدثنا الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عن نوعية هذه الأغلال التى توضع فى أعناق الكافرين فيقول فى تفسيره للآية (٨) فى سورة يس: إن الله تعالى

صور لنا انكباب هؤلاء الغافلين على الكفر وإصرارهم عليه تصوير بليغاً فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ومعناها أننا جعلنا فى أعناق هؤلاء الجاحدين قيوداً عظيمة فهى أى هذه القيود واصلة إلى أذقانهم فهم بسبب ذلك مرفوعة رءوسهم مع غض أبصارهم بحيث لا يستطيعون أن يخفضوها، لأن القيود التى وصلت إلى أذقانهم منعتهم من خفض تلك الرءوس.

ولقد شبه سبحانه فى هذه الآية حال أولئك الكافرين على جحودهم.(١)

** الصدور.. مستودع الحياة :

عندما ذكر لنا ربنا تعالى الصدور كأماكن مشهورة فى هذا الكتاب الكريم وارتباطها بجسد الإنسان، لم يذكرها لنا كمجرد تجاويف تحيط بها عظام الإنسان فيما يلى عنقه، بل ذكرها لنا بما فيها من رئتين هما مصدر الحياة من حيث التنفس وكذلك القلب أو الفؤاد ودوره أيضاً فى استمرارية تلك الحياة.

ولكن الملاحظ هنا أن الله تعالى حين ذكر لنا الصدور ذكرها على أنها الرئتين باعتبارها المصدر الرئيسى لدخول الهواء وخروجه أو كونها القلب، وهذا ما أوضحه لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم والذى أكد بأن الصدور من الإنسان هى الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف، وقد أطلق القرآن الكريم هذا اللفظ على القلب لوجوده فيه، وذلك فى قوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ أى قلبه الآية (١٢٥) مكرر فى سورة الأنعام واللفظ فى (٢٢) الزمر.

ولكن حين يذكر الأطباء الصدر مجرداً فالمقصود به هو ذلك التجويف الذى يعلو البطن، ويحيط به عظام القفص الصدرى، ولكن وكما ذكرنا فإن ذكر هذا المكان فى كتاب الله، لم يأت مجرداً .. بل شمل الحديث عن التنفس والوسوسة!، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية (١٢٥): ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ .

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم - المجلد الثانى عشر - د. محمد سيد طنطاوى.

ونحن نعرف أن صـدر الإنسان لا يضيق إلا إذا قـل الهواء الداخل إليه، كـما فى قوله تعالى فى سورة الشعراء الآية (١٣): ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾.

وبخلاف هاتين الآيتين اللتين تحـدثتا عن الصدور كمكان للتنفس، ذكـر كتاب الله لنا الصدور في معظمـها بمعنى القلوب، ولعل ذلك يتضح بقوة في قـول موسى عليه السلام ودعائه لربه فى سورة طه الآية (٢٥) :﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

وكـذلك فى قوله تعـالى فى سورة الزمـر الآية (٢٢): ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

بل وأكثـر من ذلك فقد جـعل الله تعالى صدور الإنسـان مستـودع أسراره ونواياه الظاهرة والباطنة، ويبـدو ذلك بوضوح فى عدة آيات وسور كـريمات، من ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الآية (٧) وفى قوله تعالى فـى سورة هود الآية (٥): ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وفى قـوله تعـالى فى سـورة الملك الآية (١٣): ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وبخلاف ذلك أوضح لنا مـعجم ألفاظ القرآن الكريم الصور اللـغوية التى ذكرت عن كلمـة الصدور فى كـتاب الله.. فجـاءت «صدراً» فى سـورة النحل الآية (١٠٦) و«صـدرك» الآية (٢) الأعراف واللفظ فى (١٢) هود و(٩٧) الحـجر و(١) الشـرح. و«صدره» في الآية (١٢٥) مكرر فى الأنعام واللفظ فى (٢٢) الزمر. و«صدرى» فى الآية (٢٥) طه، واللفظ فى (١٣) الشـعـراء. وكلمة «الصـدور» فى الآية (١١٩) آل عـمران ، والـلفظ فى (١٥٤) آل عمـران أيضـاً و(٧) المائدة و(٤٣) الأنفـال و(٥٧) يونس و(٥) هود، و(٤٦) الحج و(٢٣) لقمان و(٣٨) فاطر و(٧) الزمر و(١٩) غافر و(٢٤) الشورى و(٦) الحديد و(٤) التغابن٢ن و(١٣) الملك و(١٠) العاديات.

وكلمـة ﴿صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ فى الآية (١٠) العنكبـوت و﴿صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ فى الآية (٤٩) العنكبوت أيضا و«صـدور الناس» الآية (٥) و«صدور قوم»

فى الآية (١٤) التوبة ثم «صدوركم» فى الآية (٢٩) آل عمران واللفظ فى (١٥٤) آل عمران أيضاً و(٥١) الإسراء و(٨٠) غافر. «وصدورهم» الآية (١١٨) آل عمران واللفظ فى (٩٠) النساء و(٤٣) الأعراف و(٥) هود، و(٤٧) الحجر و(٧٤) النمل و(٦٩) القصص و(٥٦) غافر و(٩) و(١٣) فى سورة الحشر.

ومن قبل أن نترك الصدور كأماكن مشهورة فى كتاب الله وفى جسد الإنسان أيضاً كان لا بد لنا من الحديث كذلك عن الفؤاد أو الأفئدة، ومن عجيب التفاسير أن معجم ألفاظ القرآن الكريم أخبرنا بأن الأفئدة هى جمع فؤاد أى القلب، ولكن المقصود بها فى بعض آيات كتاب الله : «الجماعات»!. واستشهد المعجم فى ذلك بقوله تعالى فى سورة إبراهيم وفى الآية (٣٧) : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، واللفظ أيضاً فى سورة الأحقاف الآية (٢٦).

وفى موضع آخر من المعجم إشارة إلى أن الأفئدة معناها القلوب. مثل قوله تعالى :﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ الآية (٧٨) فى النحل واللفظ فى (٧٨) المؤمنون و(٩) السجدة و(٢٣) الملك و(٧) الهمزة.

وفى تصورنا أن الأفئدة المذكورة هنا يقصد بها القلوب التى تستوعب الإيمان، أو بمعنى آخر تلك الأفئدة التى هى بمثابة مستودع الإيمان بالله والخشوع لعظمته، وبالتالى فهى عنوان إيمان الإنسان بربه وبملائكته وكتبه ورسله، أو بمعنى أدق هى عنوان لكل مؤمن، وكذلك لكل كافر، فإذا ما ملئ الإيمان فؤاد شخص ما منا فله أجره العظيم عند ربه يوم القيامة ومن امتلأ فؤاده بالكبر والكفر والضلال فكذلك له حساب عند ربه ، وما يوجد بفؤاد كل منا لا يعلمه إلا الله، ولكن هناك من الأحاديث الشريفة التى تخبرنا بأن إيمان العبد فى قلبه أو فؤاده يظهر على وجهه وفى أعماله الطيبة والعكس هو الصحيح!

ولقد جاء ذكر الفؤاد فى كتاب الله فى صور متعددة سواء باللفظ أو بالمعنى، فهناك لفظ «أفئدة الذين» وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز فى الآية (١١٣) فى سورة الأنعام وكذلك لفظ : «أفئدتهم» فى الآية (١١٠) الأنعام واللفظ فى (٤٣)

إبراهيم و(٢٦) الأحقاف. ولفظ: «الفؤاد» فى الآية (٣٦) الإسراء، واللفظ فى (١١) النجم ولفظ : «فؤاد أم موسى» فـى الآية (١٠) القصص ولفظ «فؤادك» الآية (١٢٠) هود و(٣٢) الفرقان، وأخيراً ندعو الله أن نكون من أصحاب القلوب والأفئدة التى يملؤها بالإيمان به وبكل ما يؤكد أننا أن نؤمن به و إلى يوم القيامة.

** البطون.. وعاء كل شر:

يقول معجم المصطلحات الطبية فى تعريفه للبطن أنها أحد تجاويف الجسم الواقع بين الحجاب الحاجز والحوض .(١).

هذا التجويف عرفنا بواسطة المعدات الطبية الحديثة وآلات الأشعة بأنواعها أن بداخله أعضاء كثيرة وهى بحق مصنع توليد الطاقة بكل معانيها لحركة الإنسان ومعيشته.

هذه الأعضاء تنقسم ما بين المعدة والأمعاء والكبد والكلى والبنكرياس وصولاً إلى أماكن، الإخراج والتى تحدثنا من قبل عن أهميتها وضرورة الإسراع لإخراج ما فى بطوننا، فيما كان يسمى من قبل بالغائط وما يسمى حاليا بالمرحاض أو الحمام!

وبشكل عام وكما نعرف وحتى من غير المتخصصين من العلماء ومن الأطباء .. فإنه إذا ما صلحت البطن وما فيها من معدات أو أعضاء، صلح الإنسان وجسده، وعاش فى سلام وأمان، ومعافى من كل الأمراض ، ولذلك يعتبر الكثير من العلماء ومن الحكماء وكذلك من الأنبياء أيضاً أن البطن لدى جسم الإنسان هى موطن الداء والشر والأمراض، لذلك فإن هناك العشرات من التخصصات الباطنية المنتشرة فى كل جامعات الدنيا خاصة كليات الطب وما يتعلق بدراسة هذه البطون وما بداخلها من أعضاء من أجل العمل على معافاتها وسرعة شفاء ما بها من سقم وأمراض.

والعجيب أن أغلب ما جاء من آيات وسور كريمة فى كتاب الله عن البطن والبطون قد أشار إلى كونه مكاناً لإقامة الوليد قبل أن يرى النور والحياة.

(١) معجم المصطلحات الطبية - ج (١).

أو بمعنى آخر فإن البطن تكون هى المستودع الخاص بإقامة الجنين منذ أن يبدأ خلقه بإرادة الله وحتى يوم خروجه.. والمسألة هنا لا تقتصر فقط على جنين البشر، بل إن الماشية والأنعام وكل دابة تحمل كائن، إنما يكون بطنها هو مستودع ذلك الوليد! مع إختلافه وتنوعه!

من هنا نرى أن معجم ألفاظ القرآن الكريم قد تحدث عن البطن باعتبارها مكان يوجد فى جوف الإنسان فى مقابل ظهره، وقد جاء هذا اللفظ فى صور لفظية متعددة، فلفظ «بطنه» جاء فى قوله تعالى فى سورة النور الآية (٤٥) ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾، وفى سورة الصافات الآية (١٤٤). ولفظ : «بطن» فى الآية (٣٥) فى سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ولفظ «بطون» فى الآيات: (١٣٩) الأنعام و(٧٨)النحل و(٦) الزمر و(٣٢) النجم، فى (٦٦) الصافات و(٤٥) الدخان و(٥٣) الواقعة. ولفظ «بطونه» فى الآية (٦٦) النحل . ولفظ «بطونها» الآية (٦٩) النحل و(٢١) المؤمنون و(٢٠) الحج.

بل وأكثر من ذلك فقد جاءت كلمة بطن فى كتاب الله بمعنى الجهة المنخفضة مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ الآية (٢٤) من سورة الفتح.

** الأيدى والأقدام .. عنوان الحركة:

ولا يكتمل جسم الإنسان إلا باليدين والقدمين التى خلقهما الله تعالى كعضوين مهمين للإنسان نفسه، باعتبارهما أدواته نحو السعى إلى الخير وكسب العيش.

وفى كثير من الأحيان تؤدى الأيدى والأرجل أو الأقدام بصاحبها إلى التهلكة فى الدنيا وفى الآخرة أيضاً.

والحديث عن الأيدى ومهامها فى الحياة الدنيا يطول ويطول، نظراً لما تقوم به وتؤديه من خدمات ليس للإنسان وحده، بل ولغيره من المخلوقات.

وتعالوا ننظر سوياً إلى ذلك الإنسان الذى يستخدم يديه سواء فى الزراعة أو فى الصناعة أو فى غيرهما من الأنشطة البشرية التى تساهم فى تعمير الأرض وارتقاء حياة البشر، أضف إلى ذلك أهمية استخدام الأيدى فى العلم والمعرفة وفى الاكتشافات بل وفى تسيير حركة الحياة فوق الأرض وتحتها.

وحتى الإنسان عندما فكر فى أن يطير نراه قد استخدم يديه فى صنع جناحين من الريش بعدما لصقهما بيديه أو بذراعيه من أجل تحقيق حلم الطيران والذى نراه حاليا فى أوجه حالات التقدم.

وهناك جانب ضبابى فى استخدامنا للأيدى إما فى البطش أو فى السرقة أو فى القتل أو فى ارتكاب الجرائم بشكل عام. ولكل من هؤلاء حساب فى الدنيا وفى الآخرة، ولكن المهم هنا أن الله تعالى قد خلق لنا الأيدى من أجل تحقيق الخير كله.

وبالحديث عن كل من الأيدى والأقدام يكتمل حديث جسم الإنسان والمهام الملقاة على عاتقه وفق خلق الله له ولدوره فى هذه الدنيا، ما دام هذا السعى لا يهدف الإنسان من ورائه إلا الخير، والقرآن الكريم قد حدثنا عن هذين المكانين أو هذين العضوين باستفاضة من خلال آياته وسوره الكريمة.

ولسوف يتضح لنا ذلك من خلال استعراضنا لهذه الآيات وتلك السور الكريمة.

وكما نعرف فإن الأيدى مفردها يد .. وقد بين لنا القرآن الكريم كيف تتحول الأيدى إلى أداة بطش وفساد. وذلك فى قوله تعالى فى سورة الروم الآية (٤١) ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

وأرجوكم اقرأوا هذه الآية بعناية زائدة وحاولوا أن تربطوا بينهما وبين ما يحدث حولنا من مصائب وفى كل المجالات ، هذه الآية نفسها قد جاءت باللفظ أيضاً فى سورة الفتح الآية (٢٠). ثم جاءت آية أخرى لتوضح لنا نتائج أعمالنا بأيدينا وذلك فى قوله تعالى فى سورة الحشر: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية(٢).

ليس هذا فقط بل إن الله تعالى قد أمرنا بألا تكون أيدينا سبيلنا إلى الهلاك وذلك في قوله تعالى.. فى سورة البقرة الآية (١٩٥): ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

وفى المقابل يخبرنا ربنا فى كتابه العزيز بالأفعال الطيبة الناجمة عن استخدامنا للأيدي وذلك في قوله تعالى فى سورة النساء الآية (٤٣): ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾.

وهناك استخدامات كثيرة وألفاظ متنوعة عن الأيدى فى كتاب الله العزيز غير الذي ذكرناه ومن ذلك قوله تعالى عن لفظ «أيد» فى سورة الأعراف الآية (١٩٥): ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾.

أما عن لفظ «أيديكم» فقد جاء ذكره فى أكثر من آية مثلما جاء فى الآية (٦) مكرر و(٩٤) فى سورة المائدة و(١٢٤) الأعراف و(١٤) التوبة و(٧١) طه و(٤٩) الشعراء و(١٩٥) البقرة واللفظ فى (١٨٢) آل عمران و(٧٧) النساء و(٥١) الأنفال و(٣٠) الشورى و(٢٤) الفتح ، ولفظ «أيدينا» فى الآية (٤٥) فى سورة يس و(٥٢) التوبة واللفظ أيضاً فى سورة يس فى الآية (٧١).

وهكذا فإن كتاب الله به العديد من الآيات البينات عن الأيدى بمختلف ألفاظها مع أن الاستخدام فى الحياة واحد، إما فى البطش أو فى السعى نحو الخير.

وما قلناه عن الأيدى سوف نقوله كذلك عن الأقدام التى هى في تعريف معجم ألفاظ القرآن الكريم ذلك العضو الذى نطأ به الأرض من الرجل، وهذا معناه أنها سبيلنا للسعى والتنقل هنا وهناك.

وفى كتاب الله العزيز جاء ذكر الأقدام فى سورة الرحمن الآية (٤١) والأنفال الآية (١١) ، كما جاءت الأقدام بألفاظ مختلفة وفى سور وآيات متعددة أيضاً من ذلك لفظ «أقدامنا» وما جاء بشأنها فى الآية (٢٥٠) البقرة ، و(١٤٧) آل عمران، وفى الآية (٢٩) فى سورة فصلت، ثم لفظ «قدم» فى سورة النحل الآية (٩٤). مثلما جاء فى قوله تعالى : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾.

** السوق.. عندما نكشف عنها:

ومن قبل قد ذكرنا أن هناك أعضاء فى جسم الإنسان يكون لها وظيفة أو إثنتين فقط ومنها ما له وظيفة واحدة فقط، وما نقصده هنا هى وظيفة هذا العضو لجسم الإنسان نفسه، وذكرنا على سبيل المثال.. الأعناق التى تحمل رأس الإنسان فوق جسده، وكذلك الوجه الذى به كل أعضاء حياة الإنسان من عين وأنف وفم وغيره، وهناك أعضاء خلقها الله لتكمل غيرها من الأعضاء، لذلك يسميها الأطباء بالأعضاء المساعدة ! ومنها ما سوف نتحدث عنه فى هذه الفقرة ونقصد به ساق الإنسان التى تربط ما بين ركبتيه وقدميه.

ورغم وظيفتها المحددة إلا أن عليها معولاً كبيراً فى آداء بقية الأعضاء المرتبطة بها. فلولا الساق ما وجدت الأقدام، ولا الأعناق، وما استقامت حياة الإنسان من أصله!

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق.. أن ساق الإنسان إنما هى مشارك أصيل فيما ترتكبه أقدامه من أفعال، سواء فى سلوك الشر أو الخير، باعتبارها الأداة الموصلة لتلك الأقدام، والمكملة لوظيفتها فى الحياة.

لذلك نرى أن السوق تشترك مع أقدام الإنسان فى نيل العقاب أو فى تحصيل الحسنات، وبالتالى ويكون مصيرهما واحد!.

وقد تكون الساق نفسها هى أداة تعذيب ذلك الإنسان وارتكابه لبعض المعاصى، وفق ما نراه فى عصرنا الحاضر، عندما تقدم النساء على الكشف عن سوقها، مع أنها تغطى أقدامها!!

وأعظم ما ينال ساق الإنسان المؤمن من جزاء حسن هو قدرته على استخدامها فى السجود يوم يدعى إلى ذلك يوم القيامة ، فى حين يعجز غيره عن أداء ذلك ، حتى أن أجدادنا ضربوا لنا الأمثال وجعلوها معبرة فى أمثالهم هذه عن الأمور الصعبة وشدتها، كما جعلها الله تعالى كذلك دليل على رحيل صاحبها إلى عالم الأموات، عند الاحتضار.

ولقد أوضح لنا القرآن الكريم كل ذلك فى آياته الكريمة. وسوره الشريفة فأخبرنا ربنا تعالى فى القرآن الكريم بأن هذه السوق تنذر بالخطر وشدته، كما جاء فى سورة القلم الآية (٤٢) وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وفى قوله تعالى تعبيراً عن نهاية الإنسان المحتضر فى سورة القيامة فى الآية (٢٩) مكرر ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ .

بل وأكثر من ذلك فقد حكى لنا القرآن الكريم عن هؤلاء النسوة اللائى يكشفن عن سيقانهم، وذلك فى سورة النمل فى الآية (٤٤) فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ليس هذا فقط، بل وذكر ربنا تعالى السوق فى مناسبات ومواقف أخرى ولكنها لا تعنى السوق بما نعرفه عنها وما سبق أن تحدثنا به. وإنما قصد بها أماكن لا تخص الإنسان.. من ذلك أن ربنا تعالى وفى كتابه العزيز حدثنا عن سوق الخيل مثلما فى قوله تعالى : ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ الآية (٣٣) فى سورة ص. وكما ذكرنا لنا أيضاً سوق الزروع اليانعة.. مثلما قوله تعالى فى سورة الفتح الآية (٢٩) ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾.

بل وذكرها ربنا تعالى كذلك كمصدر يدل على سوق العبد إما إلى جنة أو إلى نار وذلك فى قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ الآية (٣٠) فى سورة القيامة.

** الفروج ..بداية خلق الناس:

كان من المفترض أن نبدأ حديث هذا الفصل بما هو مرتبط بالفروج، ومفردها فرج، وذلك لأن هذا المكان الذى خلقه رب العالمين تبدأ منه أنوار حياة الإنسان من بعد خلقه فى مراحل عرفناها أولاً من كتاب الله واكتشفها العلم بعد ذلك بقرون طويلة.

والحديث عن الفروج له أهمية خاصة، لأنه يرتبط بالإنسان ومستقبل النسل! ذلك

لأن الله تعالى قد حدد لنا ما يجب أن نقوم به حيال تلك الفروج فى ضوء الشريعة السمحاء والتى تستوجب منا جميعاً الارتباط بالمرأة وأعضائها وفق ما نصت عليه شريعتنا، بل وكل الشرائع السماوية، وذلك بعدما كانت تلك الفروج مباحة فى أزمان غابرة، وبلا قواعد أو أخلاق!

ولا شك أن حرص الأديان السماوية وخاصة كتابنا العزيز القرآن الكريم على الحديث عن الفروج يتعلق وبقوة بمدى تحقيق الاستقرار النفسى والعائلى لكل البشر، كما يتعلق فى ذات الوقت بتحقيق العدالة السماوية لكل من الرجل والمرأة، مما يؤدى فى نهاية المطاف إلى تكوين الأسر والعائلات والقبائل والشعوب المتماسكة فى ظل الفضيلة واحترام النساء، واحترام أنفسنا كذلك.

ومع ذلك فإننا نرى ونسمع ونقرأ عما يحدث من تجاوزات فى هذا الشأن ونتائج ذلك.. السلبية والنفسية والعصبية، هذه التجاوزات التى ازداد معدلها فى زماننا هذا والذى نعيش فيه، مما كان له أكبر الآثار السيئة على ضيق تلك المعيشة وفسادها، فى ظل ضياع الأخلاق والابتعاد عما أمرنا به رب العالمين.

وحاول أن تفتش عن جذور أية مشكلة سواء فى محيطك أو فى محيط الآخرين، وسواء فى مجتمعك أو فى المجتمعات الأخرى فسوف تكتشف على الفور أن من أهم أسبابها هو اختراق تلك الفروج بعيداً عن الأصول والتمسك بالشرائع السماوية.

وهذا بعينه هو ما نبهنا إليه رب العالمين خاصة فى كتابه العزيز، فتعالوا نعيش فى رحاب تلك الكلمات البينات لنعرف مقدار ما نحن فيه.. على أمل التمسك بالفضائل والتعامل مع تلك الفروج وفق ما أمر به الله تعالى.

ونبدأ هذا الحديث بما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا أصحابه بأن المقصود بالفرج هو ما بين أرجل المرأة. أو بمعنى آخر : ما بين رجليها.

ولسوف نشعر بحق كيف أن الله تعالى رءوف بعباده عندما يأمرهم بالحصانة أملاً فى تحقيق العدالة والسعادة، ولقد ضرب لنا الأمثال عن تلك الحصانة المطلوبة، وذلك فى سورة الأنبياء الآية (٩١) فى قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

وطبعا جميـعاً نعرف أن المقصود فى هذه الآية هى تلك الشريفة العـفيفة، أم النبى عيسى عليه السلام السـيدة مريم، هذه الآية ذاتهـا قد جاءت باللفظ أيضـاً فى سورة التحريم فى الآية (١٢).

ولقـد مدح ربنا الكريم عـباده ا لذين يحـافظون على فروجـهم لما فى ذلك وكـما سبق وأوضحنا من خـير عميم لكل البشر، وذلك فى قـوله تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ الآية (٥) واللفظ فـى الآية (٣٠)فى سـورة النور و(٣٥) الأحزاب و(٢٩) المعـارج. وكمـا سبق وقلنا فإن الله تعـالى قد أوصـانا بهذه العفـة وبتلك الحصانة، خاصـة لنسائنا، عندما أمـر نبيه الكريم بأن يقـول لهن وفق ما جاء في سورة النور الآية (٣١): ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وطبعاً هذا الأمر ينطبق على جميع النسوة وبلا تفريق.

** الجلود.. الرداء الواقى فى الدنيا فقط:

من عجائب خلـق الله فى البشر خاصة فى جـسم الإنسان، هو الجلد.. ذلك الرداء الذى يلف كل أعضاء ذلك الجسم، ليحقق له المئات من الفوائد.

ومن عظمة رب العالمين أيضاً.. أن خلقه للجلود لم يقـتصر على بنى البشر فقط، بل امتد خلق الجلد ليشمل كل المخلوقات الحية حتى الزاحفة منها أو الطائرة.

ولقد شغل العديد من العلماء وكذلك من الأطباء أنفسهم وكتبهم وعقولهم بهذه الجلود، وذلك من أجل دراستها ومعرفة أسرارها، وكتـبوا فيه أوراقاً كثيرة وبمختلف اللغات.

ومما شغل أذهان هؤلاء العلماء بشـأن حديثهم عن جلد الإنسان، تشوقـهم لمعرفة طول هذا الجلد وسمكه ومـا به من فتحات نرى بعـضها ونرى الأخرى بـالأجهزة أو بالعـدسـات المكبـرة داخل الميكروسكوبات، كـمـا شغـل هذا الجلد فى ذات الوقت أذهان علماء الدين والمفسرين ومن الذين اهتموا بأحوال الناس فى الآخرة.

ومما كشف عنه هؤلاء العلماء قولهم وفق ما جـاء فى معجم المصطلحات الطبية: أن الجلد هو ذلك الغطاء الخـارجى الواقى للجسم، ويـتكون من عدة طبـقات، كـما

قسمسوا الجلد نفسه إلى أنواع منه ما هو جـلد مفرط المرونة ومنه ما هو جلد مـسترخ، وهناك نوع آخـر هو الجلد المجزع والذى تظهـر فيـه بقع عند تعرضـه للبـرد أو الحر، فيظهر كلون الرخام. (١)

وكما أن جلد الإنسان يلعب دوراً مهما فى حيـاته كعضو أو مكان رئيسى مشهور فى جسده فإنه كـذلك له دور مهم فى الحياة الآخرة !!، خاصة بـالنسبة لهؤلاء الذين حكم الله عليهم وفق أعمالهم السيئة بدخول نار جهنم.

ليس هذا فـقط، بل إن الله تـعالـى قـد أشار إلـى جلد الإنسـان كـمكان يعـقـاب بواسطتـه فى الدنيـا أيضـاً، وذلك حين يـتم جلده أو ضـربه أو تعـذيبـه بعـد ارتكابه المعصية.

والقرآن الكريم قد حدثنا فى آياته وسوره المتـعددة عن جلود البشر سواء فى الدنيا أو فى الآخرة، ومما ذكره هذا الكتاب الكريم وفق ما أخبـرنا به أصحاب معجم ألفاظ القرآن الكريـم. أن الجلود ، مفردها جلد وهو غشاء الحيوان، وقد يراد به أعضاءه.

هذا الجلد ذاته يكون فى الدنيا دليـلاً على إيمان العبد وخشـيته من الله، وذلك وفق ما جاء فى سورة الزمر الآية (٢٣) وفى قوله تعالى:﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

والحديث فى تفسيـر هذه الآية يطول ويطول، ولكننا قد أجـملنا القول فـيه حين أشرنـا إلى أن جلد الإنسان يكون سـبيله للخـير فى الدنيـا والآخرة إذا مـا تأثر الذين يسمعون كتاب الله وكلامه العزيز.

ولكى تعيشـوا معنا لحظات نعرف من خلالها مـتى يخشع جلد الإنسان لكلام الله تعـالوا نقرأ كل كلمـات هذه الآية الكريمة :﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

وفى تفسيـر الإمام الأكبر الدكتـور محمد سيد طـنطاوى لهذه الآية يقول: إن من

(١) معجم المصطلحات الطبية - جزء (١) - مصدر سابق.

صفات المؤمنين الصادقين أنهم يجمعون عند قراءتهم أو سماعهم للقرآن الكريم بين الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله والرجاء فى رحمته ومغفرته، إذ إن اقشعرار الجلود كناية عن الخوف الشديد، ولين الجلود والقلوب كناية عن السرور والارتياح.(١)

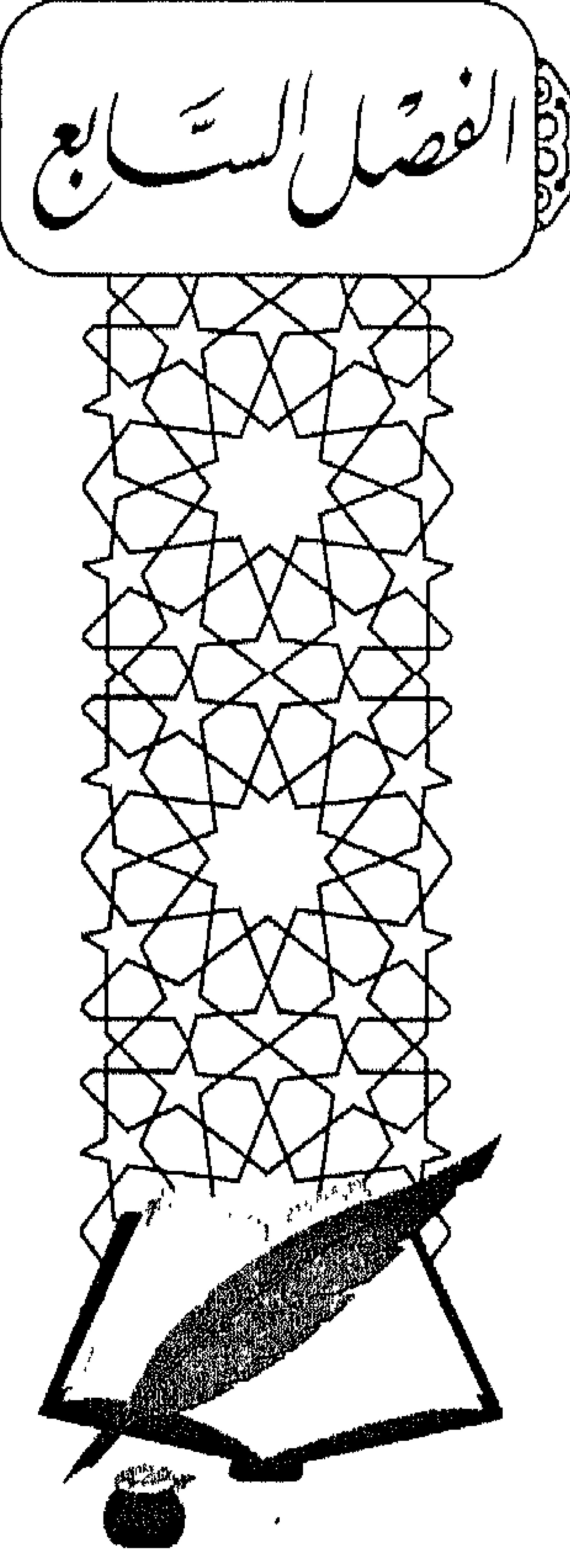
وإذا ما كان ذلك هو حال المؤمنين أصحاب الجلود الخاشعة، فما بالنا بأصحاب الجلود الميتة ومن الذين لا يتأثرون بكلام الله أو تخشع له قلوبهم وكتاب الله قد بين أيضاً مصير هؤلاء وذلك في قوله تعالى فى سورة النساء الآية (٥٦): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ هذه الآية جاءت كذلك باللفظ فى سورة فصلت فى الآيتين (٢٠) و(٢١).. كما جاء فى كتاب الله عن مصير أصحاب الجلود غير الخاشعة آيات بينات أخرى مثلما جاء فى سورة الحج الآية (٢٠) وفى قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ وما جاء في سورة فصلت الآية (٢٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ .

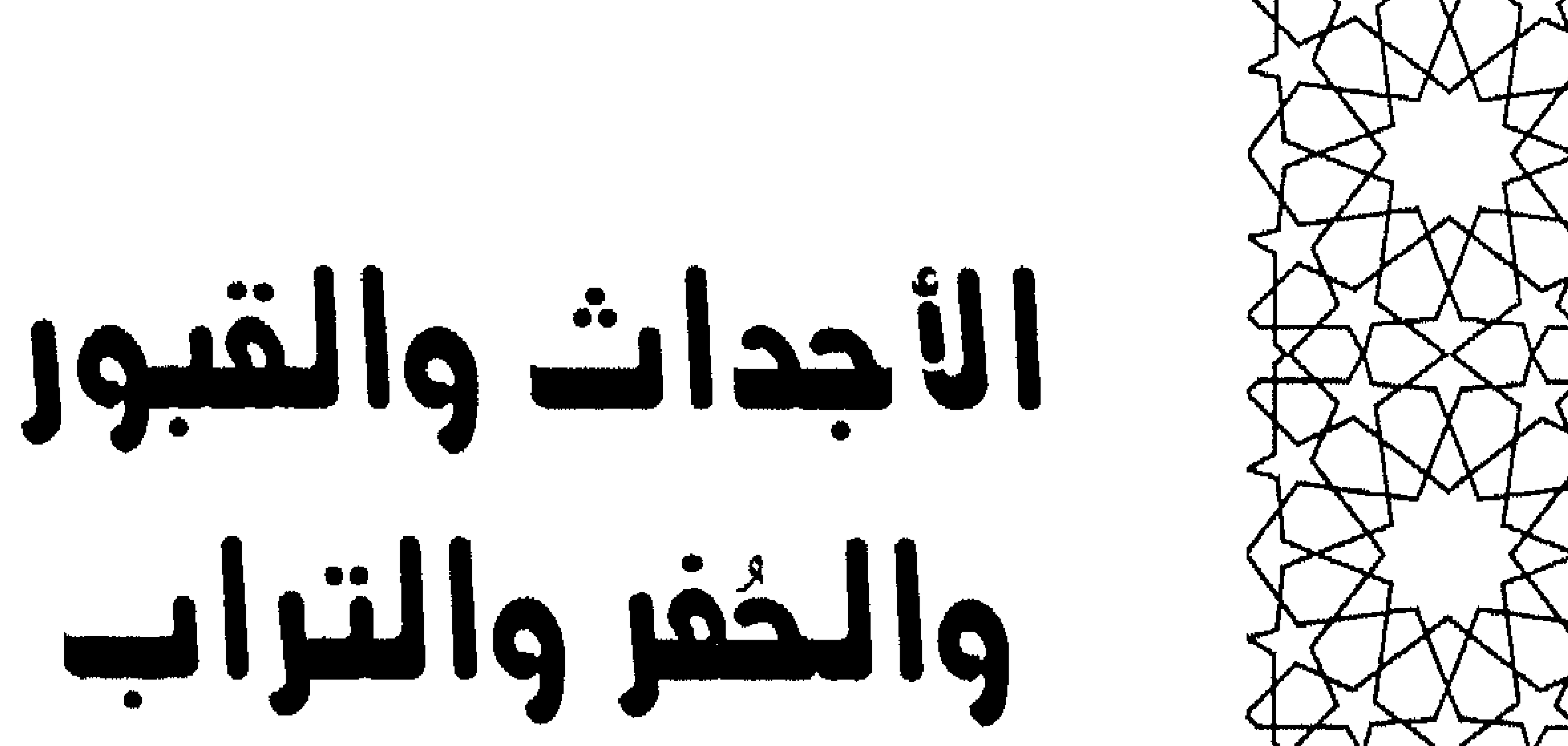
والمعنى وفق ما حدثنا عنه الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى، أن جوارح هؤلاء الكافرين تقول لهم يوم القيامة على سبيل التبكيت: أنتم أيها الكافرون لم تكونوا فى الدنيا تخفون أعمالكم السيئة خوفاً أن تشهد عليكم ولكنكم كنتم تخفونها لاعتقادكم بأن الله تعالى لا يعلم ما تخفونه من أعمالكم، ولكنه يعلم ما تظهرونه منها، وما حملكم على هذا الاعتقاد الباطل إلا جهلكم بصفات الله تعالى وكفركم باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء،واستبعادكم أننا سنشهد عليكم.(٢)

وكما سبق وذكرنا فإن الله تعالى قد حدثنا كذلك عن جلود الأنعام في كتابه العزيز وذلك فى قوله الكريم: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ الآية (٨٠) من سورة النحل.

وفى تفسير الجلالين : إن الله تعالى قد جعل لنا من جلود الأنعام بيوتاً كالخيام والقباب، سهلة الحمل حين السفر.

(١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم – المجلد الثانى عشر – د. محمد سيد طنطاوى.
(٢) المصدر السابق.





الأجداث والقبور والحُفر والتراب

الفصل السابع

الأجداث والقبور والحُفر والتراب...

إذا كان الله تعالى قد خلق الإنسان منذ آدم عـليه السلام، ونزوله وزوجته من الجنة إلى الأرض لتعـميـرها، وكما نعـرف من تراب ثم من طين لازب، فإن الله تعـالى قد كتب على بنى الإنســان ومنذ آدم عليه السلام أيضاً أن يموت حينـماً تخرج منه الروح التى بثها تعالى فيه لحظة الميلاد، أو من قبلها بأشهر قليلة.

ولقد أصبحت حياة الإنسان منذ ذلك الوقـت المبكر محصورة بين نفخة في روحه وإخـراج هذه الروح من جسـده، وحـسابهـا يتم بالأيام والسنين، ومـن بعدها يعـود الإنسان بجسده إلي الأرض وتصعد روحه إلى السماء، كما جاءت من قبل.

ونهـاية حيـاة الإنســان التى لا يعلمـها إلا الله تعـالى تبـدأ بالاحـتضـار حين تدنو عـلامات الموت.. إذ جـاءه ذلك الملك الأمين مأمـوراً من رب العـالمين ومن معـه من الملائكة من أجل أن يقـبضـوا تلك الروح التى منحنا إيـاها ربنا الكريم، ومن بعد مـا يصعد هؤلاء الملائكة بما معهم من أمانة أو أمـانات.. يتحول الإنسان إلى جسد هامد بلا حـراك، ويصبح حـينئذ على كل من حـوله الإسراع من أجل أن يوارونه الـتراب خوفاً من الرائحة الكريهة ومن الأمراض.

وعليك منذ هذه اللحظة أن تقـول سبحـان الله فى خلقه.. لقد كـان بين أيدينا منذ ساعات أو لحظات يلعب أو يضحك أو يأكل أو يفـعل أى شيء يدل على حيويته!. وها هو قد أصبح جـسداً هامداً من الممكن أن يصيـبه العفن إذا ما تأخـر أصحابه عن دفنه فى التـراب وداخل المقـابر، وتلك سـنة الله فى خلقـه منذ آدم وإلى يوم أن تقـوم الساعة.

ولولا أن علمنا الله تعـالى منذ آدم عليـه السلام وحـادث مقـتل أحد أبنائه، كـيف نوارى سوآتنـا فورأن، تخرج منهـا الروح، لظللنا كـذلك نعيش وسط روائح كـريهة تهدد حياتنا. بل وربما كرهنا تلك الحياة التى جئنا إليها من أجل تعميرها.

وهذه نعمـة من الله تعالى رغم ما يصـبنا من أحزان حين يفارقنا الأحـباب، وتظل تلك النعمـة دائمة وملازمة لنا، ولا يعـرف قدرها إلا من فقد عـزيزاً له ولا يعرف له قبراً.

إذن العبرة لا تتـوقف عند حادث الموت والرحيل فقط، بل وتمتـد إلى ما بعد ذلك .. حين تظل مرتبطة بالأماكن التى يوجد بها موتانا هنا أو هناك.

والويل كل الويل لأى أحـد منا إذ لم يعـثـر على من فـقـده، وحوادث البـواخـر والطائرات كثيرة، وما ينتج عنها من اخـتفاء أو احتراق أو تآكل الأجساد من دون أن يتعرف عليها الأصحاب والأقارب ! خير شاهد على ذلك وأكثر .

إن أحاديث الموت وما يجـب أن نخرج به من مواعظ وعبر كـثيرة.. وسبـقنا إليها كل أجدادناً منذ أن عرفنا الكتابة أو النقش على الحجارة.

ولسوف تظل هذه الأحـاديث على جانب كبيـر من الأهمية إلى أن تختـفى الحياة ومن فيهـا، كما سيظل الموت مرتبطاً فى الوقت نفسـه بأماكن كثيرة نعرف بـعضها.. وثم اكتملت تلك المعرفة بعد نزول القرآن الكريم، هذه الأماكن ذاتها.. غير الأماكن التى ارتبط بها الإنسان فى حياته! وهذا يعنى انتقـاله من عالم إلى آخر، أو كما يقول رسولنا الكريم إن القبور أول منازل الآخرة!

وإذا مـا حاولنا أن نسـوق إجمـالاً أهم الأماكن التـى ترتبط بنهاية حـياة الإنسـان ورحيـله إلى عالم البـرزخ أو انتقـاله إلى الأعراف، فـسوف نكتـشـف أنهـا متـعددة، وموجودة فى كتاب الله كأماكن مشهورة فى هذا الكتاب العزيز.

ولقد حاولنا حين حصر هذه الأماكن أن نتتبعها وفق ترتيبها بالنسبة لحياة الإنسان نفسه. فنبـدأ رحلتنا على سبيل المثال بالحديث عن الأرض، وليس الأرض بمفـهومها الواسع ولكن الأرض التى يموت فيها الإنسان.

وأرض الله واسعة ولا يعلم مكان موته من البشر إلا فى حدود بعينها.

ولقد أخبرنا ربنا الكريم بذلك فى قوله تعالى: ﴿ولا تدرى نفس بأى أرض تموت﴾.

ومن بعد حديث الأرض لا بد من الإشارة إلى التراب، وهو ذلك الوعاء الذى تذوب فيه أجسادنا وهى التى أُخذت منه من قبل، ثم الحديث عن المقابر أو القبور، والثرى والأجداث والتابوت والبرزخ والأعرف ثم المرقد، وكلها أماكن ترتبط بشدة برحيل الإنسان ونهاية حياته فوق الأرض التى كان يعيش عليها منذ لحظات. وتلك سُنة الله فى خلقه فتعالوا إلى التفاصيل.

** الأرض .. أول مكان إحتضن الأنسان ميتاً:

كما نعرف جميعاً ومن خلال ما أنبأنا به ا لقرآن الكريم أن الله تعالى قد خلق البشر بعد خلقه لكل من السموات والأرض، وأنه تعالى قد هيأ الحياة الطيبة على هذه الأرض من أجل أن يعمرها الإنسان بعد نزول أبيه آدم إليها مصاحباً زوجته.

ومن حكمة رب العالمين أن جعل خلق الإنسان نفسه من عناصر هذه الأرض . حيث يظل مرتبطاً بها طوال حياته.. بل وأكثر من ذلك فإن حكمة الله تعالى قد جعلت هذه الأرض أيضاً هى نفسها ذلك الوعاء الذى يذوب فيه الإنسان من بعد موته، وبالتالى تعود عناصر الأرض التى تكون منها جسم الإنسان إلى هذه الأرض مرة أخره ولكن بعد فترة حياة يحددها رب العالمين لعباده مسبقاً.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق أن اختيارنا للأرض كأول مكان مشهور جاء ذكره في كتاب الله ومرتبطاً بموت الإنسان.. إنما جاء وفق ما أشار إليه القرآن الكريم نفسه، رغم أن لفظ الأرض على عموميته قد جاء ذكره في كتاب الله ليشير إلى أكثر من معنى ومكان مرتبط بهذه الأرض.

إذن الأرض بمفهومها الضيق والذى يعنى فقط المكان الذى يدفن فيه الإنسان هو ما قصدنا إليه من اختيارنا للأرض كمقر دائم له من وفاته ، وبالتالى فإن الأرض بهذا المعنى تعتبر أول مقبرة للإنسان تحتويه وجسده بعدما يذوب ويبقى فيها حتى يوم القيامة.

وبخلاف ذلك، فإن الله تعالى قد ذكر لنا الأرض بمفهومها الواسع و الضيق فى أكثر من آية وسورة كريمة، وبالرجوع إلى المعجم المفهرس والذى خصصه مؤلفه محمد فؤاد عبد الباقى لبيان ألفاظ القرآن الكريم، وما قيل بشأن الأرض فى سور القرآن الكريم وآياته.. اكتشفنا أن الله تعالى وفى كتابه العزيز قد ذكر لنا لفظ الأرض بمفهومها الواسع فى أكثر من ٤٠٠ آية كريمة، أما فيما يخص مفهومها الضيق والمرتبط بمكان وفاة البشر أو رحيل الإنسان فقد جاء ذكرها فى سورة النساء فى قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ الآية (٤٢)،كما جاء ذكرها أيضاً فى هذا السياق فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ الآية (٤٤) فى سورة ق، وفى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ الآية (١٠٦). وفى قوله تعالى فى سورة النمل الآية (٨٧): ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾، وكذلك فى قوله تعالى فى سورة الروم الآية (٢٥) :﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾.

أما من أعظم آيات الله البينات والتى ارتبطت مباشرة بموت الإنسان فى الأرض باعتبارها مكان عام.. فقد جاء فى سورة لقمان الآية (٣٤) فى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

ولو تدبرنا الآيات السابقة فيما يخص مكان إقامة الإنسان ورحيله أيضاً نستطيع أن نقول : إن الله تعالى قد خلق الإنسان كما نعلم وأطلقه وأهله فى الأرض الواسعة التى يختار منها ما يناسبه وأهله وعشيرته وقبيلته ثم قومه أو وطنه، ويظل يعيش فوق هذه الأرض التى عاش بها من قبل أجداده، انتظاراً ليوم الرحيل.. والذى قد يأتيه وهو غير مقيم فوق قطعة الأرض التى اختارها، وبالتالى يدفن فى مكان أو فى أرض أخرى لا يعرفها وربما كان يعرف عنها بعض الشىء.

ليس هذا فقط، بل إن الله تعالى يخبرنا ومن خلال آياته الكريمة أن جميع الذين يعيشون فوق هذه الأرض باختلاف جغرافيتها سوف يموتون أيضاً ويدفنون ببطنها

ويظلون على حالتهم هـذه إلى أن يشاء الله وحتى ما ينفخ فى الصور، فيخرج الناس من باطن هذه الأرض من أجل الحساب يوم القيامة ، عندئذ تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، استعداداً لبدء مرحلة جديدة فى حياة هذا الكون وحياة الإنسان أيضاً.

هذه اخيـ. لتى تدور فى فلك الجنة والنار، ولكل أصحاب يعرفونها.

وانتظار الإنسان فى باطن الأرض ربما يطول ليصل إلى مئات أو آلاف السنين.. لأنه حين يدخل بباطنها لن يخرج منها إلا يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولقد حدثنا العشرات من علماء الطبيعة وكذلك علماء الدين عن حكمة عودة الإنسان بجسده إلى الأرض التى خلق منها، وكيف علمنا رب العالمين بحكمته وقدرته كيف ندخل أحباءنا فى باطن الأرض ، وأهمية ذلك لنا ولغيرنا، لأننا لو تركناهم بدون أن ينزلوا إلى باطن هذه الأرض فسوف تعم الأمراض وتنتشر بل وربما نأنف فى الأصل من هؤلاء الأحباب الذين ملأوا الدنيا حولنا صخباً وحباً وحزناً وحياة، وكانت تلك من أعظم نعم الله تعالى علينا.

ولسوف تستمر إلى يوم تقوم الساعة، وكما نعرف فإن الفضل فى ذلك يعود إلى ذلك الطائر الذى قتل زميله وأخذ يدفنه فى باطن الأرض.

** التراب.. عندما نزل إليه رغما عنا..

لو أخذنا نتبع بصدق طريق الإنسان إلى باطن الأرض بعدما علمنا ربنا ذلك على يد ذلك الطائر الذى قتل زميله، عندما فشل أحد أبناء آدم عليه السلام فى التصرف فى جثمان أخيه الذى قتله نكتشف أن الله قد هيأ هذا الغراب من أجل أن يقوم بهذه المهمة لخدمة بنى البشر ومنذ ذلك التاريخ وحتى قيام الساعة، وكانت مهمة هذا الطائر هو النبش فى تراب الأرض وحفرها من أجل أن يجد مكاناً للذى قتله!! وعندما واراه هذه الأرض، رمى فوقه حفنة من التراب كى يختفى عن أنظار الحيوانات الجارحة التى كانت من الممكن التقاط هذا الطائر الميت بين فكيها، ويكون بذلك صيداً ثميناً.

عندئذ تعلم أحد أبناء آدم عليه السلام هذه المهمة، وبالتالى فنراه هو الآخر قد لجأ إلى التراب الذى أخذ ينبشه بيديه حتى وجد مكاناً يستوعب جسد أخيه الذى قتله وذلك فى باطن الأرض، ووسط هذا التراب، بل وأخذ بعد ذلك يهيل عليه تراباً آخر من فوق سطح الأرض حتى واراه عن الأعين واختفى فى باطن الأرض، خوفاً أيضاً مما قد يتعرض له من مخاطر وهو جسد بلا حراك، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شراً ولا ضراً.

فانظروا إلى آثار رحمة الله تعالى الذى جعل لنا من التراب ستراً وحماية لأجسادنا بعد ما نموت!!، ولولاه لتحولنا إلى جيفة نتنة ولأخذنا نهرب منها هنا وهناك.

وكما سبق وذكرنا فإن الله تعالى قد جعل آخرتنا فى التراب الذى جئنا منه أول مرة، كما أخبرنا تعالى بأننا خلقنا من هذا التراب، عندئذ أخذ العديد من العلماء فى تحليل تلك الأتربة لاستخراج ما بها من عناصر من أجل معرفة صلتها بجسم الإنسان، واكتشفوا فى هذا السياق أن هذه العناصر هى بالضبط التى يتكون منها جسد كل منا مع اختلاف مقدارها من جسد لآخر.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن خلق الإنسان من تراب فى العديد من آياته ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الكهف الآية (٣٧): ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ .
كما حدثنا كذلك عن تحول الإنسان مرة أخرى وعودته إلى ذلك التراب وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الآية (٥) فى سورة الرعد، كما جاء نفس المعنى فى آيات وسور أخرى مثل قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾. الآية (٣٥) فى سورة المؤمنون، ثم فى قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ الآية (٦٧) فى سورة النمل.

وهكذا وجدنا أن ما فى القرآن الكريم من الآيات والسور الخاصة بذكر التراب كمكان مرتبط بالإنسان ، سواء بخلقه الأول أو بعودته إليه من جديد يبلغ خمس عشرة آية كريمة فى ثلاث عشرة سورة كريمة هى: آل عمران الآية (٥٩)، و(٣٧)

الكهف و(٥) الحج و(٢٠) الروم و(١١) فاطر و(٦٧) غافر و(٥) الرعد و(٣٥) و(٨٢) المؤمنون و(٦٧) النمل و(١٦) و(٥٣) الصافات و(٣) ق و(٤٧) الواقعة و(٤٠) النبأ.

هذه الآيات والسور كما ذكرنا بها حديث عظيم عن نشأة التراب وخلق الإنسان وفيه أيضاً شأن آخر خاص بموته.

ومن الآيات والسور المرتبطة بالخلق والتراب الآيات: (٥٩) آل عمران (٢٧) الكهف و(٥) الحج و(٢٠) الروم و(١١) فاطر و(٦٧) غافر . أما آيات وسور ارتباط التراب بالموت والرحيل فهى (٥) الرعد و (٣٥) و(٨٢) المؤمنون و(٦٧) النمل و(١٦) و(٥٣) الصافات و(٣) ق و(٤٧) الواقعة و(٤٠) النبأ.

معنى ذلك أن الله تعالى قد ذكر لنا خلق الإنسان من التراب فى ست آيات وجاءت فى ست سور كريمة.. فى حين ذكر لنا ربنا العظيم آيات ارتباط التراب بموته فى تسع آيات كريمات جاءت كلها فى سبع سور كريمة.

ولمن يريد أن يتفكر فى هذا الأمر فعليه بقراءة هذه الآيات وتدبر معانيها كى يصل إلى ما يريده من أهداف وما يرمى إليه من معانٍ.

** الحُفرة.. المرحلة الثانية فى باطن الأرض:

وفق تطور كل شيء فى حياة بنى آدم، فقد تطورت كذلك أماكن وجوده داخل باطن الأرض، ويبدو أن وظيفة المقابر لم تبدأ وفق معناها ووظيفتها الحالية إلا بعد أن مرت بمراحل كثيرة بدأت بالتراب ثم بالحُفر ، ومن بعدها المقبرة أو المقابر أو القبور.

ليس ذلك فقط، بل إن مسميات المقابر تختلف كذلك من لغة إلى أخرى كما أختلفت من مكان إلى مكان وكما اختلفت كذلك على مر الأزمنة والعصور.

وتعالوا سوياً نتبع هذا التطور منذ أن عرف الإنسان كيف يوارى سوأة أخيه، وكيف تعلم بنى الإنسان، من الطير هذه المهنة التى كان يجهلها، هذا التعلم الذى بدأ منذ حادث قتل أحد أبناء آدم عليه السلام.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم هذه القصة من أجل أن نعتبر ونتعلم، وذلك فى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

والمعنى معروف ومفهوم ويدل دلالة واضحة على أن الإنسان كان لا يعلم كيف يدفن القتيل، فبعث الله تعالى أحد الطيور وهو الغراب من أجل أن يتمم هذه المهمة ويتعلم من خلالها الإنسان طريقة دفن الموتى!، وبذلك نستطيع أن نقول إن ذلك الغراب كان أول مخلوق يحفر حفرة فى الأرض من أجل هذا الغرض ومن بعده صارت سُنة لله فى أرضه وفى خلقه بعدما تعلمها بنى آدم.

ومنذ ذلك التوقيت الذى نجهله حيث ارتبط بنزول آدم عليه السلام وبدأ معيشته على هذه الأرض، بدأ العصر الذهبى وكما يقولون لعمل الحفُر، والتى تطورت على مر الأزمنة إلى المقبرة أو المقابر بأشكالها وأحجامها المختلفة والمتغيرة عبر التاريخ وداخل كل المجتمعات.

وعن هذا المعنى ذاته يقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى تفسيره لبعض كلمات الآية السابقة.. أن قابيل حين أقدم على قتل أخيه ، ورأى جثته أمامه ملقاة بالعراء، تحير ماذا يفعل!! فأرسل الله تعالى غراباً يحفر وينبش فى الأرض بمنقاره ورجليه ليعلم ذلك القاتل كيف يستر فى التراب جسد أخيه بعدما فارق الحياة وأصبح عرضة للتغير والتعفن وفريسة للحيوانات والطيور.

وهنا شعر قابيل بالتحسر والندم وقال يا فضيحتى ومعيبتى، أضعفت حيلتى عن أكون مثل هذا الغراب فأستر جسد أخى فى الترا ب وفى الحفرة!.(١)

ولا بد أن نشير فى هذا السياق إلى أننا لاحظنا وجود نوع من التلازم والارتباط بين كل من الأرض والتراب والحفر فيما يخص مصير الإنسان بعد وفاته.

---

(١) القصة فى القرآن – ج (١) مصدر سابق.

ومن غريب الأمر أن لكل من هذه الأماكن رغم ارتباطها بعضها البعض. وظيفة مغايرة للأخرى، فالأرض هي ذلك المكان الذى يختاره رب العالمين كى يموت فيه الإنسان.. وسبق أن أوضحنا أنه يعنى المكان. ثم التراب وهو الغطاء الذى نستخدمه من أجل أن يستر جسد الميت.. وأخيراً الحفرة التى هى ذلك الوعاء الذى ينزل به الجسد بعد إجراءات دفنه.

وسبحان الله تعالى الذى جعلنا ترتبط فى حياتنا وفى مماتنا بالأرض والتراب وبالحُفر أيضاً!!.

وعندما نتوجه إلى لغتنا العربية لنقف على معنى كلمة الحفرة ومغزاها من قبل أن نتوقف أمام صفحات كتاب الله لنفس الغرض .. نكتشف أن معنى الحفرة أنها هى جزء من الأرض نزع ترابه فانخفض، ونضيف إلى ذلك القول: بأن الحفرة يختلف عمقها وفق استخداماتها، وفى بداية معرفة الإنسان بأصول دفن الموتى، لم يكن هناك تحديد لعمق هذه الحفرة، اللهم أن تستوعب ذلك الجسد ويتم تغطيها بالتراب ثم بالحجارة فيما بعد.. درأ لنبش الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة.

ولا يزال هذا التقليد قائم إلى اليوم مع تحديد دقيق لعمق هذه الحفرة ومساحتها من حيث الضيق أو الاتساع!

وعندما نقف أمام صفحات كتاب الله لنعرف موقع الحفرة كمكان مشهور ارتبطت بنهاية حياة الإنسان سوف نكتشف كذلك أن الله تعالى قد ذكر هذه الحفرة فى موضع واحد فقط وفى الآية (٣) فى سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾.

ومن عجيب هذا الكتاب العظيم أن الله تعالى لم يذكر لنا الحفرة مرتبطة بموت الإنسان، وذلك بعدما أوضح لنا هذه المهمة وتفاصيلها في سورة المائدة عند الحديث عن أول جريمة فى تاريخ البشرية.

** الثرى.. الذى نرقد تحته إلى حين:

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ الآية (٦) فى سورة طه. والمتمعن فى هذه الآية وحال الوقوف عند كلماتها وألفاظها ،لا بد له وأن يتذكر أيضاً الموت وأماكنه، ذلك لأن الله تعالى قد أخبرنا فى هذه الآية أن الله تعالى هو مالك الملك كله.. وله ما فى السموات وما فى الأرض من مخلوقات نراها ولا نراها، وكذلك ما تحت الثرى ومنها الثروات الطبيعية التى يحويها باطن الأرض وكذلك أجسادنا التى تبلى ويبقى منها بعض آثارها.

والثرى فى اللغة معناه: التراب الندى.

وفى تصورنا أن الله تعالى قد جعل هذا التراب الندى هو المتكأ الذى ينام فوقه جسد الإنسان حتى ولو إلى حين، وذلك حتى يبلى ويفنى وتختفى كل معالمه.. إلا من عظام نخرة قليلة أو كثيرة.

واللغويون يقولون ..أن الثرى أو ما تحت الثرى يعنى طبقات الأرض وما فيها، ومن عجيب القول كذلك أن هذا الثرى له أيضاً علاقة بخلق الإنسان كما أشار بذلك القرآن فى قوله تعالى فى سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ الآية (٧١).

والدكتور عبد الصبور شاهين يحدثنا عن معنى هذه الآية فى قوله : إن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلان به، وقد أراد أن يخبر الملائكة كتهيئة لهم حتى يتابعوا أحوال المخلوق خلال مراحل التسوية والنفخ الإلهى. (١)

كما يحدثنا كذلك عن حقيقة هذا الطين والذى من معانيه أيضاً الثرى الذى وما تحته فيقول: أما الطين أو الثرى فقد جاء فى مواضع مختلفة بهذا اللفظ والمقصود به إجمالاً: تراب+ ماء.

(١) أبى آدم.. قصة الخلق بين الأسطورة والحقيقة – د. عبد الصبور شاهين.

ويضيف : سواء فى الحقيقة أن يستخدم القرآن فى تعبيره عن أصل البشر.. الأرض أو التراب أو الطين أو الصلصال أو الحمأ المسنون فكل ذلك لا يختلف.. لأن المكونات واحدة تماماً فى التراب وأشكاله السابقة، وفى الجسد البشرى أو المادة الحية.

والملاحظ فى تفسير الآية المرتبطة بكلمة الثرى أن معظم المفسرين قد أجمعوا على أن معنى كلمة الثرى هى التراب..بصرف النظر عن كونه رطباً أو جافاً، وبذلك يصير المعنى المرتبط بنهاية الإنسان.. أن الله تعالى يملك البشر وأجسادهم حتى وهم رقوداً أو موتى، وأن تواجدهم تحت الارض، مرهون بميعاد يوم القيامة، كما كان تواجدهم فوق سطح الأرض مرهون أيضاً بموعد أقصاه خروج الروح من الجسد.

وكل ذلك يؤدى إلى المعنى المهم فى هذا السياق وهو أن الله تعالى مالك كل شىء سواء فوق سطح الأرض أو فى باطنها، كما يملك كذلك كل الكون ومقدراته، ويظل بذلك الثرى كمكان مرهون بنهاية الإنسان مرتبطاً كذلك بكل من الأرض والتراب والحفر أو الحفرة، بل وسوف يظل كذلك إلى يوم القيامة حين تنشق الأرض عمن بداخلها من أجساد تخرج بإذن الله، عندئذ ينفض كل منا ما عليه من تراب أو ثرى انطلاقاً إلى يوم الحساب.

ولقد بين لنا ذلك ربنا تعالى فى قوله :﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ الآية (٨٧) فى سورة النمل، وفي قوله تعالى فى سورة الروم الآية (٢٥) :﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ﴾.. وعند هذه الدعوة التى يخرج على إثرها كل جسد أقام تحت الأرض أو تحت الثرى تبدأ مرحلة جديدة فى هذا الكون كله، وقد أخبرنا بذلك أيضاً القرآن الكريم فى أكثر من آية وسورة كريمة.

** التابوت .. صندوق فيه الموتى:

من الأماكن المرتبطة كذلك بنهاية الإنسان، واختفائه من فوق سطح الأرض.. هو التابوت، أو ذلك الصندوق الخشبى أو المعدنى أو الحجرى الذى نضع فيه موتانا وصولاً بهم إلى مثواهم الأخير.

ونحن على يقين من أن فكرة هذا التابوت قد نشأت فى حياة الإنسان مؤخراً حين فكر فى وعاء يحمل بداخله أخيه الإنسان وهو فى طريقه إلى الأرض أو إلى التراب أو إلى الثرى أو الحفرة !، وكمثل أى شيء فى حياتنا فقد تطور ذلك التابوت أو هذا الصندوق.

ومن عجيب ما جاء فى كتاب الله عن هذه الوسيلة أو هذا المكان الذى يوضع فيه الجثمان قبيل أن يواريه التراب، أن الله، تعالى لم يذكره لنا مرتبطاً بنهاية الإنسان، بل ببدايته، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله تعالى فى سورة طه الآية ٣٩ : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ وطبعاً جميعاً نعرف أن المقصود بمن فى هذا التابوت هو سيدنا موسى عليه السلام، وقصته المعروفة مع زوجة فرعون التى القى الله فى قلبها حباً خاصاً لهذا الوليد الذى سوف يكون وبالاً على زوجها.

وكلمات هذه الآية علمتنا كيف يكون لدينا مكاناً خاصاً بأجسادنا سواء أكان هذا الجسد صغيراً أم كبيراً.

وإذا كانت أم موسى قد استخدمت هذا التابوت ليحمل طفلها الرضيع فوق الماء. فنحن كذلك نستخدم هذا التابوت أو هذا الصندوق أو ما نسميه نحن حالياً «بخشبة الموتى»، من أجل أن نحمل فيه أجسادنا وهى فى طريقها إلى باطن الأرض!

وفى كتاب الله استخدام آخر لهذا التابوت أشار إليه ربنا الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية (٢٤٨) فى سورة البقرة.

وكما توصلنا إلى معناه من قبل فكذلك يؤكد لنا معجم ألفاظ القرآن الكريم أن معنى التابوت هو الصندوق، وكما أن هناك معنى لغوى لطيف لكلمة التابوت أشار إليها الدكتور محمد سيد طنطاوى فى تفسيره للآية السابقة، إذ قال إن كلمة التابوت بوزن فعلوت من التوب أو الرجوع. وهى بذلك وفى تصورنا ترتبط بنهاية الإنسان أو رجوعه إلى الأرض التى خرج منها باعتبار هذا الصندوق يشبه تلك الحفرة التى سوف يلقى بها الإنسان من بعد موته.

وعلى ذلك فإن الإنسان حين يموت ويتم إعداد جسده لرحلة اللاعودة، يدخل أولاً إلى حفرة خشبية أو ما نسميه التابوت، ثم إلى الحفرة الطينية أو الترابية، وهو بذلك يُنقل من حفرة إلى أخرى حتى نهيل على جسده التراب وإلى الأبد!!، ويظل هذا التابوت هو وسيلة الانتقال الأخيرة للموتى حتى ولوحملناهم فوق أكتافنا أو فوق السيارات أو بداخلها!

وكمثل أى شيء قابل للتطور، فإن هناك ديانات أو معتقدات تجعل من هذا التابوت مقبرة داخل مقبرة، بمعنى أن أهل هذه الديانات، وخاصة من النصارى واليهود الذين يدفنون أجساد موتاهم داخل هذه التوابيت ثم يضعونها فى المقابر المغلقة !، وهم بذلك يخالفون القواعد التى تقتضى بأن يعود الجسد إلى أصله داخل باطن الأرض ويلامس التراب، بل ويتفاعل معه.

ولقد حفظ لنا ديننا الحنيف هذه السمة الطيبة، والتى علمنا إياها رب العالمين منذ جريمة قابيل مع أخيه !، وبالتالى فإن التابوت أو الصندوق بالنسبة لاتباع دين الإسلام يظل هو الوسيلة التى تساهم فى نقل الجثمان إلى مثواه الأخير، ثم يتركه بعد ذلك!!

** الأجداث .. عندما نخرج منها مسرعين:

ترتبط الأجداث فى سياق الحديث عن الأماكن المشهورة والمرتبطة بنهاية الإنسان.. بالنفخة الثانية والتى سوف يعقبها البعث والحساب، أما النفخة الأولى فهى التى سوف يتحول بعدها كل شيء فى الكون إلى موات!، وهى فى ذات الوقت تكون تعبيراً عن نهاية الحياة وقيام الساعة.

ففى اليوم المعلوم والساعة المحددة التى لا يعلمها سوى علام الغيوب يأمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل فينفخ فى الصور النفخة الأولى، ذلك أوانها وموعدها. عندئذ يصعق ويموت كل من كانت تدب فيه الحياة فى الأرض أو على ظهرها أو فى السموات إلا من شاء الله وهم الملائكة المقربون. (١)

(١) الساعة وأشراطها - محمود مراد.

ومنذ النفخة الأولى تتوالى الأهوال والكوارث التى تقشعر لها الأبدان ويشيب من حولها الوالدان، ثم تأتى النفخة الثانية فإذا الجميع قيام لله رب العالمين.

وفى هذه المرحلة يخرج الناس من الأجداث التى مكثوا بها طويلاً!، وهناك من العلماء ومن المفسرين الذين يرون أن الأجداث ما هى إلا القبور التى حفرناها كى نوارى بها أجسادنا بعد خروج الروح منها.

ولقد لاحظنا أن هناك اتفاق بين كل المفسرين على أن الأجداث ما هى إلا القبور وإن كنت اختلف معهم فيما وصلوا إليه جميعاً، حيث نرى أن المقصود بالأجداث هنا تلك الأماكن التى دفن بها من تبقى من البشر حين وقت النفخة الأولى، ولذلك فهى تختلف عن القبور التى أخذنا نحن نحفرها أو نقيمها على مدى حياتنا فوق هذه الأرض حتى تستوعب كل من مات منا.

ولقد جاء ذكر هذه الأجداث كأماكن مشهورة فى كتاب الله وترتبط بنهاية حياة الإنسان فى ثلاث سور كريمات هى يس فى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ الآية (٥١)، وفى سورة القمر الآية (٧) في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾، وكذلك فى قوله تعالى فى سورة المعارج الآية (٤٣): ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

والدليل الذى نستند إليه فى قولنا السابق عن اختلاف الأجداث عن المقابر.. أن سكان هذه الأجداث يخرجون بأمر ربهم من أجل الحساب، وهم ينضمون فى ذلك إلى إخوانهم الذين سكنوا القبور من قبلهم، وظلوا كذلك ينتظرون هذا الأمر الإلهى، وبعد الخروج الأخير يُجمع البشر فى المحشر عندما تبدل الأرض غير الأرض والسموات.

ويؤكد محمود مراد أن المعنى الذى نفهمه من الآيات التى تحدثت عن المحشر أن الله تعالى يجمع على أرض هذا المحشر كل ما خلق ومن خلق فى السموات السبع

والأرض من ملك وجن وإنس وشياطين وسباع مفترسة ووحوش كاسرة وطيور جارحة وزواحف سامة وكل هؤلاء فى انكسار وخشوع. [١]

ويقول أهل اللغة: إن الأجداث مفردها جدث، أما الصور فهو القرن الذى ينفخ فيه الملك إسرافيل.. ويؤكد الدكتور طنطاوى أنه لا أحد يعلم كيفيته إلا الله تعالى.

أما فيما يخص لفظ ينسلون.. فمعناه: يسرعون بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار إذ إن معنى النسلان: الإسراع فى السير.

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد مرة أخرى على ما ذهبنا إليه من أن الأجداث هى تلك القبور التى يُدفن بها ما تبقى من البشر لحظة نفخة الصور الأولى ، وهى بطبيعة الحال تختلف عن القبور التى نحفرها بأيدينا لغيرنا من الأحياء أو الأعداء.

وبناء على ذلك فإننا نؤكد كذلك أن أصحاب الأجداث هم أكثر البشر الذين فزعوا وأصابهم الهلع حين نُفخ فى الصور، وتأتيهم الصيحة العظيمة والتى تنبأ بالنهاية العظمى لكل ما فى الكون، وربما يمكثون فى أجداثهم مثل بقية سكان القبور إلى حين يأتى موعد النفخة الثانية، والتى لا يعلم مداها أو تاريخها أو استمرارها إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

وليس لدينا علم ولا لغيرنا عن كيفية هذا الخروج وأسبقيته، وإن كان هناك من المفسرين الذين يؤكدون أن رسولنا الكريم محمد ﷺ سيكون أول من تنشق عنه الأرض ويخرج منها يوم القيامة استناداً إلى ما جاء فى حديث شريف بشأن ذلك، كما أنه ليس لدينا علم أيضاً عمن سوف يخرج من أجداثه بعد رسولنا الكريم وهل هم الرسل أم الملائكة أم غيرهم ؟!

** المقابر والقبور.. المقر الأخير:

ونأتى لحديث المرحلة الأخيرة فى حياة بنى آدم حين يودع فى القبور .. بعدما علمنا ربنا كيف يتم دفن الموتى، وما يصاحب ذلك من إجراءات نقوم بها وفق ما

(١) المصدر السابق.

علمنا الله وأرشدنا إليه رسولنا الكريم، من ضرورة أن نقوم بغسل جسد الميت ولفه في ثوب بسيط، يوارى عوراته، ثم الصلاة عليه صلاة الميت.

ولقد لاحظنا أن أكثر الأماكن المرتبطة برحيل الإنسان من حيث الحديث عنها بالتفاصيل هي القبور وذلك أكثر من غيرها مما ذكرناه من أماكن ارتبطت كذلك بيوم الرحيل.

ليس هذا فقط، بل لقد كانت كذلك من أكثر الأماكن التى ألف فيها المفسرون والمؤرخون كتبهم، حيث أطلقوا عليها ألفاظاً كثيرة ومتنوعة منها الجبانات والقرافات والمقابر.

ومن هؤلاء الدكتور محمد حمزة إسماعيل الحداد أستاذ العمارة والآثار والذى أشار فى كتابه إلى عشرات المصادر التى تناولت كذلك حديث المقابر مع اختلاف المسميات.

ونراه فى مؤلفه المهم قد حدثنا عن المسميات المختلفة لأماكن دفن الموتى باعتبارها تجمعات جنائزية . هذه الجنائز مفردها جنازة، وجنز الشيء يجنزه جنزاً أى ستره، والجنازة بالفتح معناها الميت فوق السرير، فإذا لم يكن هناك ميت فهو سرير ونعش.

والجنازة بالكسر: تعنى الميت بسريره، وقيل: بالكسر هى السرير وبالفتح: الميت، وقيل الجنازة : هى الإنسان الميت. (١)

ليس هذا فقط، بل يقول المؤلف: إن هناك ألفاظاً كثيرة أطلقت على أماكن دفن الموتى.. منها المدافن والجبانات والترب والمقابر والقرافات، ولكل من هذه الألفاظ مدلول لغوى.

ورغم ذلك فقد شاع لفظ القرافة خاصة فى مصر من دون غيرها من البلاد الإسلامية، إضافة إلى ذلك أخذ المؤلف فى سرد هذه المدلولات اللغوية. ولما كنا نتحدث عن المقابر فقط. فسوف نقصر حديثنا اللغوى عنها من دون غيرها.

---

(١) هامش كتاب الجبانات فى العمارة الإسلامية – د. محمد حمزة إسماعيل الحداد.

ومما قاله عن المقابر: أن مفردها مقبرة وهى موضع القبر، والقبر هو مدفن الإنسان، والجمع قبور، يقبره دفنه، وأقبره أى جعل له قبراً.

وأضاف: أن المفسرين وعلماء اللغة قد اعتمدوا فيما وصلوا إليه عن لفظ المقبرة على الآية القرآنية فى سورة عبس: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ الآية (٢١)، ومعناها: فجعله ممن يُقبر، ولم يجعله ممن يلقى للكلاب ولا للطير والسباع، ولا ممن يُلقى فى النوارس لذلك فإن القبر مما أكرم به بنو آدم.

ويؤكد فى ختام حديثه: أن المدلول اللغوى لكل من المدفن والجبانة والتربة والمقبرة يتفق مع الاستخدام الجنائزى، ومن ثم يمكن أن يطلق أى لفظ منهما على أماكن التجمعات الجنائزية بصيغة الجمع. (١)

وحين نعود للوقوف بين يدى الله وكتابه العزيز لنعرف موقع هذا المكان المرتبط بنهاية حياة الإنسان فوق الأرض نكتشف أنه جاء فى القرآن الكريم على ثلاثة أشكال لفظية وهى القبر والقبور والمقابر، ففى سورة التوبة الآية (٨٤) قال ربنا تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾، وفى سورة الحج الآية (٧) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾.

وقد تكرر هذا اللفظ فى سورة فاطر الآية (٢٢) والممتنحة الآية (١٣) والانفطار الآية (٤) والعاديات الآية (٩) والتكاثر الآية (٢). إذن يبدو لنا من ذلك أن القرآن الكريم قد ذكر لفظ القبر فى سورة واحدة وآية واحدة فقط، أما لفظ القبور فقد جاء ذكره فى خمس سور وخمس آيات.. فى حين جاء ذكر لفظ المقابر فى سورة واحدة وآية واحدة فى سورة التكاثر .

أما من حيث المعنى اللغوى فقد أخبرنا أصحاب المعجم الوجيز أن قبر الميت: قبراً: دفنه، وأقبر فلاناً: جعل له قبراً.

والقبر أيضاً المكان يدفن فيه الميت وجمعه قبور، وهناك من المفسرين ومن العلماء

(١) المصدر السابق.

الذين تحدثوا عن المقابر والقبور وارتباطهما بنهاية حياة الإنسان، ومن هؤلاء الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى الذى أكد أن حياة القبر تأتى بعد ساعة الإحتضار ثم تنتهى هذه المرحلة بالبعث.

ويضيف: أننا حين ندقق النظر لأدركنا أن هذه المرحلة أو هذه الفترة وجيزة ولا تقاس بما يتبعها من حياة ما بعد النشور.

معنى ذلك أن الإنسان فى القبر مجرد زائر وليس مقيماً دائماً، وما دام زائراً وليس مقيماً، فإن الزيارة مهما طالت سيأتى لها وقت وتزول، وهى زيارة ستنتهى بيوم الحشر. (١)

ومن هولاء أيضاً الدكتور أحمد شوقى إبراهيم الذى أكد فيما كتبه: أن بعض الناس يزورون القبورلاعتقاد لديهم بأن الموتى قد سكنوا تلك القبور وأقاموا فيها حتى يوم القيامة بعد ملايين السنين، وهذا فى رأينا ليس صحيحاً، فالذى فى القبور تراب أجساد الموتى فقط، أما هم أنفسهم فقد عادوا إلى ربهم، إما فى جنة وإما فى نار، ولكن كيف ذلك ويوم القيامة والحساب لم يأت بعد؟

نقول أن كلمة "لم يأت بعد" تدل على أن وقتها لم يحن بعد، وأن زمانها لا يزال بعيداً، وهذا غير صحيح، فالآخرة لا زمن فيها، ولو كان الزمن يجرى فيها ما كان لحياة الآخرة خلود، وما كانت حياة حقة، بل كانت الحياة الدنيا يعيش الإنسان فيها لحظات تجرى به ويجرى بها.

وأضاف : أن يوم القيامة لم يأت بعد، أو أن يوم القيامة سيكون بعد ملايين السنين، كل هذا ليس صحيحاً، لأنه لا زمن فى الحياة الآخرة.

ويؤكد فى السياق نفسه: أن الإنسان لا يرقد فى القبر ويوارى الثرى، وإنما يحدث ذلك لجسمه المادى فقط أما هو فينطلق راجعاً إلى رب العالمين. (٢)

---

(١) الحياة والموت- مصدر سابق.

(٢) فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم - مصدر سابق.

** المرقد: مكان آخر فى رحلة النهاية:

ما زالنا فى رحاب الحديث عن الأماكن التى تشهد دوماً رحيل الإنسان وانتقاله إليها، انتظاراً للبعث، والحديث هذه المرة يقترب كثيراً من أحد هذه الأماكن المشهورة ألا وهو المرقد .. الذى هو فى تصورنا يختلف كثيراً فى توصيفه عن غيره من الأماكن التى تحدثنا عنها من قبل وارتبطت كذلك بنهاية الإنسان، ذلك لأن المرقد يعنى وفق هذا التصور الخاص كل مكان ذاب فيه جسد الإنسان وتحول إلى لا شىء، فقد يكون هذا المرقد تحت سطح الماء أو فوق الجبال أو داخل الصحراء وبالتالى فليس شرطاً أن يكون المرقد قبراً أو مقبرة نقيمها لدفن موتانا.

واختلاف آخر يؤكد ما ذهبنا إليه وهو أن هذا المرقد قد ارتبط فى القرآن الكريم بالكافرين فقط من الذين حين خرجوا منه ليوم الحساب ظلوا يتساءلون عمن أخرجهم من مرقدهم هذا، ولقد ظنوا وأباؤهم بأنهم لن يُبعثوا مرة أخرى، وبالتالى لن يخرجوا من مراقدهم التى احتوت أجسادهم بعد خروج الروح من هذه الأجساد.

ومن عجيب ما جاء بشأن المراقد كأماكن مشهورة فى كتاب الله ولها ارتباط بنهاية الإنسان، أن هناك آية واحدة فقط هى التى حدثتنا عن تلك المراقد.

ولسوف نلاحظ ارتباطها كذلك بالمشركين والكافرين الذين ظنوا أن لن يبعثوا مرة أخرى.

ففى سورة يس الآية (٥٢) يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ وقد جاءت هذه الآية فى سياق حديث القرآن الكريم عن المشركين الذين ينكرون قيام الساعة ويستبعدون حدوثها.

وجاء القرآن الكريم ليؤكد لهم عدم صحة زعمهم هذا واعتقادهم المريض، مؤكدا فى السياق نفسه على أن ما وقع لهم جاء بناء على وعد الرحمن وتصديق الرسل.

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوى أنه ربما الملائكة أو المؤمنين هم الذين قاموا بالرد على هؤلاء الكافرين الذين تساءلوا عمن أخرجهم من مراقدهم؟! أو ربما

يكون لكلام الكفرة فى رد بعضهم على بعض على سبيل الحسرة واليأس.. أما ابن كثير فيقول فى تفسيره لهذه الآية: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ يعنون قبورهم التى كانوا يعتقدون فى الدنيا أنهم لن يبعثوا منها، فلما عاينوا ما كذبوه فى محشرهم: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾، وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده فى الشدة كالرقاد.

أمام الطبرى فقد فسر لنا المرقد بمعنى المنام !، وقال فى تفسيره لهذه الآية: قال المشركون: يا ويلنا من أيقظنا من منامنا، وتفسير الجلالين قد أشار أيضاً إلى أن المرقد ما هو إلا المنام.ويبدو ذلك فى قول صاحب الجلالين: وقالوا أى الكفار منهم «يا» للتنبيه.. «ويلنا» هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه. «من يعثنا من مرقدنا» لأنهم كانوا بين النفختين نائمين ولم يعذبوا.

ويبدو أن هؤلاء المفسرين قد ركنوا فى تفسيرهم لكلمة مرقدنا إلى أصل الكلمة والمرتبطة بالرقود.. أى الجلوس أو النوم.. من فعل رقد يرقد.

ولكن وبطبيعة الحال هذا ظاهر المعنى، أما ما يقصده ربنا تعالى وفق ما توصلنا إليه هو قبور بعينها وقد دفن بها الكافرون أو ماتوا ودخلوا إلى باطن الأرض بدون أن يدفنوا، المهم أنهم ليسوا فى مقابر خاصة بهم أو بأهليهم.

والتاريخ قد حكى لنا قصة المقبرة الجماعية لكفار قريش من الذين ماتوا وقتلوا فى معركة بدر الكبرى، وقد جمع أهليهم أشلاءهم الممزقة ودفنوها فى مقبرة جماعية.

هؤلاء بعينهم وغيرهم من الكافرين من قريش ومن غيرهم من كفارأيامنا هذه، ومن سيموت على غير دين الإسلام فيما بعد، سوف يفاجئون بيوم البعث والحساب، وعندما يبعثهم الله يأخذون فى التساؤل عمن بعثهم من مرقدهم!!

ولسوف ترد عليهم الملائكة والمؤمنون بأن ذلك وعد الله، وما أنبأهم به المرسلون من قبل، ولكنهم هم كذبوه، وبالتالى بات مصيرهم معروفاً حيث يسحبون إلى جهنم زمراً، بعد ما تخلصت منهم مراقدهم التى مكثوا بها طويلاً.

هذه المراقد التى ظلت على مدى سنوات طويلة تئن من وجودهم بداخلها، لأنها

تعلم ما قدمته أيديهم من أعمال وما لصق بأذهانهم وبقلوبهم من معتقدات أدت بهم إلى الكفر بالله وبوحدانيته، مما حاد بهم عن الطريق المستقيم، وجعل نهايتهم فى نار جهنم وبئس المصير.

** البرزخ..قبل الموت وبعد الموت:

حين رجعنا إلى كتاب الله العزيز لنتعرف من خلال آياته الكريمة وسوره الشريفة على الأماكن المشهورة خاصة التى ترتبط بأصحاب القبور فى هذا الكتاب العظيم استوقفتنا كلمة البرزخ كمكان، عرفنا له معنيين الأول فى الحياة الدنيا والثانى من بعد الموت!!، وبالتالى عرفنا ارتباطه كذلك بقصتين إحداهما فى الدنيا والأخرى من بعد الوفاة.

ولكى نوضح ذلك أكثر تعالوا نستعوض سوياً ما جاء بشأن هذه الكلمة فى القرآن الكريم باعتبارها مكاناً مشهوراً فى كتاب الله العزيز. أما فيما يخص ما بعد الموت فقد أخبرنا القاموس بأن كلمة برزخ تعنى ما بين الحياة والموت وفق ما جاء فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الآية (١٠٠) أما فيما يخص شأنها بالنسبة للدنيا فقد أخبرنا نفس القاموس بأن البرزخ معناه حاجز بين شيئين ، وجاء ذكره بهذا المعنى فى سورتين الأولى سورة الرحمن وفى قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الآية (٢٠) من نفس السورة الكريمة، وفى قوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الآية (٥٣).

ولقد حدثنا إمام الدعاة محمد متولى الشعراوى عن معنى البرزخ كمكان مشهور فى كتاب الله فيما يخص ارتباطه بمرحلة ما بعد الموت فقال عن ذلك: إن البرزخ هو ذلك الفاصل بين الأحياء والأموات، بحيث لا يمكن لإنسان مات أن يعود إلى الحياة الدنيا مرة أخرى.. حتى أن الشهداء عندما رأوا ما أعده الله لهم من النعيم العظيم طلبوا منه تعالى أن يعودوا إلى الحياة ليخبروا إخوانهم بما رأوا، فقال لهم سبحانه: لقد كتبت عليكم أن من يخرج منها لا يعود إليها، وأخذ سبحانه على نفسه مهمة

إبلاغ المؤمنين بفضل الشهادة ومنزلة الشهداء. [١]

ليس هذا فقط، بل لقد تحدث مولانا الإمام عن حياة البرزخ هذه والمعنى بها حياة القبور إذ ما جاز هذا التعبير مؤكداً على أنه فى داخل هذا البرزخ تختلف القوانين لأنه لا زمن يترك بصماته على الناس لأنهم يعيشون خارج هذا الزمن، وهو يتساءل فى سياق هذا الحديث. وهل يوجد عذاب لأصحاب القبور أو الموجودون فى البرزخ، والجواب. أنه لا عذاب إلا بعد الحساب، وإن كان الإنسان وهو فى قبره أو برزخه يرى مقعده من النار ومقعده من الجنة!! [٢]

أما فيما يخص حديث برزخ الدنيا والذى عرفه القاموس بأنه حاجز بين شيئين.. فإننا نؤكد هنا أن هذا الحاجز من إعجاز الخالق سبحانه وتعالى، وذلك لأننا شاهدناه وعرفناه حتى فى بلادنا.. هذه الأماكن التى تختلط فيها مياه البحر المالح بمياه النهر العذب، وأنت تستطيع أن تفرق بينهما فى لحظات رغم أنك قد تظن أنهما سوف يختلطان.

هذا الحاجز إنما هو حاجز وهمى لا نراه، ولكننا نشاهد آثاره. وقد يكون معنى البرزخ هنا أيضاً السد الترابى الذى خلقه رب العالمين كى يكون بالفعل حاجزاً قوياً بين هذين البحرين.. أو بين البحر والنهر.

وربما يتطرق الحديث عن هذا البرزخ إلى ما نسميه الآن باسم الجزر الموجودة داخل الأنهار أو داخل البحار، هذه الجزر التى تعتبر من أعظم الحواجز التى خلقها رب العالمين، ليس لحجز المياه وحتى لا تختلط ببعضها ، بل هو حاجز ترابى أو صخرى من أجل حماية الشواطئ والناس من الذين يعيشون فوقها من خطر الغرق!!

هذا البرزخ نراه أيضاً قد لعب دوراً مهماً فى إنشاء الموانى والمصدات وقرى الصيد وكل السواحل التى نشاهدها أمامنا سواء فوق الخرائط أو فى أرض الواقع،

(١) الحياة والموت - محمد متولى الشعراوى.

(٢) المصدر السابق.

وهو كذلك سوف يكون أحد مؤشرات خراب هذه الدنيا وقرب نهايتها، وذلك حين يذوب هذا البرزخ وبالتالى تختلط المياة المالحة بالعذبة وترتفع المياة فوق اليابس فيحدث ذلك الغرق، ويعود الطوفان، وتلك هى النهاية التى ربما قدرها رب العالمين لهذا الكوكب الذى نعيش فوقه، بل ونهاية لكل الكون المحيط بنا.

** الأعراف.. ما بين الجنة والنار:

ونتوقف أخيراً أمام أو خلف أخر الأماكن المرتبطة برحيل بنى آدم من قبل البعث والحساب، وهو ما أخبرنا به ربنا تعالى فى كتابه العزيز وما سمى بالأعراف.

هذا المكان الذى ينتظر فيه صنف من البشر من الذين تساوت أعمالهم بين الخير والشر، وأصبحوا فى حيرة من أمرهم - مع تساؤلهم الدائم: أهم من أصحاب الجنة أم من أصحاب النار؟؟.

والأعراف وفق ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم معناها: الحاجز بين الجنة والنار.وهناك من المفسرين الذين قالوا إن هذا الحاجز هو بعينه السد بين الجنة والنار والذى يقف خلفه الناس انتظاراً لمعرفة مصيرهم.

ولقد أخبرنا ربنا تعالى عن الأعراف فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ الآية (٤٦) فى سورة الأعراف، وفى قوله تعالى أيضاً: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ الآية (٤٨) فى سورة الأعراف أيضاً.

وهناك كلام كثير ومتنوع ومختلف لدى العلماء والمفسرين عن الأعراف وموضعه وأهميته. فالإمام النسفى يقول فى تفسيره لهذه الآية: أنه يوجد بين الجنة والنار أو بين الفريقين بالدار الآخرة حجاب وهو السور المذكور فى قوله تعالى : «فضرب بينهم بسور» وعلى الأعراف : أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار، وهى أعاليه، وجمع عُرف أعراف، وقد أستُعير من عرف الفرس وعرف الديك، رجال من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولاً إلى الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه.

إذن الأعـراف وفق هذا الرأى: هو ذلك المكان الذى يقـيم فـيه الإنسـان من بعـد رحيله بجسده منتظراً يوم الحساب ونزول رحمة الله تعالى التى سوف تدركه من أجل أن يدخل الجنة ولا يدخل النار.

أما الإمام الطبرى فى تفسيره فيقول: إن بين الجنة والنار حجاب أى حاجز وسور، هذا السـور هو المذكـور فى قـوله تعالـى: ﴿فضـرب بينهم بسـور له باب باطنـة فيـه الرحمـة وظاهره من قبله العـذاب﴾ وهو المسمى بالأعـراف، لأنه مرتفع عن الأرض كعرف الديك.

وفى هذه الأعراف يوجـد رجال يعـرفون أهل الجنة. وقيـل إن هؤلاء الرجال من الملائكة، والصحـيح أنهم من البشر، وهم قـوم استوت حسناتهم وسـيئاتهم فوقـفوا على السور حـتى يقضى الله بينهم، هؤلاء الرجال يعـرفون أهل الجنة بعلامـاتهم مثل بياض وجوههم، وأهل النار بسواد الوجوه.

ليس هذا فقط، بل لقد صور لنا ربنا الكريم حـالة أصحاب الأعراف الذين يرون أصحـاب الجنة وأصحـاب النار وهم يتوقـون لأن يكونوا من أصحـاب هذه الجنة لما يرون فيها من نعـيم مقيم. ويخشون من النار لما يرون فيهـا من عذاب مقيـم، وهـم بين الحين والحين يلتفتـون إلى هؤلاء وأولئك، بل وكثيراً ما ينادون عليهم وفـق ما أخبرنا به كتاب الله العزيز، الذى صور لنا هذا المشهد تصويراً رائعاً وعظيماً.. فقال الله تعالى «ونادوا أصـحاب الجنـة أن سلام عليكم» أى سـلمتم من عـقـاب الله الأليم وهم لم يدخلوا الجنة بعـد وفق قوله تعالى: «لم يدخلوها وهـم يطمعون» أى وهم يطمـعون فى دخولها.

وفى المقابل: «وإذا صرفت أبصارهم تلقـاء أصحاب النار». إذا ما نظروا إلى أهل النار وعرفوهـم..«قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الطاغين» أى لا تجعلنا مع الذين ظلـموا أنفسهم فاستحقوا دخول النار.

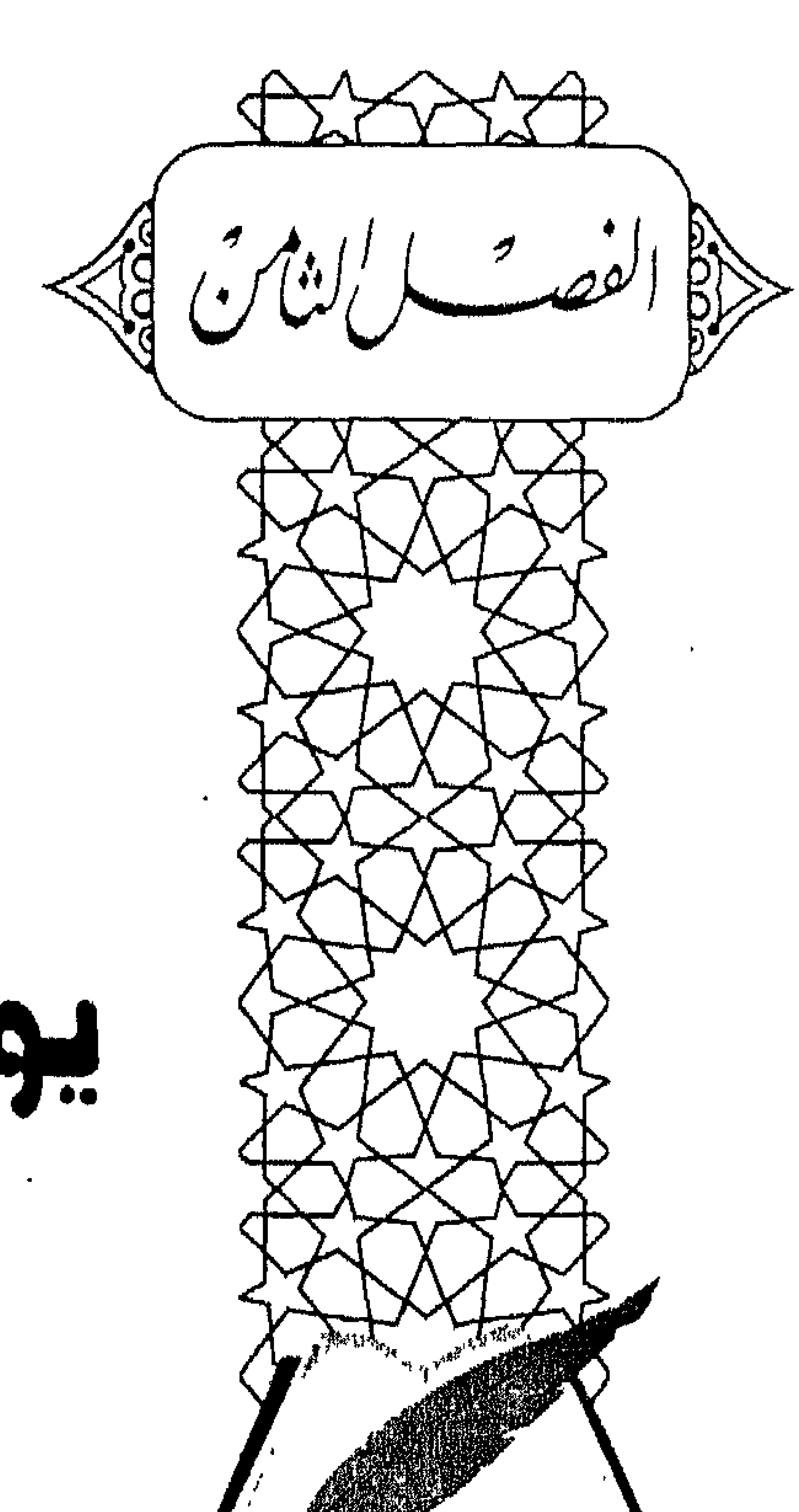
بل وأكثر من ذلك فـإن أصحاب الأعراف ينادون بعض الرجـال الذين يعرفونهم من أشكالهم وهم فى نار جهنم ويقولون لهم ماذا نفعكـم ما كنتم تجمعونه من أموال

فى الدنيا وما كنتم ترتكبونه من معاصٍ وذنوب.[1]

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق: وهل أصحاب الأعراف هم أحسن حَظاً من غيرهم سواء من أصحاب الجنة أم النار؟! إننا نقول لا.. والله فإن حالهم صعب للغاية، إذ هم يتقلبون فى أمانيهم بين جنة ونار، لأنهم يرون أصحاب كل منهما، وهم فى قرارة أنفسهم يتمنون نعيم جنات الله تعالى.. بعدما يتدخل ربنا برحمته وعظمته ويمن عليهم ويأمر بأن يدخلوا الجنة مع أصحابها أو مع أصحابهم الذين كانوا يرونهم من قبل وهم فى الأعراف محتجزون.

---

(١) مختصر تفسير الطبرى - المجلد الأول.



الجنة والنار..
يوم البعث والحساب

الفصل الثامن

الجنة والنار.. يوم البعث والحساب

كنا قد بدأنا معكم رحلة الحديث عن الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم ببيان هذه الأماكن التى ارتبطت بتجمعات البشر فوق سطح الكرة الأرضية سواء فى المدن أو القرى، أو البلاد شرقًا وغربًا، كما بينا كذلك ما جاء بشأنها فى القرآن الكريم، ثم تطرقنا على نفس الدرب إلى حديث آخر عن أماكن العبادة التى جاء ذكرها فى كتاب الله، وأخذنا فى المسير قدمًا نحو استكمال بيان هذه الأماكن مروراً بما ارتبط بالإنسان، نفسه ومافى جسده من أماكن تدل على عظمة الخالق. وكذلك ما ارتبط بأماكن إقامته سواء داخل الخيام أو القصور أو الحصون.

ليس ذلك فقط، بل لقد قادنا المسير كذلك إلى بيان الأماكن المشهورة التى ارتبطت بنهاية حياة الانسان، حيث القبور والأحداث والبرزخ والأعراف...

وبقى لنا من حديث هذا المشوار الطويل أن نحدثكم كذلك عن الاماكن المشهورة في كتاب الله والتى جاء ذكرها مرتبطاً بأماكن ما بعد الحساب ويوم القيامة.

ولقد رأينا ضرورة إتمام هذه الخطوة من أجل تغطية كافة الأماكن التى جاء ذكرها فى كتاب الله والتى مست من قريب أو بعيد حياة البشر سواء وهم أحياء أو حتى من بعد موتهم أو من بعد حسابهم يوم القيامة.

ولا شك أن الحديث القادم سوف يكون مفعم بالآلام والآمال في آن واحد، هذه الآمال التى نحملها داخل قلوبنا من أجل أن نصل من خلالها إلى جنات الله ونعيمه، مادمنا قد عملنا صالحاً ، هذه الأعمال الصالحة ليست وحدها هى سبيلنا لنيل هذه المنزلة العالية. بل لا بد كذلك من رحمة الله تعالى..

وهناك أصناف من البشر من الذين حملوا فوق أكتافهم أوزارهم كى يدخلوا بها

إلى جهنم، وهم كذلك يطمعون، فى رحمة الله وعدله أن يخفف عنهم هذا العذاب ويبدله بجنات ونعيم!!.

إذن الكلام القادم والمرتبط بأوراق هذا الفصل يدور فى فلك الأماكن التى سوف ندخل إليها بعد حساب يسير أو عسير. إما جنات ونعيم وإما نار وجهنم وجحيم.

ومما لاحظناه فى كتاب الله، أن للجنة أسماء كثيرة كما أن لها كذلك تقسيمات ومراتب ومراحل، ولكل منها صفات أنبأنا بها ربنا تعالى فى كتابه العزيز.

وكذلك وجدنا أيضاً أن للنار درجات، ومع ذلك فقد فضلنا أن نتناول كل على حده وفق ما أخبرنا به. كتاب الله العزيز فى سوره وآياته، الكريمة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة، فهناك الجنة والفردوس والصراط المستقيم ودار السلام وسدرة المنتهى وجنات عدن، وهناك النار وجهنم والجحيم والحافرة والحطمة والدرك الأسفل ودار الفاسقين وسقر والسعير والساهرة.

ويبدو لنا جلياً بأن هناك فروق جوهرية بين كل من هذه الأماكن سواء ما ارتبط منها بالجنة أو بالنار، وهذا ما سوف نوضحه وبشكل مفصل حين نتناول هذه الأماكن مكاناً بمكان، على أمل أن نكون بهذه الخطوة قد وفينا ما وعدنا به فى المقدمة من بيان كل أو معظم الأماكن المشهورة فى كتاب الله على تنوعها واختلافها.

وربما يطول بنا العمر كى نقدم على هذا الطريق الجزء الثانى من هذا الكتاب والذى سوف نخصصه للشخصيات المشهورة فى القرآن الكريم، فتعالوا إلى التفاصيل.

** الجنة.. التى وعُد بها المتقون:

حين نتحدث عن الجنة كمكان مشهور ذكره الله فى آياته وسوره الكريمة. فإننا نعنى بذلك تلك الجنة التى وعُد بها المتقون من الذين حالفهم الحظ وشهدت لهم أعمالهم الطيبة وفق ما جاء فى ميزان حسناتهم بأنهم يستحقون دخولها من بعد رحمة الله وعنايته. ذلك لأن القرآن الكريم وكما سوف يمر علينا بعد لحظات قد ذكر

لنا العديد من الجنات وأنواعها، خاصة ما كـان منها فى دنيانا التي نعيشها أو التى كنا قد عشناها من قبل.

ومن أجل أن نوضح حديثنا المقصود فى هذه الفقرة نقول إن الجنة التى هى محور الحديث القادم إنما هى الجنة التى قال عنها رسولنا الكريم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن رحمـة الله على عباده أن أشار لنا فى بـعض آيات كتابه العزيز إلى مـا سوف يراه هؤلاء المتقون فى تلك الجنة الموعودة، وهى مجرد صفات ليس إلا!!..

ولقد اختار ربنا العظيم فيما حدثنا فـيه عن هذه الجنة، بعض الصفات التى نعرفها حـولنا، أو مما نراه أو نشتـاق إليه، وذلك كـما يقـول بعض المفـسرين والعلمـاء على سبيل التقريب، وليس على سبيل التـقرير. بدليل قول رسولنا الكريم السابق بشأن ما سوف يكون بهذه الجنة الموعودة.

إن الجنة المقصودة فى حـديث هذه الأوراق باعتبارها مكان مشهـور فى كتاب الله هى الجنة التـى جـاء ذكـرها فى ســورة آل عـمـران الآية (١٣٣) فى قـولـه تعـالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾

إذن ووفق كلمـات الآية السـابقة..سـوف يخلق الله لعـبادة المتـقين جنة عـرضهـا السموات والأرض.هذه الجنة ذاتهـا قد جعل الله تعالى بها مـراتب ودرجات وأماكن خاصة بعينها، سوف يفوز بها أصحابها وفق ما شاء الله تعالى.

ومن أجل أن يقرب ربنا إلى عـقولنا ما سـوف نرى شبيهـاً له من النعم والمنح فى هذه الجنة، ساق لنا فى بعض الآيات والسـور الكريمة نماذج لها مما نعرفه ونـلمسه فى حياتنا الدنيا، مع الفارق الذى أشار إليه رسولنا الكريم وحدثناكم عنه منذ لحظات.

يقـول ربنا تعالى عـما سـوف نستـمـتع به فى الجنة فى سورة الرعـد الآيه (٣٥) ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ وفى قوله تعـالى فى سورة يس الآيه (٥٥) ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وفى سورة محمد الآية (١٥) ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾.

وهكذا يضرب لنا الله الأمثال من أجل أن نتصور ونتخيل أحوال هؤلاء المؤمنين الذين فازوا بالجنة العظيمة، وذلك لأجل تحفيزنا على فعل الخيرات والتسابق نحو التقوى والإيمان.

وعندما نقف على مقربة من حروف آيات الله وسوره الكريمة ومما جاء بشأن هذه الجنة، سوف نكتشف أن ما جاء عنها لفظا فى كتاب الله إنما هو محصور فى ٣٨ سورة كريمة وأكثر من ٦٥ آية كريمة. وأن ما جاء فى القرآن الكريم عن الجنة ليس كله مرتبطاً بالجنة التى وعد بها المتقون، بل هناك جنان أخرى لنا فى الدنيا.

ولقد لاحظنا أن لفظ الجنة يتكرر أكثر من مرة فى عدة سوركريمة مثلما جاء فى سورة البقرة حيث ذكرها ربنا سبع مرات فى سبع آيات كريمة. وكذلك فى سورة الأعراف التى جاء بها ذكر الجنة عشر مرات فى عشر آيات.

وبالعودة إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمعرفة المزيد عن الجنة بألفاظها المختلفة، وجدنا أن الله تعالى قد ذكرها لنا فى صيغ لفظية متعددة منها لفظ "جنتك" في سورة الكهف فى الآيتين (٣٩) و(٤٠)، ولفظ "جنته" فى الكهف أيضاً الآية (٣٥) "وجنتى" الآية (٣٠) فى سورة الفجر، ولفظ "جنتان" فى سورة سبأ الآية (١٥) والرحمن (٤٦) و (٦٢).

ولفظ "جنتين" فى سورة الكهف الآيتين (٣٢) و (٣٣) وسبأ (١٦) و (٥٤) الرحمن، وكذلك لفظ "جنتيهم" فى سورة سبأ الآية (١٦).

ومن عجيب ما جاء في كتاب الله أيضا عن لفظ الجنة أنه جاء مجموعاً على جنات فى أكثر من سورة كريمة، مثل قوله تعالى فى سورة البقرة الآية (٢٥): ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾وهذا يدل دلالة واضحة على ما سبق وحدثناكم عنه بأن هذه الجنة التى عرضها السموات والأرض بها جنات عدة من حيث المراتب والمنازل التى تليق بكل صاحب عمل أو رسالة وفقه الله وفاز بها بعد يوم الحساب. والله سبحانه وتعالى يؤكد ذلك أيضا في الآية (١٥) في سورة آل عمران وفى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾

وعند إقدامنا على إحصاء عدد الآيات والسور الكريمة التي جاء بها ذكر اللفظ "الجنات"...وجدنا أنها تبلغ ما يقرب من سبعين آية في أكثر من ٤٥ سورة كريمة، وكذلك حين وقفنا على معاني حروف وكلمات هذه الآيات اكتشفنا أنها جميعا تخبرنا بما اختاره رب العالمين لعباده المتقين من ألوان النعيم في هذه الجنات.

وكأنما جاءت جميعها لتكمل لنا ما أخبرنا به ربنا الكريم عن صفات الجنة التي وُعد بها المتقون، ليس هذا فقط بل وتخبرنا هذه الآيات أيضاً بأسماء بعض هذه الجنان مثل جنات النعيم في قوله تعالى في سورة المائدة آية (٦٥) ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وما جاء بشأنها في سورة يونس الآية (٩) والشعراء الآية (١٤٧) ولقمان الآية (٨) والصافات الآية (٤٣) والواقعة الآية (١٢) و (٣٤) القلم، وكذلك جنات الفردوس في الآية (١٠٧) في سورة الكهف، ثم جنات عدن في سور: التوبة (٧٢) والنحل (٣١) والكهف (٣١) و(٦١) مريم و (٧٦) طه و(٣٣) فاطر و(٨) غافر و(١٢) الصف و(٨) البينة و(٢٣) الرعد. ثم لفظ جنات المأوى في سورة السجدة الآية (١٩).

من كل ما مر علينا نكتشف أن كتاب الله قد حدثنا عن الجنة بلفظها المفرد باعتبار مساحتها تساوي مساحة السموات والأرض، ثم بعد ذلك أخبرنا ببعض أفرع هذه الجنة مثل جنة النعيم وعدن والفردوس والمأوى، وكلها كما ذكرنا إما فروعاً للجنة الأم أو مراتب ودرجات ينزلها كل صاحب حظوة عند الله، من خلال ما قدم من أعمال طيبة.

ويجوز كذلك أنها درجات خاصة بشخصيات بعينها مثل الرسل و أولياء الله الصالحين والأمهات والشهداء وغيرهم.

ومما لاحظناه كذلك في هذه الجنات أن الله تعالى قد ذكر لنا فيما يخص محتواها: الأنهار والعيون التي تجري من تحتها ثم المساكن الطيبة وبعض أنواع الفاكهة والحلي، إضافة إلى بعض الشخصيات المتميزة والتي سوف تحظى بهذا الشرف العظيم والفوز به، كما لاحظنا كذلك أن الله تعالى وفي كتابه الكريم قد أطلق على هذه الجنة،

أسماء أخرى مثل "دار المتقين" فى الآية (٣٠) فى النحل و"دار السلام" فى سورتى الأنعام (١٢٧) ويونس (٢٥). و"دار المقامة" فى سورة فاطر الآية (٣٥) و"دار القرار" في الآية (٣٩) فى سورة غافر.

** الصراط المستقيم.. أولى منازل الجنة:

كذلك ومن الأماكن المشهورة والتى جاء ذكرها كثيراً فى كتاب الله.. الصراط المستقيم. الذى هو المعبر الآمن إلى جنة الله فى الآخرة. ولقد تبارى العديد من المفسرين ومن علماء الدين فى تصوير هذا المكان والحديث عن أهميته، خاصة فيما جاء بشأنه ومرتبطاً بالآخرة، وقالوا فى هذا: إنه الطريق الآمن الموصل لجنات الله تعالى ولا يعبره إلا المتقين الذين رضى الله عنهم لأعمالهم الصالحة. كما شمل حديثهم كذلك بيان أهمية وقيمة الصراط المستقيم فى الدنيا باعتباره الموصل للصراط المستقيم يوم القيامة... والصراط المستقيم فى الدنيا هو طريق الله والإيمان به وبرسله وكتبه وباليوم الآخر، ثم العمل الصالح.

ولقد حدثنا عبد الله الحسين الدمغانى في كتابه "الوجوه والنظائر" عن الصراط بكثير من التفاصيل، ومما قاله فى هذا السياق: إن الصراط يعنى الطريق وذلك مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الآية (٨٦). وكقوله تعالى فى سورة الصافات: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الآية (٢٣) بمعنى طريق الجحيم.

أما الوجه الثانى لمعنى الصراط فهو الدين، مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الآية (٦) يعنى الدين االقويم، وقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ الآية (١٥٣). أو فى قوله تعالى:﴿هذا صراط ربك﴾ يعنى دين ربك المستقيم. (١)

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم جاءت كلمة "الصراط" بمعنى الطريق. وذلك فى عدة سور وآيات هى: البقرة (١٤٢) و(٥١) و(١٠١) فى آل عمران و(١٦) المائدة

(١) الوجوه والنظائر ـ مصدر سابق.

و(٣٩) و(٨٧) و(١٦١) الأنعام و(٨٦) الأعراف و(٢٥) يونس و(٥٦) هود و(٤١) الحجر و(٧٦) و(١٢١) النحل و(٣٦) مريم و(٥٤) الحج و(٧٣) المؤمنون و(٤٦) النور و(٤) و(٦١) و(٦٦) يس و(٥٢) الشورى و(٤٣) و(٦١) و(٦٤) الزخرف و(٢٢) الملك.

كما جاء نفس اللفظ كمكان مشهور فى كتاب الله "صراطاً" فى سورة النساء الآية (٦٨) واللفظ فى (١٧٥) النساء أيضا و(٤٣) مريم و(٢) و(٢٠) الفتح.، كما جاء مرتبطاً بأداة التعريف الألف واللام "الصراط" فى سورة الفاتحة الآية (٦) واللفظ فى (١٣٥) طه و(٧٤) المؤمنون، و(١٨) الصافات و(٢٢) ص، ثم إضيف إلى نفس اللفظ كلمة الله فأصبح "صراط الله" أى دينه القويم وهو الإسلام في سورة الشورى الآية (٥٣)، ولفظ "صراط الحميد" أى الإسلام فى سورة الحج الآية (٢٤) ولفظ "صراط ربك" بمعنى الإسلام أيضا..فى سورة الأنعام (١٢٦)، ولفظ "صراطك" أى طريقك فى سورة الأعراف الآية (١٦). ولفظ "صراطى" في سورة الانعام الآيه (١٥٣).

وفى إحصاء سريع لمعرفة ما قيل بشأنً الصراط المرتبط بالدنيا والمرتبط بالآخرة أيضا وما جاء بشأنهما فى القرآن الكريم نكتشف من خلاله أن الله تعالى قد ذكر الصراط المرتبط بالدنيا فى سور البقرة فى الآيتين (١٤٢) و(٢١٣) وفى آل عمران الآية (٥١) و(١٠١) والمائدة (١٦) و(٣٩) الأنعام (٨٧)أيضا من نفس السورة.

أما ما ارتبط بالآخرة فقد جاء لفظ الصراط فى سورة الفاتحة الآية (٦) و(٧). و(١٢١) النحل و(٥٢) الشورى و(٢٢) الملك.

وهناك ملحوظة مهمة كان لا بد من الإشارة إليها فى هذا السياق وهى أن الله تعالى وبحكمته قد مزج فيما جاء ذكره بشأن الصراط ما بين الدنيا والآخرة باعتبارهما طريقًا واحداً يوصل إلى بر الأمان والفوز بالجنة ونعيمها، ولكن ومع ذلك فنحن نؤكد أن الصراط المستقيم فى الآخرة هو أشد إختباراً من الصراط االمستقيم فى الدنيا لأنه يعتبر الممر الآمن الأخير للانسان للفوز برضوان الله ونعمه المتعددة فى

جنات النعيم. مما حدى ببعض العلماء إلى تصـوير هذا الصراط بكونه كحد السيف، وأقل من حجم شعرة فروة الرأس.

ويبدو أنهم قد لجأوا لمثل هذه الألفاظ من أجل أن يوضـحوا لنا أهميه العبور على الصراط، وضرورة التمسك أيضاً بالأعمال الصالحات التي تساهم وتساعد في المرور فوقه بأمان وبلا أضرار أو أعطال !

وبالتالى سـيكون لأصحـاب السعادة والحظوة أول درجـات السيـر فى اتجاه الجنة الموعودة.

** سدرة المنتهى.. المقام الرفيع:

وكذلك من الأمـاكن المشهورة فى كـتاب الله والتى لم يكن يعرف عنهـا أحد من البشر أية معلومات إلا من خلال القرآن الكريم وبالذات فى سورة النجم الآية (١٤) هو لفظ "سدرة المنتهى".

هذه الآيه التى جـاء ذكرها بمناسـبة تلك الرحلة المبـاركة التى أخُـذ إليها رسـولنا الكريم ﷺ ومعه الملك جبريل عليه السلام والمعروفة برحلة المعراج.

وسدرة المنتهى معنـاها فى بعض التفاسير: شجرة نبق مـوجدة عند يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة أو من غيرهم، ولقـد كرم ربنا تعالى رسولنا الكريم عندما زارها فى رحلتـه إلى السمـوات العـلا، كمـا جاء ذكـرها فى نفس السـورة فى الآية (١١٦) فى قوله تعالى "يغشى السدرة ما يغشى".

والملاحظ أنك حين تقـرأ هاتين الآيتين سـوف تكتشـف أن الله تعالى قـد ربط بين السدرة وبين جنة المأوى وهى إحدى أفرع الجنة الكبرى.

هذه الجنة وكما يقول تفسير الجـلالين إنها جنة المأوى التى لا يقيم فيها إلا الملائكة وأرواح الشهـداء والمتقين، ويبدو لنا من ذلك أن هذه السدرة مـا هى إلا مكان خاص جـداً لا يرتاده أى مـنا إلا بأمـر من العلى الـعظيم، وقـد شـرف الله رسـولنا الكريم بزيارتها من دون جـبريل عليه السـلام، الذى توقف عند مقام حـدده له رب العالمين،

وبالتالى لم يتقدم إليها.. فى حين تقدم لزيارتها النبى الكريم وفق ما أخبرنا به رسولنا فى حديثه عن رحلة المعراج.

أما الإمام الطبرى فيقول عن سدرة المنتهى: "أن رسولنا الكريم قد رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى على صورته الحقيقية.، وقد اختلف بعض المفسرين اختلافاً كبيراً فيمن رآه محمدﷺ، فى هذا المكان.. أهو جبريل أم هو رب العزة سبحانه؟ وقد ذهب كل من ابن عباس وعكرمة إلى أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج بعين رأسه وكان ابن عباس يقول: "إن الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمد بالرؤية».. فى حين أنكرت ذلك عائشة حيث قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله لأن الله تعالى يقول: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"، وكانت تقول: إنما رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين: مرة فى الأرض حين هبط من السماء وقد سد عظم خلقه ما بين السموات والأرض، ومرة عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح.

ويؤكد معظم المفسرين ومنهم الطبرى أن الآيات الكريمات في سياقها ودلالتها لا تشير إلى رؤية الرسول ﷺ لربه، لأن الحديث فيها إنما جاء عن جبريل، بدليل قوله تعالى" علمه شديد القوى.، وقوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فالضمائر كلها تشير وتدل على أن المراد به جبريل عليه السلام(١).

وقال الطبرى أيضا عن سدرة المنتهى: إنها المكان الذى فيه الشجرة التى ينتهى إليها علم الخلائق، وهى شجرة النبق، ونفس هذا المعنى ذهب إليه الدكتور نبيل عبد السلام هارون فى معجم الوجيز حين قال: سدر: جمع سدرة وهى شجرة النبق، وهو شجر شائك وفى ثمره حلاوة، والسدرة: يراد بها سدرة المنتهى: وهى شجرة بأقصى الجنة (٢).

وعلى نفس هذا النهج سار المعجم الذى أخرجه مجمع اللغة العربية والذى جاء

---

(١) مختصر تفسير اللطبرى - مصدر سابق.
(٢) المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم - د. نبيل عبد السلام هارون.

فيه تحت حرف "س" السدر: شجرة النبق ومفردة سدرة، وسدرة المنتهى: شجرة النبق.

وكذلك الأمام النسفى الذى قال فى تفسيره للآية الخاصة بسدرة المنتهى: أن الجمهور ذهب إلى أنها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء، وكأنها في منتهى الجنة وأخرها، وقيل لم يجاوزه أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها، وقيل هي المكان الذي تنتهى إليه أرواح الشهداء.

ونحن نؤكد فى هذا السياق أن كل ما سبق قوله على لسان هؤلاء المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية أو اللفظية إنما هى مجرد اجتهادات محمودة. وقد أضاءت لنا طريق البحث عن ماهية هذا المكان وموقعه. باعتباره من الأماكن المشهورة فى القرآن الكريم ويرتبط كذلك برحلة سيد الخلق إلى السموات العلى.

وعلى أية حال.. فإننا لو أعدنا قراءة ما جاء بشأن هذا المكان سواء في كتاب الله أو في كتب التفسير سوف تصيبنا قناعة بأن سدرة المنتهى إنما هى ذلك المكان المحفوظ بأمر الله والذي لا يستطيع أحد أن يصل إليه باعتباره قريب من عرش الرحمن، ولا يجرؤ على ارتياده حتى الملائكة المقربون، وقوله تعالى "عند سدرة المنتهى". معناه.. أن هذه السدرة كانت المحطة الأخيرة للقاء كل من نبى الله محمد ﷺ ورسول الله جبريل عليه السلام.

** الأفق الأعلى.. من أسرار رب العالمين:

وفى السماء السابعة أيضا هناك الأفق الأعلى كمكان مشهور قد جاء ذكره في كتاب الله، وهو من الأماكن العظيمة ذات الأهمية الخاصة والتى ارتبطت كذلك برحلة رسولنا الكريم إلى السماء السابعة.

والأفق معناه لغوياً: الناحية، وقد جاء ذكره في سورتين: الأولى سورة النجم الآية (٧) والثانية سورة التكوير الآية(٢٣)، كما جاء بالقرآن الكريم نفس هذا اللفظ فى صيغة الجمع: "الآفاق": أى النواحى وذلك فى سورة فصلت الآية (٥٣).. وفى قوله

تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، ونفس هذا المعنى اللغوى ذهب إليه المعجم الوجيز الذى أكد على أن لفظ الأفق معناه الناحية، وأضاف: وكذلك هو خط دائرة يرى فيه المشاهد السماء كلها ملتقية بالأرض ويبدو متعرجاً على اليابس ومكوناً دائرة كاملة على الماء،وجمعه آفاق.

وبالعودة إلي كل من هاتين السورتين الكريمتين اللتين ذُكر بهما الأفق سواء الأعلى أو المبين اكتشفنا ارتباطهما برؤية رسولنا الكريم جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية، وقد رآه من قبل عندما كان ينزل هذا الملك الأمين إلى الأرض ليعلم رسولنا الوحى والقرآن الكريم، ولكنه فى السماء وفى أثناء رحلة المعراج رآه رسولنا فى صورته الحقيقية عند منعطف الأفق الأعلى أو المبين.

وبذلك لا نجد أية صعوبة في معرفة معنى وموقع ذلك الأفق، وهو مكان بالسماء السابعة ومن قبل أن يترك رسولنا الكريم لاستكمال رحلته إلى الله من دون جبريل لأنه غير مصرح له أن يجتاز هذا الحاجز الإلهى، أو إن شئت فقل فإن هذا الأفق كان هو ذلك المكان الذى كشف فيه جبريل عليه السلام عن شكله الحقيقى وصورته التى خلقها له رب العالمين.

ويؤكد ذلك.. ما ذهب إليه الإمام الطبرى حين قال فى تفسيره لهذه الآية: أن رسولنا الكريم قد رأى جبريل عليه السلام في صورته الملكية من قبل المشرق، وفى موضوع أخر يقول إن رسولنا الكريم قد رأى جبريل على صورته الحقيقية بمطلع الشمس الأعلى.

أما الدكتور أحمد شوقى إبراهيم فقد ذكر لنا أن الأفق المبين وفق ما جاء فى سورة التكوير معناه أقطار السماء ونواحيها. وهو ذلك المكان الذى رأى فيه رسولنا الكريم جبريل عليه السلام فى صورته الحقيقية.

وأضاف أن الله تعالى سماه بالأفق الأعلى أو الأفق المبين، لأن هذا الأفق تطلع منه الشمس من قبل المشرق.!

وابن عباس أورد لنا حديثا شريفاً عن ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام: قال

النبيﷺ لجبريل عليه السلام:" إنى أحب أن أراك في صورتك التى تكون فيها فى السماء. فقال: لن تقدر على ذلك، قال: بلى، فخرج النبيﷺ فإذا هو قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات، وقد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض..

وخلاصة الحديث عن هذا الأفق وكما سبق وأوضحنا أنه ما هو إلا مكان معلوم في السماء السابعة، ظهرت فيه صورة جبريل عليه السلام الحقيقة كما يبدو لغيره من الملائكة التي خلقها الله تعالى.

والمبين هنا أو الأعلى، مقصود به مكان ذات علو ورفعة وقيمة، تناسب مقام الملاك جبريل وضيفه فى السماء رسول اللهﷺ.

ولقد اختار لهما رب العالمين هذا المكان المنير والمضئ بأنوار الله تعالى، من أجل إتمام ذلك التعارف أو إحداث تلك الرؤية التي كان يتمناها رسولنا الكريم. فقد كان يرى الملك جبريل في صورته البشرية، حين كان يأتيه بالوحى ومعلماً إياه آيات القرآن الكريم وكافة المناسك المرتبطة بالعبادات الإسلامية، سواء في الصلاة أو في الحج أو في غير ذلك، ولا شك أن هذا الأفق كان متميزاً بكل صفات الكمال عن غيره من الأماكن العظيمة التى تزخر بها السموات السبع.

** الكوثر: نهر فى الجنة:

ومن الأماكن المشهورة والتى ارتبطت فقط بنبي الله الكريم محمد ﷺ دون غيره: الكوثر، والذى هو وفق الإجماع أعظم أنهار الجنة. وقد وهبه رب العزة لمحمدﷺ وحده دون غيره من عباده سواء من الرسل أو حتى من الملائكة.

ومن سمات هذا التكريم من رب العزة لنبيه الكريم أيضاً، أن أنزل سورة قرآنية شريفة باسم هذا المكان، وهى سورة الكوثر والتى يقول فيها ربنا الكريم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ③﴾.، وهي سورة تحتوي على ثلاث آيات فقط.

بل وقد بلغ هذا التكريم الرباني ذروته لنبيه الكريم لأن الله تعالى قد أنزل هذه السورة لكى ترد على سفهاء قومه من قريش من الذين أضل الشيطان عقولهم، فأرادوا لعنهم الله أن يسخروا من النبى ﷺ. وتقول كتب المفسرين عن ذلك: إن سفيها من قريش، يدعى العاص بن وائل قد أطلق على الرسول الكريم صفة الأبتر، وهو ذلك الإنسان الذى لا عقب له من الأولاد، فنزلت هذه السورة تمسح قلب النبى وتنتقم من هذا السفيه ، وجاء ذلك الانتقام فى شكل استهزاء ظهر جلياً فى وصف القرآن الكريم له بأنه هو الأبتر، ثم وأيضا فى شكل تكريم نبى الله محمد ﷺ بأن وهبه الله هذا الكوثر..

وبخلاف أقوال معظم المفسرين على أن ا لكوثر هو ذلك النهر الخاص برسولنا الكريم والذي لن يشرب منه سواه، يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم: الكوثر: هو الكثير من كل شيء أو المفرط فى الكثرة، وعلى ذلك فإن الكوثر الذى أعطاه ربنا لنبيه الكريم يتمثل فى معان كثيرة منها النبوة فى القرآن، ورفعة شأن هذا النبى وعلو ذكره فى الوجود إلى يوم القيامة، وخلود سنته في كل زمان ومكان، وفى تشريف الله عز وجل له فجعله سيد المرسلين وسيد الأنبياء وسيد البشر.

ويضيف: ونجد الكوثر كذلك فى منح الله تعالى له ثلاثة من أسمائه الحسنى النور والرءوف والرحيم.(١).

ويقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم أيضاً: إن الكوثر هو نهر بالجنة وهو أفضل نهر بها وقد منحه الله عز وجل لرسوله وهو عطاء لم يكن لأحد غيره.

ومن المفسرين الذين ذهبوا أيضاً إلى القول: بأن الكوثر هو نهر بالجنة كل من الإمام الطبرى، والإمام النسفى، معتمدين فى تفسيرهما على ما جاء على لسان ابن مسعود رضى الله عنه وما قاله أيضا ابن عباسٍ رضى الله عنهما. الذى نُقل عنه قوله: إن هذه السورة نزلت فى العاص بن وائل، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم، وتحدثا وأناس من صناديد قريش فى

(١) فتح العليم – مصدر سابق.

المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذى كنت تحدث؟! قال: ذلك الأبتر، يعنى النبى ﷺ، وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة [1].

ولعلنا نضيف إلى ما سبق وذكرناه بشأن الكوثر، أن الله تعالى قد أعطى نبينا الكريم من كل شيء ما هو كثير، وكذلك أعطاه ذلك النهر الذى لن يشرب منه أحد يوم القيامة أو فى الجنة سواه عليه الصلاة والسلام، ذلك لأنه نبى الرحمة، الذى أرسله ربنا للعالمين نذيراً وبشيراً، وهو بذلك يستحق الكوثر وأكثر ما كثر وأكثر.

** جهنم.. مثوى كل العصاة:

كنا قد حدثناكم فى بداية هذا الفصل عن الجنة وما ارتبط بها من أماكن أخرى أعدت للمتقين والأبرار والصادقين والمؤمنين بالله وبكتبه وبرسله وملائكته، ونصل بكم الآن إلى أعتاب جهنم وقانا الله شرها وأبعدنا وإياكم عن نيرانها بُعد السموات والأرض، بما نقدم لأنفسنا من العمل الصالح.

وجهنم هى المقابل اللفظى للجنة، ذلك لأن الله تعالى قد جعل بعد يوم الحساب طريقين إما يسلك أحدنا بأعماله الصالحة وبرحمة من الله تعالى إلى الجنة أو أن يسلك الطريق العكسى حيث جهنم.

ولقد أطلعنا ربنا تعالى من خلال ما جاء فى كتابه العزيز بما سوف تكون عليه الجنة وما تكون عليه جهنم، وهناك العشرات من الكتب التى تحدثت قديما وحديثا وتناولت بالتفصيل حديث جهنم وما بها من صنوف العذاب المرتبط بالنار، ومن هؤلاء على سبيل المثال ماكتبه محمود مراد الذى قال عن جهنم: إنها مثوى للعصاة والمنافقين والكافرين والمشركين الذين يكبون على وجوههم فيها خوفهم نار، ومهادهم نار، وعن أيمانهم وعن شمائلهم نار.

ليس ذلك فقط، بل نراهم وفق ما جاء فى كتاب الله مقرنين فى الأصفاد، وسرابيلهم من قطران وتغشى وجوهم النار، فقد اسودت وجوهم من ظلمة المعاص

(١) أسباب النزول للإمام أبى الحسن بن أحمد الواحدى ـ تحقيق أيمن صالح شعبان.

ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وطعامهم من زقوم.

وفي تصورنا أن هذا الوصف الذى قدمه لنا محمود مراد ينطبق بكل ألفاظه على جهنم الكبرى والتى يدخلها أصحابها ولن يخرجوا منها أبداً. كما جاء فى كتاب الله ﴿هذه جهنم التى كنت بها تكذبون﴾ وبها أيضا دركات ومراتب وأماكن تخص كل من العصاة وفق عمله الذى يظهره الميزان يوم الحساب.

ولقد لاحظنا أن هناك ترادفاً لفظياً بين جهنم وبين النار حتى فى كلمات القرآن الكريم فى بعض السور والآيات، ويبدو أن مصدر هذا الترادف نابع من كون النار هى الوسيلة الفعالة والشديدة المستخدمة فى عذاب أهل جهنم، ولذلك نجد كثيراً ما نقرأ عن النار وكأن المقصود بها جهنم، كما نقرأ عن جهنم وكأنها النار.

ونبدأ بحديث جهنم وما جاء بشأنها فى القرآن الكريم خاصة فى السور والآيات الكريمة، ومن قبل البدء فى تحقيق هذه الخطوة دعونا نتساءل عن مساحة جهنم هذه، وهل ستكون عرضها كعرض السموات والأرض مثلما عرفنا من قبل مساحة الجنة أم أن هناك إختلافات؟!.

ومن عجيب أمر هذا القرآن الكريم أنه قد أخفى علينا مساحة جهنم، مع أن الله تعالى قد أخبرنا بمساحة الجنة، ولكن ما لاحظناه فى هذا السياق أن الله تعالى قد أخبرنا بأن لجهنم عدة أبواب، ولا نعرف بالضبط هل يدخل من كل باب منها نوع من العصاة والكافرين .، أم أن هذه الأبواب المتعددة قد خلقها رب العالمين من أجل أن تكفى أعداد هؤلاء العصاة؟!.

وكما ساق لنا القرآن الكريم وصف المؤمنين الذين تنطبق عليه صفات الداخلين إلى الجنة، فإنه قد أوضح لنا كذلك صفات هؤلاء اللذين سوف يدخلون إلى جهنم أو إلى النار.

ومن أكثر هؤلاء وفق ما ذكره القرآن الكريم .. الكافرون والمجرمون والمتكبرون

والمنافقون الذين سوف يحشرون مع الشياطين، ونستطيع أن نتخيل ما سوف تكون عليه جهنم من خلال ما أخبرنا به رب العزة فى كتابه العزيز، ففيها نار حامية وطعام الزقوم وشراب من حميم.

أما بالنسبة لطعام الزقوم فعن ابن عباس قال: قال رسول الله: "لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على الناس معاشهم".

وبخلاف ذلك هناك ألوان من العذاب لم نعرفه أو نسمع عنه من قبل، ويكفى في ذلك قول الله تعالى فى سورة ق الآية (٣٠): ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ وقول الكافرين في جهنم وفق ما جاء في سورة غافر الآية (٤٩): ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾

وفى كتاب الله جاء ذكر لفظ جهنم في ٧٧ آيه كريمة، وفى أكثر من ٣٥ سورة كريمة، وندعو الله تعالى جميعاً أن يباعد بيننا وبين جهنم وعذابها بُعد السموات والأرض، آمين.

** النار.. التى يعرضون عليها:

كنا قد ذكرنا لكم أننا لاحظنا أن هناك نوعاً من الترادف بين كلمتى جهنم والنار فى كتاب الله، ولكنا وبعد طول قراءة واطلاع رأينا كذلك أن هناك إختلافاً كبيراً فيما بينهم، فالنار هى الوسيلة الرادعة لتعذيب هؤلاء العصاة من الكافرين والمنافقين والمتكبرين ومن الشياطين أيضا، بينما جهنم هى المكان الذى يقيم فيها هؤلاء كى يعذبون فيها بوسائل أخرى غير هذه النار، مثل أكلهم طعام الزقوم وشرب الصديد أو الحميم.

إذن نحن سوف نتحدث هنا عن النار باعتبارها إحدى الوسائل الرادعة والعظيمة المستخدمة فى تعذيب هؤلاء الكافرين، وبالتالى فهى مكان أيضاً مشهور فى القرآن الكريم. كما جاء ذكرها فى العديد من السور والآيات الكريمة.

ونبدأ حديث النار بقول رسولنا الكريم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن

الله تعالى أمر أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام أخرى حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام ثالثة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة".

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق أن النار تقابل النور مثلما جهنم تقابل الجنة، والفارق يتسع بشكل عجيب بين النار والنور سواء فى الاستخدام أو فى النتائج وسواء فى الدنيا أو فى الآخرة.

فالنور هو عنوان أصحاب الجنة ومن أهم سيماهم، أما النار فهى عنوان جهنم ووسيلتها الشديدة من أجل تعذيب أصحابها، وهناك بخلاف ذلك فروق أخرى كثيرة بين النار والنور، ونحن نتعامل مع كل منهما فى هذه الدنيا، أو مع بعض الأشياء المخلوقة لكل من النور والنار.

وهناك العشرات من المؤلفات القديمة والجديدة التى حدثتنا وبالتفاصيل عن نار جهنم ومصدرها وقوتها ونتائج من يصلونها، فهم لا يموتون أبداً، رغم شدة العذاب.

وحين نقف عند حدود ألفاظ وكلمات القرآن الكريم كى نستطلع معاً ما جاء بشأن النار فى هذا الكتاب العظيم. يتضح لنا أن الله تعالى قد ذكر لنا العديد من أنواع النيران.. منها ما هو مرتبط بالدنيا مثلما جاء فى قوله تعالى فى سورة آل عمران الآية (١٨٣): ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ وفى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية (٢٦٦): ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾وفي قوله تعالى فى سورة طه الآية (١٠): ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

إضافه إلى ذلك ما جاء بشأن النار التى أوقدت لإبراهيم عليه السلام وما جاء بشأنها فى سورة الأنبياء الآية (٦٩) والنمل الآية (٨) والنور الآية (٣٥) و(٢٩) القصص و(٧٦) ص، ومعجم الفاظ القرآن الكريم يسمى هذا النوع من النيران باسم النار المعهودة فى مقابل نوع ثان وهو المتمثل فى نار الآخرة مثلما جاء في قوله تعالى: فى الآية (٣٤) البقرة﴿﴾، ثم لفظ ثالث أو نوع ثالث وهو نار الآخرة مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ الآية (٣٥) التوبة. وكذلك نوع رابع هو نار السموم مثلما جاء فى قوله تعالى:﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ الآية(٢٧) فى سورة الحجر.

وأخيراً نار الله التي وصفها لنا رب العزة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ الآية (٥)، (٦) في سورة الهمزة.

وبإحصاء سريع لعدد الآيات والسور التي جاء بها ذكر النار نقول إنها ذكرت في ١٢٥ آية كريمة وفي أكثر من ٥٠ سورة كريمة. وبخلاف ذلك ذكر لنا القرآن الكريم النار بألفاظ أخرى مثل "ناراً" والتي جاء ذكرها في ١٩آية كريمة وأكثر من عشر سورة كريمة، وما نود أن نشير إليه من قبل أن نفترق ونبتعد عن هذه النار، أن وقودها في الدنيا غير وقودها في الآخرة، فإذا كنا نشعل نيران الدنيا بالوسائل المعروفة لدينا جميعاً فإنها يوم القيامة تشتعل بوقود الناس والحجارة!! وفق ما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز.

وهناك من المفسرين ومن العلماء الذين يقولون إن نار الدنيا هي جزء يسير جداً قد لا يقاس في مقابل نار الآخرة، ليس هذا فقط بل إن نار الدنيا قابلة للإطفاء، أما نار الآخرة فلن تنطفيء أبداً وستظل تحرق هؤلاء الكافرين وأعوانهم.

** الدرك الأسفل.. في قاع مظلم:

عندما تحدثنا من قبل عن جهنم وقانا الله شرها وكتب لنا النجاة منها، أشرنا إلى أنها تحتوي على دركات وأماكن وفقاً لمكانة كل من فيها من العصاة، ومن هذه الدركات أو الأماكن الخاصة بأصحابها والمتميزين بنوع من المعصية التي يستحقون عليها العقاب والعذاب. "الدرك الأسفل".

ويبدو أن جهنم بها الكثير من هذا الدرك مع اختلاف مكانه، فهناك الأعلى والأسفل والمتوسط وهكذا، ولكن يبدو أن أشد هذه الأماكن قوة وتعذيباً داخل جهنم هو الدرك الأسفل وفق ما أخبرنا به القرآن الكريم.

والدرك في اللغة: أسفل كل شيء يتميز بالعمق، كالبئر ونحوه، فيقال بلغ الضواحي درك البحر، وهو أيضا طبق من الأطباق جهنم، حيث قال الله تعالى " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار"وهكذا أخبرنا النحاة في المعاجم اللغوية.

إذن الدرك الأسفل من النار هو إحدى الحفر العميقة الموجودة فى جهنم والمخصصة لتعذيب وعقاب المنافقين، هؤلاء القوم الذين يظهرون ما لا يبطنون، وكم قاس منهم رسولنا الكريم وقت بدء دعوته، ولا يزال هؤلاء المنافقين من أشر الناس وأخطرهم على الدنيا ومن فيها، بسبب تسترهم وراء كونهم معك، ومن خلفك يطعنونك فى الظهر!!.

ويؤكد هذا المعنى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أخبرنا بأن الدرك الأسفل هو قصر الشىء ذى العمق، والآية السابقة قد جاء ذكرها في سورة النساء الآية (١٤٥) مع أن كتاب الله قد ساق لنا لفظاً آخر عن الدرك وهو للفظ "دركاً" أى لحاقاً وإدراكاً وذلك في قوله تعالى: ﴿لا تخاف دركا ولا تخشى﴾.

إذن الدرك الأسفل هو أعظم مكان من حيث شدة ما فيه من العذاب وموقعه أسفل إحدى حفر النار داخل جهنم.

والإمام الطبرى قد أشار كذلك إلى موقع هذا الدرك فى حديثه عن تفسير هذه الآية حيث قال: إن هذه الآية ارتبطت بما قبلها وذلك فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ النساء (١٤٤) .

هذه الآية التى تحذرنا من اتخاذ الكافرين أولياء وألا نصاحبهم من دون أهل ديننا فنكون بذلك ممن وجبت لهم النار، أتريدون أن تكون لله حجة ظاهرة عليكم فتتعرضوا لغضبه وتستوجبوا ما استوجبه أهل النفاق من العذاب.. هؤلاء فى الطبق أو الطابق الأسفل من أطباق جهنم.

أما أصحاب تفسير الجلالين فأخبرونا بصفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنونه من الكفر ليدفعوا عنهم عقاب الدنيا، هؤلاء سوف يعاقبهم الله تعالى بأن أعد لهم منزلاً صعباً يوم القيامة وهو المكان الأسفل من النار حيث مقرها.

ومن حكمة الله تعالى أن أخبرنا عن هؤلاء الصنف من المنافقين الذين ظهروا فى حياة محمد رسولنا الكريم، وهم كذلك دائمًا ما يظهرون فى كل زمان وفى كل

مكان، وبالتالي فإن موعدهم يوم القيامة إذ يحاسبون حساباً شديداً، ثم يلقى بهم في أعمق حفرة من حفر النار جزاء هذا النفاق المفضوح، وما أكثر هؤلاء اليوم وما أكثرهم أيضاً غداً. فتعالوا نحذر منهم جميعاً.

** الحطمة.. التى بها المكذبون:

ولدينا كذلك درجة أخرى من درجات جهنم أو إن شئت فقل هو اسم آخر لها، وهو الحطمة، ويقول المعجم الخاص بألفاظ القرآن الكريم: إن هذا الاسم قد جاء صفة تدل على الكثرة وقد أطلق كذلك لأنها جهنم التى تحطم المكذبين بها.

إذن نحن هنا أمام صنف آخر من صنوف البشر من الذين سوف يصيبهم عذاب النار يوم القيامة، ؟ هؤلاء الذين يكذبون بيوم الدين وبالجنة وبالنار على وجه الخصوص؟.

ولقد أعد الله تعالى لهم عذاباً شديداً سوف يحطم عظامهم داخل نار حامية وفق ما كان يصدر منهم في حق جهنم التى كذبوا بها.

والله تعالى قد أشار إلى هؤلاء وإلى مصيرهم فى قوله تعالى فى سورة الهمزة الآيتين (٤) و(٥) ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾.

إذن ربنا الكريم قد أخبرنا بأن للمكذبين بيوم الدين وبالآخرة وما فيها من عذاب.. مكان خاص سوف يعذبون فيه وهو ما يعرف باسم الحطمة كإحدى دركات جهنم.

ومن أجل أن يلفت ربنا العظيم أنظارنا لأهمية هذا المكان وعورته وصعوبته خاصة بالنسبه لهؤلاء المكذبين: يقول تعالى فى نفس الآية ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾. والمعجم الوجيز يقول لنا عن المعنى اللغوى لكلمة الحطمة: "هى الراعي العسوف العنيف، ومن الإبل أو الغنم الكثيرة التى تحطم الأرض بخفافها وأظلافها وتكسر شجرها وبقلها فتأكله. وهي أيضا النار الشديدة.

والسؤال عن هذه الحطمة يكون.. لمن؟!. والدكتور أحمد شوقي إبراهيم يخبرنا

بأنها لكل هماز لماز. وهو ذلك الإنسان الذي يعتبر أكثر من المنافق فساداً وانحرافاً، لأنه إنسان تتصف نفسه بالعدوانية ويشعر فى تصرفه المعيب هذا براحة لنفسيته المريضة، كما أن صاحب هذه الشخصية كثير النقد لكل شيء، كثير الرغبة فى هدم أي عمل بناء، هو بعد ذلك كثير الهجوم على كل ما يعارضه بالقول أو العمل.

هذا الهماز اللماز يكون أيضاً من صفاته حبه للمال ولجمعه، ولعله يجد في ذلك تعويضاً نفسياً لما يشعر به من فشل من داخل نفسه، فالمال هو المنقذ الوحيد الذى يراه كى يهرب من فشله وتفاهة نفسه، مع تخيله بأن المال هو القيمة الأسمى فى الحياة الدنيا.

ولقد أقسم رب العالمين بأن مصير هذا الصنف من البشر هو الحطمة، أى ليطرحن فيها مهاناً ومنبوذاً بسبب أفعاله القبيحة.

ويؤكد الدكتور أحمد شوقى إبراهيم أيضا على أن الحطمة هى اسم من أسماء النار بخلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنها درجة من درجات نار جهنم، بدليل أن الله تعالى قد أضاف إليها لفظ نار الله الموقدة، أى فهى ليست كمثلها. نار الأخرى وهى موقدة أي لا تهدأ أبداً ولا تنطفئ.

إذن هى نار رهيبة ومفزعة، ليس هذا فقط بل هى نار دائمة التعذيب لمن فيها... وليس لهم فرصة من هروب أو خروج منها ماداموا فيها.

هذه النار وفق اللفظ المذكور في الآية السابقة تحطم من فيها من قبل أن تحرقهم بنارها، ومن ثم يعودون كما كانوا ثم يحطمون ويعذبون بها، جزاء ما ارتكبت أيديهم من أفعال أخطرها استخدام ألسنتهن في الهمز واللمز، ضد عباد الله.. وقد تخيلوا أن جمعهم وعدهم لأموالهم سوف يكون هو سبيل خلودهم فى الدنيا، وهم قد خلدوا فى الحطمة من دون زمن أو توقف.

** سقر.. أحد أبواب جهنم:

لأول مرة منذ أن التقينا فوق أوراق هذا الفصل نجد أحد المفسرين يتحدث عن أحد أبواب جهنم. والذى خصصه رب العالمين كى يدخل منه نوع من العصاة وهو باب سقر.. إذن فى جهنم أماكن ودركات وكذلك لها أبواب قالوا إن عددها سبعة.

وسقـر قد جـاء ذكرها فى كتـاب الله فى أكثـر من آية كريمة كدليـل على وجودها كمكان مشهور فى كتاب الله وعلى أهميـتها أيضاً.. ففى سورة القمر الآية (٤٨) قال ربنا تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ والمعنى الظاهر لهذه الآية أن هؤلاء العصاة سوف يجرون أو يسـحبون من أقدامهم أو من أيديهم بواسطة الملائكة وهم في طريقهم إلى جهنم التى يدخلونها من باب سقر.

كـما جـاء نفس اللفظ في ثلاث آيات كـريمات فى سورة المـدثر: في قوله تعـالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ فى قوله تـعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ ثم فى قولـه تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ الآبيات (٢٦) و(٢٧) و(٤٢). وفي تفسيـر الإمام الطبرى للآية التي جاء ذكرها في سورة القـمر: قال: هؤلاء يسحبون باعـتبارهم من المجرمين على وجـوههم فى النار، ويقال لـهم ذوقوا مس جـهنم. أما فـى تفسـيره للآيات الثـلاث الأخرى والتى جاء بها ذكـر "سقر" كمكان مشهور في القرآن الكريـم فـقد قال عنها: إن هذا الكافر حين استمع للقرآن الكريم قـال إنما هذا سحر يأثره أى يرويه عن غيره، وما هذا الذى يتلوه مـحمد إلا كـلام البشر، ومـا هو بكلام الله. من أجل ذلك توعده رب العـالمين بعذاب سـقر.. ذلـك الباب الذى سـوف يدخله ليـتعـذب خلفه عـذاباً شديداً، والله تعالى يؤكد لنا عظم عذاب سقـر فى قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ وأى شيء أعلمك يا محمـد ما سقر؟! إنها نار لا يتـبقى فيها حى ولا تذر من فـيها ميتـاً، إنها تحرقهم كلما جدُد خلقـهم!، مغيرة لبشـر أهلها.. أى تلوح وتظهر لأنظار الناس من مـسافات بـعيدة لعـظمها. ليـس هذا فقط، بل إن عليـها تسـعة عـشر من الملائكة وهم خزنتها.

ويضيف الإمام الطبرى: أن سبب نزول هذه الآية والمقـصود بدخول باب سقر في جهنم هو الوليـد بن المغيرة الذى أرسلته قـريش إلى النبى ﷺ ليستمع للـقرآن ويبدو لهم رأيه فيـه!، فلما جاء رسول الله وقـرأ عليه القرآن رق له قلبـه وكاد أن يسلم، ولما رجع إليهم قالوا: مـاذا وراءك؟! قال لهم: والله لقد سمعت قولاً حلواً أخـضر يأخذ بالقلوب، والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البـشر. فقـالت قريش: صبـأ الوليد: أى ترك دينه ودخل في الإسـلام، فلما

سمع أبو جهل بذلك ذهب إليه وأخبره بأن قريشاً لن ترضى عنك حتى تقول فى القرآن قولاً يعلمون أنك منكره وكاره!.قال: فدعنى حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يرويه محمد وينقله عن غيره.! فكان جزاؤه أن أنزل الله فيه هذه الآيات التى توعدته بدخول أحد أبواب جهنم المخصص ربما له وحده والمعروف باسم سقر.

ويبدو من سياق هذا التفسير أن باب سقر فى جهنم يقف عليه عدد كبير من الملائكة إنتظاراً لوصول هؤلاء الجبابرة من الذين سوف يسحبون على وجوهم من مسافات بعيدة فى طريقهم إلى هذا الباب!.

وهذا اللفظ في المعجم اللغوي معناه أنه اسم من أسماء جهنم، وفي موضع آخر فى المعجم نفسه: «سقرت النار أو الشمس فلاناً - سقراً أن لوحت جلده وغيرت لونه».

ويبدو أن هذا المعنى قريب جداً مما أشار إليه رب العالمين بشأن ما سوف يحدث للعصاة فى جهنم أو فى سقر، هؤلاء الذين يبدل الله جلودهم كلما نضجت أو كلما احترقت!ولقد ظنوا أن عذابهم سوف لا يستمر بمجرد أن تحترق جلودهم. والله دائما ما يخيب ظنونهم إذ يعيد لهم خلق جلودهم مرة أخرى كى يعذبوا من جديد، وهكذا بلا انقطاع!.حقًا إن نوع من العذاب الشديد والمخصوص والمنوط به مجموعة من الكافرين من الذين أنكروا القرآن الكريم.

** السعير.. فى جهنم حقاً:

أنا لست مع الذين ذهبوا إلى القول بأن السعير هي نفسها جهنم..ذلك لأننا نعتقد بأن السعير درجة أشد من درجات جهنم بدليل قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ .

وعلى ذلك نقول إن السعير ما هى إلا مكانة خاصة داخل الجحيم أو جهنم خصصها رب العالمين لبشر معين من العصاة من الذين يستحقونها.

ولسوف نحاول جاهدين نحن كذلك التعرف على ملامح هؤلاء من أجل التيقن من كونها درجة من درجات جهنم أم هي جهنم نفسها.؟!

والمعجم الوجيز يؤكد ما توصلنا إليه من أن السعير هى نوع من أنواع الجحيم أو هي درجة من درجاتها، حيث يقول اللغويون أن سعّر النار معناها أوقدها، إذن هذا المكان من جهنم به نار خامدة توقد بمجرد دخول أصحابها من العصاة، هؤلاء الذين وصفهم رب العزة بقوله فى سورة الملك الآية (١٠): ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

ومن صفاتهم أيضًا ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الفرقان الآية (١١): ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾.

ويبدو أيضاً من سياق كلمات الآيات المذكور بها السعير أن الله تعالى قد خصها للشياطين وأعوانهم من البشر بدليل قوله تعالى: في سورة فاطر الآية (٦): ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، وقوله تعالى في سورة سبأ الآية (١٢): ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

ليس هذا فقط، بل لقد لعنهم الله تعالى.. ويبدو ذلك فى قوله الكريم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الآية (١١) فى سورة الملك، وهكذا نفهم بأن السعير ليست هي جهنم، بل هي جزء من وادى جهنم المتسع، أو إن شئت قل إنما هي درجة من درجات الجحيم التي يُعذب بها أصحاب الصفات السابقة والتى أشرنا إليها من واقع ما جاء فى القرآن الكريم بشأنهم.

وقد يكون لهؤلاء وسائل أخرى من عذاب النار تختلف عما هو موجود فعلاً فى درجات جهنم الأخرى.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم السعير فى تسع آيات فى سورة التكوير (١٢) والحج (٤) و(٢١) لقمان و(١٢) سبأ و(٦) فاطر و(٧) الشورى و(٥) و(١٠) و(١١) الملك.

كما جاء لفظ السعير مضافاً إليه ألف النصب "سعيراً" في ثماني أيات في سورة النساء (١٠) و(٥٥) و(٩٧) الإسراء و(١١) الفرقان و(٦٤) الأحزاب و(١٣) الفتح و(٤) الإنسان و(١٢) الانشقاق، كما جاءت كذلك بلفظ "سعير" وبدون ألف النصب في آيتين في سورة القمر هما (٢٤) و(٤٧).

وكان لا بد لنا من أن نتوقف عند تفسير بعض هذه الآيات من أجل الوقوف على ما ترمي إليه كلمة السعير. وفق ما جاء بشأنها في هذه الآيات.

يقول الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾الآية (٦) في سورة فاطر: إن الشيطان لكم عدو فاحذروه حذركم من عدوكم فلا تطيعوه، هذا الشيطان يدعو أتباعه ومن أطاعه ليكونوا من المخلدين في نار جهنم.

ونلاحظ هنا في هذا التفسير الربط بين السير في طريق الشيطان وبين دخول الإنسان إلى السعير!!، إذن الله تعالى يبصرنا بأن هناك عدو خفي يدفعنا إلى دخول السعير ومن دون أن ندري أو ربما يدري بعضنا بأساليبه.

وفي تفسيره للآية (٢١) في سورة لقمان والتي يقول فيها ربنا العظيم:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ قال الإمام الطبري: وإذا ما قيل إلى هؤلاء اتبعوا ما أنزل الله على رسوله، وصدقوا به، فإنه يفرق بين الحق والباطل قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فإنهم كانوا أهل حق!!، أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب النار الملتهبة وهي نار السعير.

أما فيما يخص ارتباط الذين كذبوا بيوم القيامة بدخولهم إلى السعير وما جاء بشأن ذلك في سورة الفرقان الآية (١١) فيقول في تفسيرها الإمام الطبري: إن الله قد أعد لمن كذبوا بقيام الساعة ناراً متقدة، وإذا ما رأت النار هؤلاء المكذبين من مكان بعيد سمعوا صوت غليانها كما سمعوا لها زفيراً من شدة لهبها وتوقدها.

وخلاصة القول فى الحديث عن السعير كمكان متسع وعظيم وما فيه من أماكن خاصة لأنواع معينة من المعصية قد ارتكبها أصحابها، أن هناك داخل جهنم الكبرى أمكنة ودركات ارتبطت بأصحابها، ولقد بين لنا ذلك القرآن الكريم فى العديد من سوره وآياته الكريمة. مثل قوله تعالى عن أصحاب النار وأصحاب الجحيم وأصحاب السعير وأصحاب المشأمة وأصحاب الشمال.

ملحق خاص

بجدول عن الأماكن المشهورة في القرآن الكريم

جدول خاص بالأماكن المشهورة فى القرآن الكريم

المكان	السور والآيات	الموقع والأحداث
بدر	فى سورة آل عمران فى الآية (١٢٣).	تعتبر غزوة بدر أولى غزوات رسولنا الكريم وتعرف باسم بدر الكبرى، وهى التى دارت رحاها فيما عرف باسم وادى بدر والذى يقع كمكان لهذه الغزوة فى الطريق بين مكة والمدينة.
بابل	فى سورة البقرة الآية (١٠٢).	مدينة قديمة بالعراق وكانت فى ذلك الوقت إحدى قلاع السحر فى هذا الزمن القديم وتقع حاليا على بعد ١٦٠ كم جنوب شرق بغداد.
الأحقاف	ذكرها الله تعالى فى سورة كاملة وتحمل اسم الأحقاف ورقمها ٤٦ فى الجزء السادس والعشرين فى المصحف الشريف.	المكان الذى كان يقيم فيه قوم عاد وكانت تشتهر بالقصور العالية والأماكن المرتفعة وموقعها فى شمال.حضرموت باليمن.. وقد شهدت أحداث قوم عاد.
الحجر	جاء ذكره فى الآية (٨٠) فى سورة الحجر	المكان الذى كان يقيم به قوم ثمود ويقع بين الحجاز وتبوك فى الشمال الغربى للجزيرة العربية شرق خليج العقبة عند اتصاله بالبحر الأحمر وفيه وقعت أحداث قوم ثمود الذين

المكـان	السوروالآيات	الموقع والأحداث
		أهلكهم الله تعالى لموقفهم المعاند من دعوة نبيهم صالح.
سبأ	فى سـورتين الأولى النمل فى الآية (٢٢) والثانية فى سورة سبأ الآية (١٥).	ارتبط هذا المكان بأحداث قصة ملكة سبأ وسليمان عليه السلام كما ارتبط كذلك بأحادث مأرب وهو مكان موجورد باليمن، وسبأ هذه جاء اسمها مشتقاً من اسم قبيلة ابن ريان.
سيناء	فى سورة المؤمنون الآية (٢٠) وفى سورة التين الآية (١).	أرض مباركة تقع فى مصر.. وقد شهدت أحداث الديانات الثلاث حيث قدم إليها كل من الأنبياء موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وهى صحراء شاسعة تجلى فيها رب العالمين، وكلم عبده ونبيه موسى عليه السلام.
العقبة	فى سورة البلد الآيتين (١٢،١٣).	هو مكان عظيم وموجود بأرض الحجاز وقد شهد البيعتين اللتين كان لهما الفضل الكبير فى انتشار دعوة الإسلام خارج مكة.
مكة	فى سورة الفتح الآية (٢٤) كما جاءت أيضًا باسم بكة.	البلد الحرام الذى استوعب فوق أرضه أعظم قصص تاريخ الديانات فى العالم، ألا وهو الإسلام، كما هو أيضًا ذلك البلد الذى ولد فوق أرضه أعظم خلق الله محمد ﷺ.

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
مدين	ذكر القرآن الكريم هذا المكان عشر مرات فى سبع سور هى: الأعراف (٨٥)، والتوبة (٧٠)، وهود (٨٤،٩٥)، وطه (٤٠)، والحج (٤٤)، والقصص (٢٢،٢٣،٤٥)، والعنكبوت (٣٦).	من الأماكن التاريخية التى شهدت خلافًا كبيرًا بين المؤرخين فيما يخص ارتباطه بقصة كل من موسى عليه السلام ونبى الله شعيب، هذا المكان كان يوجد فى أطراف الجزيرة العربية وعلى مقربة من الشام على امتداد خليج العقبة.
مصر	جاء ذكر هذا المكان خمس مرات فى أربع سور قرآنية هى .. يونس (٧٨) ويوسف (٢١) و(٩٩)، والزخرف (٥١) والبقرة (٦١).	من أشهر ما أشار إليه القرآن الكريم فيما يخص مصر كأرض طيبة وكمكان مشهور ما جاء بشأنها فى قصة يوسف وموسى عليهما السلام، وذلك البلد الأمين الذى زاره معظم أنبياء الله تعالى.
يثرب	فى سورة الأحزاب الآية (١٣).	مدينة ظلت بلا تاريخ يذكر حتى هاجر إليها رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام واتخذ منها دار الإسلام وكذلك دار المقام، بل ودفن بها، ويقول المؤرخون أن إنشاءها مر بمرحلتين: الأولى من بداية مولدها الغامض والذى لا يمكن تحديده بدقة ثم إلى زمن الهجرة وهى مرحلة الولادة الجديدة، ومن ثم تغير اسمها إلى المدينة.

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
حنين	فى سورة التوبة فى الآية (٢٥).	يعـتبـر من الأمـاكن التـى ارتبطت بأحدى معارك الإسـلام ضد الشرك، وهو واد فى طريق الطائف إلى جنب ذى المجاز، والمسـافة بين هذا الوادى وبين مكة مسيرة ثلاث ليالٍ.
بيع	سورة الحج والتوبة (٤٠).	هى كنائس النصارى من أتبـاع عيسى بن مريم عليه السلام.
الباب	فى سورة البقرة الآية (٥٨).	يرتبط هذا المكان بعـبـادة اليهـود من أهل الكتـاب.. والمقـصـود هنا باب المعـبد الذى كـان يجب أن ينوه وهم داخلين إلى أريحـا بعـدمـا اسـتـولوا عليها.
صلوات	فى سورة الحج الآية (٤٠).	أحد أماكن العبادة لدى اليهود أيضًا.
الصوامع	فى سورة الحج الآية (٤٠).	من أكثـر أماكن العبـادة التى ارتبطت بتـاريخ بنى إسرائيل. خـاصة بطائفـة الرهبان من الذيـن كانوا يقيـمون فى هذه الصوامع على أطراف المدن.
مساجد	جـاء ذكـره فـى ٤ سـور هى الكهف الآية (٢١)، والبـقـرة الآيتين (١١٤، ١٨٧)، ثم سورة التـوبة الآيـتـين (١٧، ١٨)، وسورة الجن الآية (١٨).	من أخص الأماكن التى ارتبطت بقوة بأصـحـاب ديـن الإسـلام، الذين يؤدون صلواتهم بالمسـاجد التى تقـام فى كل مكان.

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
الصفا والمروة	فى سورة البقرة الآية (١٥٨).	هما جبلان بمكة المكرمة، جعلهما الله من شعـائر الحج.. وهمـا يـرتبطان تاريخيًـا بقصـة السيـدة هاجر عليـها السلام وابنهـا إسماعيل، فـقد كانت تجرى بينهمـا بحثًا عن الماء كى تروى ظمأها وظمأ ابنها الوليد.
جبل عرفات	فى سورة البقرة الآية (١٩٨).	هو جـبل يقع على بعـد ١٢ مـيل من الحرم المكى ويقف عليـه الحجيج يوم عرفة لتمام شـريعة الحج.. وقد شهد فى تاريخ الديانات أحـداثًا كثـيرة من أهمـها حـادث إقـدام إبراهيم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل ونزول الفداء العظيم، وخطبـة الوداع التى ألقـاها نبينا الكريم قبيل رحيله.
الكعبة	فى سورة آل عمران الآية (٩٧).	أول بيت لعـبـادة الله تعـالى وضع للناس وقد بنته الملائكة فى أول الأمر فى قلب مكة المـكرمـة كى يضـاهى البيت المعمور فى السماء السابعة.
مقام إبراهيم	فى سورة آل عمران (٩٧).	هو ذلك الحـجـر الـذى وقف عليـه سيـدنـا إبراهيم الخليل فى أثـناء بنائه الكعبـة المشرفـة وقد غاصت قـدماه الشـريفتـان فى هذا الحـجـر.. وهو موجـود حاليًا فى بيت زجـاجى أمام الكعبة.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكان
هو ذلك المكان الذى يذهب إليه الحجيج بعد الإفاضة من عرفات.. وهو جبل معروف بالمزدلفة.	فى سورة البقرة الآية (١٩٨).	المشعر الحرام
المعنى به هنا المسجد كله بما فيه الكعبة المشرفة، لأن المسجد أشمل من بنياة الكعبة ذاتها، حيث يضم كل ما حوله من أماكن أخرى مثل مقام إبراهيم وبئر زمزم وحجر إسماعيل والصفا والمروة.	فى سورة البقرة الآيات: (١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩، ٢١٧،٦)، والمائدة: (٢)، والأنفال (٣٤)، والتوبة (٧، ١٩، ٢٨)، وسورة الإسراء (١)، والحج (٢٥)، والفتح (٢٥، ٢٧).	المسجد الحرام
هو ذلك المسجد الذى يوجد بمدينة القدس والتى تبعد عن يافا بحوالى ٥ كيلو مترات، هذا المسجد له أسماء كثيرة كما عاصر أحداثاً تاريخية كثيرة فى الماضى وفى الحاضر. ومن أهم ما شهده من أحداث رحلة الإسراء والمعراج.	سورة الإسراء الآية (١).	المسجد الأقصى
العلامة التى أمر ربنا تعالى نبيه نوح عليه السلام بإتخاذها بداية لانطلاقه والسفينة ومعه أبتاعه من المؤمنين.. ومعناه الماء المغلى الذى يفور.	فى سورة المؤمنون الآية (٢٧).	التنور
إنه الجبل الذى هيأه ربنا تعالى كى ما	فى سورة هود الآية (٤٤).	الجودى

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
ترسوا فوق قـمته العاليـة سفينة نوح. ويقـال إنه مـوجـود حاليًـا فى آسـيـا الصـغـرى على الحـدود بين تركـيـا وإيران ويعرف باسم جبل أراراط.		تابع الجودى
الفج هـو فى الأصل الفـجــوة بين جبـلين ويسـتـعمل فى الطريق المتسع والمراد به هنا مطلق الطريق وجـمعـه فجاج.	فى سورة الحج الآية (٢٦).	فج عميق
هو ذلك البئـر العميق الذى ألقى فـيه يوسف عليـه السلام بواسطة إخـوته من أجل التخلص منه، ويقال إن هذا الجُب كـان مـوجـوداً فى الطريق بين مدين ومصر.	فى سـورة يوسف الآيتـين (١٠، ١٥).	الجُب
السجن هـو مكان يقضى فـيه المذنب عقـوبة أساسهـا حرمانه من حـريته، مهما اختلفت مدة هذا السجن. وقد شهـد جانبًـا مهـمًا من قصـة يوسف عليه السلام.	فى ســـــورة يـوسف الآيـات: (٣٣،٣٦،٣٩،٤١،٤٢، ١٠٠).	السجن
مـا يقـصـد بالعـرش هنا هو سـرير الملك، كما جاء هذا اللفظ فى كتاب الله مرتبـطاً بالذات الإلهيـة والخاص بالمكان الذى فيه رب العالمين.	فى ســـورة النحـل (٣٣)، ويوسف (١٠٠)، والأعــراف (٥٤)، والتـوبة (١٢٩)، يونس (٣)، الرعــد (٢)، الإســراء	العرش

المكان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع العرش	(٤٢)، طه (٥)، النبأ (٢٢)، المؤمنون (٨٦، ١١٦)، قاف (٥٩)، النحل (٢٦)، السجدة (٤)، الزمر (٧٥)، غافر (١٥،٧)، الزخرف (٨٢)، الحديد (٤)، التكوير (٢٠)، البروج (١٥).	
القرية	فى سورة الأنبياء الآية (٧٤)، وآخر قاف الآية (٣٤،٣١).	المقصود بالقرية هنا: القرية التى كان يقيم بها نبى الله لوط والتى ارتكب أهلها الفواحش والخبائث.. وتعرف فى التاريخ باسم سدوم وعمورية.
اليم	سورة الأعراف (١٣٦)، وطه (٩٨،٧٨،٣٩)، والقصص (٤٠،٧)، والذاريات (٤٠).	اليم معناه كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم البحر «ملحًا» كان ماؤه أم عذبًا، وهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بقصة ميلاد موسى عليه السلام، كما يرتبط كذلك بغرق فرعون.
الطور	فى سورة البقرة (٦٣)، واللفظ فى (٩٣)، وفى سورة النساء (١٥٤)، ومريم (٥٢)، وطه (٨٠)، والقصص (٢٩)، (٤٦)، والطور الآية (١).	ارتبط هذا اللفظ كمكان مشهور فى القرآن الكريم بلفظين هما سيناء وسينين، والطور فى الأصل هو ذلك الجبل الذى وقعت عند سفحه بعض أحداث قصة موسى عليه السلام.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
هو ذلك المكان المقدس الذى وقعت فيه كل أحداث قصة موسى عليه السلام منذ أن كلمة رب العالمين وتلقيه الألواح ومناجاته لله وهو موجود فوق أرض سيناء ولا نعرف له تحديد بالضبط.	فى سورة طه الآية (١٢)، وفى سورة النازعات الآية (١٦).	الوادى المقدس
يرتبط هذا المكان بقصة الخضر عليه السلام وذلك اللقاء الذى تم مع نبى الله موسى عليه السلام ويقال إن مجمع البحرين يوجد فى الشام كما قيل أيضًا إن ملتقى البحرين هما البحر الأبيض والبحر الأحمر، ومكان هذا المجمع فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر.	فى سورة الكهف الآية (٦٠)، أما لفظ البحرين فقط فقد جاء ذكره فى سور الفرقان (٥٣)، والنمل (٦١)، والرحمن (١٩).	مجمع البحرين
قال بعض المفسرين إن وادى النمل المقصود فى هذه الآية هو وادى الدير أحد أودية الطائف وقال آخرون بل هو واد كان يتبع مملكة سليمان وكان موجوداً فى فلسطين.	فى سورة النمل الآية (١٨).	وادى النمل
هذا المكان المشهور فى كتاب الله يرتبط بشدة بقصة أيوب عليه	سورة ص الآية (٤٢).	المغتسل

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
السـلام،وقد جـعل الله تعـالى له هذا المغتسل طريق الشفاء من كل أمراض وقالوا إن هذا المغتسل ربما تكون عين ماء دافئة فجـرها جبريل عليه السلام فى المكان الذى كـان يقـيم فـيـه هذا النبى الكريم.		تابع المغتسل
المقصود بالغار هنا هو غار ثور الذى شـهد واقـعة تخـفى رسـولنا الكريم وصاحبه أبو بكر وهمـا فى طريقهما إلى يثـرب.. كـبـداية لعـهـد جـديد وانطلاقـة عظيمـة للدين الإسـلامى الحنيف.	سورة التوبة الآية (٤٠).	الغار
الأخدود فى اللغة هو الحفرة العظيمة المسـتطيلة فى الأرض كـالخـندق وجمعه أخـاديد، ويقال إن أصحاب الأخـدود كـانوا من المؤمنـين الذين أجـبـروا عـلى ترك ديانتـهم وهى النصـرانية وذلك فى عهـد الملك ذو نواس، الذى أحـرقهم أحيـاء فى هذا الأخدود.	فى سورة البروج الآتية (٤).	الأخدود
ارتبط هذا المـكان بمجـمـوعـة من الشباب الذين آمنوا بالله وتركوا عبادة مـا دونه، مما كـان سـائدا آنذاك فى	فى سـورة الـكهـف الآيات: (١٠،١١،١٦،١٧،٢٥)، باللفظ.	الكهف

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع الكهف		قـومهم، والكهف مـوجود فى جبل يسـمى الرقـيم وهما مـوجـودان فى طـريق مـنزو عـن المـارة علـى طريـق عمان العقبةً.
جبل الرقيم	فى سورة الكهف الآية (٩).	المقدسى أشهـر الجغرافيـين العرب قد عرف موقع هذا الجبل وأشار إليه فى مـؤلفـاته وأن عـدداً كـبيـراً من الجغـرافيين العـرب قد نقلوا عنه هذا الموقع الذى حدده وعرف المسافة بينه وبين مـدينـة عـمـان، ويقـال إن هذا الجبل قد دخل حـاليا فى حرم الطريق الممهد.
الرس	فى سـورة الفرقـان الآية (٣٨)، وفى سورة ق الآية (١٢).	أصـحـاب الرس من القـصص المشـهـورة فى كـتـاب الله، وهم أهل قرية من قرى ثمود، وقـد اختلفوا فى معنى الـرس وفى مكانه أيضا فـقالوا إنه بئـر فى أذربيجـان، وقال قتـاده بل هو بئـر فى قـرية من قـرى اليـمـامـة والرس لغويًا معناه: البئر الضيقة.
البروج	فى سـورة النسـاء الآية (٧٨)، وسورة الحجر (١٦)، والفرقان الآية (٦١)، والبروج الآية (١).	البروج تعنى لغويا الحصون، ومفردها برج وهو أحد الأماكـن المشهورة فى كتـاب الله، وهناك معنى آخـر للبروج وهو القصور العالية الشاهقة.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
يرتبط هذا المكـان بقصـة أصـحـاب السبـت من اليهود الذيـن أمرهم رب العالمين بالتفرغ لـعبادته يوم الـسبت، وكانت قريتهم تقع مـباشرة على أحد البحـار وكانوا يصطادون الأسـماك والحيتـان، فى كل الأيام فأمـرهم الله تعالى ألا يصطادوا يوم السبت، وقد خالفوا هذا الأمر فـأصابهم العذاب، وقالوا إن هذه القـرية إما قـرية طبرية أو قرية مدين.	سورة الأعراف الآية (١٦٣).	حاضرة البحر
جـاء لفظ الصـرح فى كـتـاب الله فى موضعـين أحدهما فى قصـة سليمان عليه السلام والثانى فى قـصة فرعون والصـرح فى القــصـة الأولـى يعنى القـصر وفى الثـانية هو البناء شـاهق الارتفاع.	فى سورة القصص الآية (٣٨)، وباللفظ فى سـورة غـافـر الآية (٣٦)، وفى سـورة الـنمل الآية (٤٤).	الصرح
القطر فى مـعظم التـفـاسـير مـعناه النحاس، وهذه العين كانت موجودة فى مكان قريب من قرية تدعى عيون جـابر فـى الطرف الشـمـالـى لخليج العقبة.	سورة سبأ الآية (١٢).	عين القطر
المحاريب مـعناها كل ما هو مـرتفع، كـما يطلق كـذلك على المكان الذى	سـورة سبـأ الآية (١٣)، وفى سـورة آل عـمـران الآية (٣٧)،	المحاريب

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكان
يقف فيه الإمام داخل المسجد، ومفرده محراب.	وفى سورة مريم الآية (١١).	تابع المحاريب
من الأماكن التى جاء ذكرها فى كتاب الله والخاصة بوضع الأموال والمجوهرات ومفردها كنز، هذا المكان ارتبط بشدة بقصة قارون ابن عم موسى عليه السلام.	سورة القصص الآية (٧٦).	الكنوز
جاء هذا المكان فى كتاب الله مرتبط بمعنيين الأول: خزائن الأرض والثانى: خزائن الله، وخزائن السموات والأرض، أما معنى خزائن الله فهى مقدراته تعالى التى استأثر بها وبعلمها من دون خلقه أما خزائن السموات والأرض فهى أرزاق الناس، وخزائن الأرض المعنية فى كتاب الله هى خزائن الحبوب وهى المذكورة فى سورة يوسف عليه السلام.	فى سورة الأنعام الآية (٥٠)، وفى سورة هود الآية (٣١)، وفى سورة يوسف الآية (٥٥).	الخزائن
ارتبط هذا المكان فى كتاب الله بشخصيتين هما إرم وعاد، وكانوا من قوم العماليق، الذين كانوا يبنون مساكنهم على عُمد، وقالوا إن هذه العمائر التى كانت تقام على عُمد	فى سورة الفجر الآيات (٦،٧،٨).	ذات العماد

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع ذات العماد		كـانت في الإسكندرية وقال آخـرون كـانت في دمشق بينمـا ذهب فـريق ثالث إلى أنهـا كانت بالأحـقاف مـا بين عدن، وعُمان.
الخيام	في سورة الرحمن (٧٢).	ارتبط هذا اللفظ كمكان مشهور في كتاب الله بإقامة الحور المقصورات، وهن ممن سوف يخلقهن رب العالمين في جناب النعيم، كما ارتبط هذا المكان بإقامة الإنسان البدائي في الصحراء.. ومفرد الخيام خيمة.
البيوت	في سورة الأعراف الآية (٧٤)،وفي سورة يونس الآية(٨٧،٧٢)،في سورة الحجر(٨٢،٦٨) ،في سورة النحل(٢٧،٢٩،٦١)،في سورة النور(١٤٩)،في سورة الشعراء وفي سورة البقرة الآية (١٨٩)، مكرر وفي سورة النساء (١٥)، في سورة العنكبوت(٤١) وفي الأحزاب الآية (٥٣).	إحدى أماكن إقامة الإنسان على الأرض، وقد توصل إليها بعد إقامته الطويلة في الكهوف والخيام وفوق الأشجار. وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم ذكر لنا أنواعاً من هذه البيوت منها المساجد وغيرها.
القصور	في الآية (٤٥) في سورة الحج وفي سورة الأعراف الآية (٧٤)، واللفظ في الآية (١٠) في سورة الفرقان.	مكان إقامة الإنسان وقد تغير مفهومه من عصر لآخر.. وذلك وفق التقدم العمراني الذي يصيب المجتمعات.. بل إن لفظ القصر الدال

المكان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع القصور		على تميز المكان الذى يقيم فيه شخص ما من علية القوم قد تأثر كذلك بما حصله الانسان، من علم وتطور.. إذن القصر بهذا المعنى هو ذلك المكان الفخم من حيث المبنى والتأسيس.
الغرف أو الحجرات	لفظ الحجرات فى سورة الحجرات الآية (٤)، ولفظ الغرف فى سورة العنكبوت الآية (٥٨)، وفى سورة سبأ الآية (٣٧).	الغرف لغويًا هى الحجرة التى يقيم بها كل منا داخل منزله، ومفردها غرفة، وقد عرفها اللغويون بأنه ذلك الحيز المكانى الذى نحدده داخل بيوتنا لأجل تخصيصه إما للنوم أو للطعام أو للجلوس.
المضاجع والسُرر والأرائك	فى سورة السجدة الآية (١٦)، ولفظ المضاجع والسُرر فى سورة الحجر الآية (٤٧)، واللفظ فى الصافات، (٤٤) الطور (٢٠) والواقعة، والغاشية (١٣)، أما الأرائك فجاءت فى سورة الكهف (٣١)، يس(٥٦) والانسان،المطففين (٣٣،٣٥).	جاءت كلمة مضاجع فى كتاب الله من أجل التعبير عن أماكن راحة بنى البشر كما ارتبطت كذلك بكلمة أخرى هى سُرر ومفردها سرير، وهى كلها أشياء يستلزم وجودها فى حياة كل منا داخل بيته أو قصره، أو فى داخل الخيمة، كما ارتبطت أيضًا بلفظ الأرائك.
المصابيح	فى سورة الملك الآية (٥) وفى سورة النور الآية (٣٥).	هى إحدى مصادر الطاقة الصناعية التى يستخدمها الإنسان كى ينير بها المكان الذى يقيم به ومفردها

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
مصبـاح.. وقد مر بمراحل وتطورات كـثيـرة خـاصة فى اسـتـخدام مـادة الإشعال نفسها.		تابع المصابيح
السـهـول مـعناها لغـويًا: هى كل الأماكن المنبسطة فوق سطح الأرض والتى تجرى من حـولها ميـاه الأنهار، وربما جـاءت هـذه الكلمـة بمـعنى السهولة فى الحـياة نظرًا لما توفره هذه الأماكن لـلإنسان من وسائـل الراحة خاصة فى رزقه.	فى سورة الأعراف الآية (٧٤).	السهول
هى الأماكن الخصبة والمتخصصة فى زراعـة المحـاصـيل، وكـثـرة المراعى وهى تكثـر حـول ضـفـاف الأنهـار وأقيمت بها كل الحضارات الإنسانية مـثل حـضـارة وادى الـنيل ووادى الفـــرات ووداى الأردن، والأودية مفردها وادٍ.	فى سورة الرعد الآية (١٧)، أما كلمة واد كـمفـرد فقـد جاءت فى مـوضعـين فى كتـاب الله فى سـورة الفـجـر الآية (٩)، وفى سورة الشعراء الآية (٢٢٥).	الأودية
هى تلك الأماكن التى يقيمها الانسان لأجل تصنيع حاجياته مستخدمًا مواد أولية كثيرة سواء زراعـية أو معدنية.. هذه المصانع كـانت سببًا مبـاشرًا فى نجاح الإنسان فى إقامة الحضارات.	فى سورة الشعراء الآية (١٢٩).	مصانع

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
الأسواق	فى سـورة الفـرقـان الآيتـين (٧، ٢٠).	أمـاكن يقـيـمـهـا الإنسـان بشكل عشوائى أو منظم لأجل أن يتم فيما تبادل السلع، وكل مظاهر التجارة.
الحصون والملاجئ والمغارات	فى سـورة الحشر الآية (٢) ثم جاءت كلمة محصنة فى نفس السـورة فى الآيـة (١٤)، كـمـا جـاءت بمعنى الصيـاصى فى سورة الأحزاب فى الآية (٢٦)، وكذلك كلمتى ملجأ ومغارات جـاء ذكرهمـا فى سورة التـوبة الآية (٥٧).	بعد أن نجح الإنسان فى بناء البيوت والقـصـور والأسـواق كـان عـليـه كـذلك أن يقيم الحـصـون وهى تلك الأماكن المرتفعة ذات التحصينات الخـاصـة والمعـروفـة باسم القـلاع ومفردها قلعة كما كان عليه أيضًا أن يقيم الملاجىء والمغارات لحمايته من أعدائه.
الغائط	سورة الإنسان الآية (٤٣)، وفى سورة المائدة الآية (٦).	هو ذلك المكان البعـيد والمستـتر الذى يختاره الإنسـان خـاصـة فى حيـاته البدائية وداخل الصحراء لأجل قضاء حـاجته وإخـراج ما فـى جوفـه من فضلات.
الرؤوس	فى سـورة مـريم جاء مـفـردها الرأس وفى سورة الأعراف الآية (١٥٠)، بنفس اللفظ: كما جاء لفظ رءوس أموالـكم فى سورة البـقـرة (٢٧٩)، ولفظ رءوس الشـياطين فى سـورة الصافـات (٣٥).	الرءوس مـفـردها رأس وهو أعلى مكان فى جـسـم الإنسـان.. وفـيـه تجويف يحوى أعظم ما خلقه الله لبنى البشـر وهو العقل أو اللب وجمعـها الألبـاب، ولأهميـتـه فـقـد اتخـذه أجدادنا مناط أمثالهم الشعبية.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
وجوه مـفردها لغـويًا وجه وهـو ما تواجـه به الناس من الـرأس وفـيـه مـعظم الحــواس. وهذا المعنى أورده لنا معـجم ألفاظ القـرآن الكريم الذى أصـدره مـجـمع اللغــة العـربيـة فى جزئين.	فى سـورة آل عـمـران (١٠٦)، مـكرر والـلفـظ فى (٧) الحـج و(٢٧) المـلـــك و(٢٢،٢٤) القـيامـة و(٣٨،٤٠) فى عـبس و(٢،٨)، فى سورة الغاشية.	وجوه
هى تلك العـظمـة البـارزة فى وجـه الإنسـان وهى تعلـو تجـويف العـين، وأما المعجم الوجيـز ذكر لنا أن الجبهة وهى مـفـرد لفظ جـبـاه هى مـا بين الحاجـبين إلى الناصيـة.. وفى المعجم الطبى هى جزء فى الـوجه الذى يعلو العينين.	فى سورة التوبة الآية (٣٥).	الجباه
هو مـســاغ الطعـام والـشـراب إلى المرىء وبالتالى فـهو عـضو أو مكان أصـيل فى جـسم الإنسـان باعتـبـاره البـوابة الرئيـسيـة داخل فم الإنســان والذى يسـمح بمـرور الأطعـمـة التى نتذوقها كما يعتبره الكثير من العلماء البـوابة الرئيـسيـة لدخـول وخـروج الروح.	سورة الواقعة الآية (٨٣).	الحلقوم
والعنق فى جسم الإنسـان هو الرقبـة التى هى فى الأصل وصلة بين الرأس	فى سورة الأنفال (١٢) واللفظ فـى (٢٣) فى ســـــورة ص	الأعناق

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع الأعناق	و(٢٣) سبأ والرعد (٥) والإسراء (١٣، ٢٩)، وفى سورة يس (٨).	والجسد، ومنه عنق الزجاجة من كل شيء أوله.
الصدور	في سورة الأنعام الآية (١٢٥)، مكرر واللفظ فى سورة الزمر (٢٢)، باعتبارها كلمة مفرد «صدر» والشعراء الآية (١٣)، وطه الآية (٢٥)، أما كلمة الصدور فقد جاء فى سورة المائدة الآية (٧)، وهود(٥) والملك (١٣)، وآل عمران (١٩، ١٥٤)، والأنفال (٤٣)، والتوبة (١٤)، ويونس (٥٧)، الحج (٤٦)، العنكبوت (١٠، ٤٩) و(٢٢) لقمان، و(٣٨) فاطر و(٧) الزمر و(١٩) غافر (٢٤) الشورى و(٦) الحديد و(٤) التغابن و(١٠) العاديات.	عندما جاء ذكر الصدور فى كتاب الله كمكان مشهور وارتباطها بجسم الإنسان لم يأت ذكرها باعتبارها تجويف يحيط به عظام صدر الإنسان فيما يلى عنقه بل جاء ذكرها على اعتبار أنها مستودع الرئتين والفؤاد أوالقلب والصدور مفردها صدر.
البطون	فى سورة الصافات الآية (١٤٤)، وفى سورة آل عمران الآية (٣٥)، و(٣٩) الأنعام و(٧٨) النحل و(٦)الزمر و(٣٢) النجم و(٦٦)الصافات و(٤٥) الدخان و(٥٣) الواقعة.	يقول معجم المصطلحات الطبية الصادر عن مجمع اللغة العربية فى تعريفه للبطن ومفرد بطون أنها أحد التجاريف الموجودة بالجسم ويقع بين الحجاب والحوض.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
لا يكتمل جسم الإنسان إلا باليدين والقدمين، وقد خلقهما الله تعالى كعضوين رئيسين للإنسان نفسه أما بخصوص الأيدى فهى الوسيلة التى ينفذ بها الإنسان رغباته وكل طموحاته بعدما تنتقل أفكاره إلى مرحلة التنفيذ أما القدمين فهما كذلك وسيلة الإنسان نحو التحرك هنا وهناك.	فى سورة الروم الآية (٤١) وفى سورة الفتح الآية (٢٠)، وفى سورة البقرة الآية (١٩٥، ٢٥٠)، وفى سورة النساء الآية (٤٣) والأعراف (١٩٥)، وآل عمران (١٤٧)، وفصلت الآية (٢٩)، النحل(٩٤).	الأيدى والأقدام
رغم وظيفة السوق أو السيقان المحدودة إلا أن عليها معولاً كبيراً فى أداء بقية الأعضاء المرتبطة بها فلولا الساق ما وجدت الأقدام ولذلك فإن الساق تعتبر مشاركاً أصيلاً فيما ترتكبه الأقدام من أفعال سواء فى الخير أو فى الشر.	فى سورة القلم (٤٢)، والإنسان الآية (٢٩) والنمل (٤٤)، وسورة ص (٣٣)، والفتح الآية (٢٩)، وفى سورة القيامة (٣٠).	السوق
ترتبط الفروج فى حياة الإنسان بمهمة فى غاية الأهمية ذلك لأنه من هذه الفروج تبدأ قصة خلق الإنسان وتواجده فى الحياة وقد أمرنا ربنا تعالى من أجل ضرورة الحفاظ على تلك الفروج.	سورة الأنبياء الآية (٩١)، وفى سورة التحريم الآية (١٢)، وسورة المؤمنون الآية (٥)، واللفظ فى سورة النور (٣٠)، والأحزاب الآية (٣٥) والمعارج (٢٩) وفى سورة النور الآية (٣١).	الفروج

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
الجلود	فى سـورة الزمـر الآية (٢٣)، وسـورة النسـاء الآية (٥٦)، واللفظ فى سورة فصلت الآيتين (٢٠،٢٢)، وسـورة الحج الآية (٢٠)، وعن جلود الأنعـام فى سورة النحل الآية (٨٠).	من عـجائب خلق الله فـى بنى البشـر خاصة فى جسم الإنسان، هو الجلد.. ذلك الرداء الذى يلـف كل أعـضـاء الجسم ليحـقق له العديد من الفوائد، ومما كشف عنه معـجم المصطلحات الطبـيـة أن الجلد هو ذلك الغـشـاء الخارجى الواقى للجـسم وهو يتكون من عدة طبقات.
الأرض	ذكـر الله تـعـالى لـفظ الأرض بمفـهومهـا الواسع فى أكثـر من (٤٠٠) آية كـريمـة، أمـا فيـمـا يخص مفهومها الضيق والمرتبط بوفاة الإنـسان فى سورة الـنساء الآية (٤٢)، وسـورة ق (٤٤)، والمائـدة الآية (١٠٦)، والـنمـل الآيـة (٨٧)، والـروم الآيـة (٢٥)، وسـورة لقـمـان الآية (٣٤).	إن الأرض وفق مفهومـها الضيق هو ذلك المكان الذى يسـتـضيـف جسـد الإنسـان بعد وفـاته إلى يوم أن تقـوم السـاعة وبالتـالى يعـتبـر أول مـقبـرة للإنسان تحـوى جسده بعـدما يذوب فيها وحتى يوم القيامة.
التراب	سـورة الكهـف الآية (٣٧)، وسورة الرعد الآية (٥)،وسورة المـؤمنـون الآية (٣٥،٨٢)، ثـم الآية (٦٧) فى سـورة النمل، آل عـمـران(٥٩)، والحج (٥)، و(٢٠) الـروم و(١١) فـاطر،(٦٧)غـافـر و(٥٣)	المادة الأسـاسـيـة التى تتكون مـنهـا الأرض.. والذى خلقه الله تـعالى، بل وخلق منه الإنسان نفسه.. ليس هذا فـقط بل جـعل الله تعـالى من هذا التراب المستـودع الذى يحوى جسـد الإنسان ويذوب فيه فـترجع العناصر إلى أصولها.

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع التراب	الصـــافـات و(٣) ق و(٧٤) الواقعة و(٤٠) النبأ.	
الحُفرة	ذكـرت فى سـورة واحـدة وآية واحدة هى سورة آل عمران الآية (٣).	وفق تطور كل شيء فى حياة بنى آدم فقـد تطورت كذلك أمـاكن وجوده فى باطن الأرض منذ حـادث مـقـتل أحد أبنـاء آدم عليه السـلام، وجاءت الحفـرة فى المرتبة الثـالثة فى حـلقات التطور والحـفرة لـغويًا هى جـزء من الأرض نزع ترابه فانخفض.
الثرى	فى سورة طه الآية (٦).	مـــعناه التـــراب الرطب والــندى.. ولذلك فـإن كـثيـرًا من المفـسـرين يعتبرونه المتكأ أو الأرضية التى توضع فوقـها الجـثمان بعـد دفنه. وتلك من رحـمة الله تعـالى.. إذ هيـأ الله لنا هذا الثـرى أو هذا التراب الندى كى نقـيم فوقه داخل الحفرة إلى حين.
التابوت	فى سـورة طه الآية (٣٩)، وفى سورة البقرة الآية (٢٤٨).	من الأمـــاكن المـرتبـطة كـــذلك باللحظات الأخيـرة فى حياة بنى آدم هو ذلك الصندوق الذى يُوضـع فيـه الإنسـان بعـد الانتهـاء من إجـراءات الغُسل ويعرف كذلك باسم التابوت، وهو صندوق بحـجم الجسم إمـا من الخشب أو من العاج وفى الغالب هو يُصنع من الخشب.

الموقع والأحداث	السور والآيات	المكـان
تعتبر الأجداث من الأماكن المشهورة في كتاب الله والتي ترتبط بنهاية الإنسان خاصة في مرحلة النفخة الثانية والتي يعقبها الحساب، وهناك رغم ذلك اتفاق لدى بعض المفسرين على أن الأجداث هي ذاتها القبور.	جاء هذا اللفظ في ثلاث سور كريمة هي يس الآية (٥١) والقمر الآية (٧)، والمعارج الآية (٤٣).	الأجداث
تمثل المقبرة آخر مراحل الإنسان في الدنيا وأول مراحل الآخرة، والمقابر مفردها مقبرة وهي موضع القبر الذي هو في ذات الوقت مدفن الإنسان وجمعه قبور ويقبره أي يدفنه وأقبره: أي جعل له قبراً.	في سورة التوبة الآية (٨٤)، وفي سورة الحج الآية (٧)، وفي سورة فاطر الآية (٢٢)، والممتحنة الآية (١٣)، والانفطار(٤) العاديات (٩) والتكاثر (٢).	المقابر والقبور
لفظ المرقد ارتبط في كتاب الله فقط بالكافرين خاصة من الذين حين يخرجون ليوم الحساب يتساءلون فيما بينهم عمن أخرجهم وقد ظنوا أنهم لن يخرجوا منه أبداً!.	في سورة يس الآية (٥٢).	المرقد
البرزخ وفق ما أخبرنا به إمام الدعاة الشيخ محمد متولي الشعراوي هو ذلك الفاصل بين الأحياء والأموات هو لذلك يرتبط بمرحلة ما بعد الموت.	ذكرت كلمة برزخ في كتاب الله على معنيين الأول ارتبط بالدنيا والثاني بالآخرة. وذلك في سورة المؤمنون الآية (١٠٠)، وفي سورة الرحمن الآية (٢٠)، وفي الفرقان الآية (٥٣).	البرزخ

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
الأعراف	فى سـورة الأعـراف الآيتـين (٤٦،٤٨).	يعتبر هذا المكان آخر ما يرتبط برحيل بنى آدم من قبل البعث والحساب. وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم أنه الحاجز بين الجنة والنار، أو ذلك السد الموجود بين الجنة والنار والذى يقف خلفه الناس انتظاراً لمعرفة مصيرهم.
الجنة	فى سـورة الرعـد الآية (٣٥) ويس (٥٥) ومحـمـد (١٥) كما نجد هذا اللفظ فى كتاب الله فى (٣٨) سـورة وأكـثـر من (٦٥) آية كريمة.	إنهـا الجنة التى وعـد بهـا ربنا تعـالى المتـقـون من اللذين حـالفـهـم الحظ وشهـدت لهم أعمـالهم الطيبة وفى الجنة مـراتب ودرجـات وأمـاكن خاصة بعينها، وفيها ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر كـمـا أخبرنا بذلك رسـولنا الكريم.
الصراط المستقيم	فى سورة الأعـراف (٨٦)،وفى الأنعـام (١٥٣)، وفى الفـاتحـة الآية (٦)،كـمـا ذكـر مـعـجم ألفـاظ والـقـرآن الكريم لفظ الصراط بمعنى آخر فى عدة سور وآيات هى البـقرة (١٤٢)، وآل عـمـران (٥١،١٠١)، و(١٦) المائدة والأنعـام (٣٩)، و(٨٧، ١٦١، ٨٦) الأعـراف و(٢٥) يـونـس، و(٥٦)هـود و(٤١)	هو الممر الآمن لبنـى الإنسان إلى جنة الله فى الآخـرة، هذا المـمـر الذى لا ينجح فى عبوره إلا المتقين من الذين رضى الله عنهم لما قدموه فى الدنيا من الأعمال الصالحـة، أما معنى الصراط المستقيم فى الدنيا فهـو طريق الإيمان بالله ورسله وكتبه وباليوم الآخر.

المكـان	السوروالآيات	الموقع والأحداث
تابع الصراط المستقيم	الحـجـر و(٧٦، ١٢١)الـنحل و(٣٦)مـــريـم و(٥٤) الحج و(٧٣) المؤمنـون،و(٤٦) النور و(٤،٦١،٦١) يـــس و(٥٢) الـــنــــور، و(٤٣،٦١،٦٤) الزخرف و(٢٢) الملك.	
سدرة المنتهى	فى سـورة النجم الآيتين (١٤)، و(١١٦).	من الأماكن المشـهورة فى كـتاب الله والذى لم يكن أحـد يعـرف عنه أى شىء إلا بعـد نزول القـرآن الكريم، كـمـا ارتبط هذا المكـان أيضًـا برحلة نبـينـا الكريم إلى الســمـاء الـسـابعـة خـاصة بالمعراج، أمـا المعنى اللغـوى فقد جـاء فى معظم التفاسـير على أن ســدرة المنتـهى هى: شـجـرة الـنبق الموجـــودة عن يـمــين العــرش ولا يستطيع أحـد أن يتجـاوزها سواء من الملائكة أو من غيرهم.
الأفق الأعلى	فى ســـورة النجـم (٧)، وفى ســورة الـتكويـر الآية (٢٣)، وفصلت الآية (٥٣).	ارتبـط مكـان الأفق الأعـلى بـرحلـة رسـولنا الكريم إلى السموات العـلا خـــاصـــة فى أثناء رحـلة المعــراج.. والأفق معناه لغـويًا الناحية، وجمـعه آفاق أى نواحى، وهناك من المفسرين الذين ذهبـوا إلـى تحـديد مـوقع ذلك الأفق فـــقــالوا إنه مـكان بالســمـاء

المكان	السور والآيات	الموقع والأحداث
تابع الأفق الأعلى		السابعة كشف فيه جبريل عليه السلام عن شكله الحقيقى.
الكوثر	فى سورة الكوثر الآية (١).	يعتبر هذا المكان من الأماكن المشهورة التى ارتبطت بتكريم رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وهو وفق الإجماع نهر من أعظم أنهار الجنة.
جهنم	جاء فى كتاب الله فى (٧٧) آية كريمة وفى أكثر من (٣٥)، سورة قرآنية.	من الأماكن التى ارتبطت بمصير العصاة يوم القيامة وفيه يعذبون بعد الحساب.
النار	منها ما ارتبط بالدنيا مثلما جاء فى سورة آل عمران الآية (١٨٣)، وسورة البقرة الآية (٢٦٦)، ومنها ما ارتبط بالنار التى أوقدت لنبى الله إبراهيم فى سور الأنبياء الآية (٦٩) والنمل (٨)، والنور (٣٥)، و(٢٩) القصص و(٧٦) ص.	تعتبر أعظم وسائل تعذيب الكافرين والعصاة ووقودها.. الناس والحجارة. ولا تنطفىء أبداً.
الدرك الأسفل	فى سورة النساء الآية (١٤٥).	إحدى أعظم دركات جهنم والتى لا بعدها نار أخرى والدرك فى اللغة أسفل كل شىء يتميز بالعمق كالبئر ونحوه.

المكـان	السور والآيات	الموقع والأحداث
الحطمة	فى سورة الهمزة الآيتين (٤،٥).	أشار معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الحطمة تعنى الكثرة كما أطلقت أيضا على جهنم التى تحطم عظام المكذبين بها.
سقر	فى سورة القمر الآية (٤٨)، اللفظ فى ٣ آيات فى سورة المدثر هى (٢٦،٢٧،٤٢).	هو أحد أبواب جهنم والذى يدخل منه أصناف بعينها من الكافرين ومن العصاة وعدد أبواب جهنم سبعة، ويقف عليها ملائكة غلاظ شداد عددهم ١٩ كما ذكر لنا ذلك كتاب الله.
السعير	فى سورة التكوير الآية (١٢) وسورة فاطر (٦) والفرقان (١١) والحج (٤)، و(٢١) لقمان و(١٢) سبأ و(٧) الشورى و(٥،١٠،١١)، فى سورة الملك.	ذهب العديد من المفسرين إلى أن السعير ما هى إلا جهنم أو أنها نار الله الموقدة، بل هى أكثر من ذلك قوة باعتبارها من أشد دركات جهنم اشتعالاً ما ذهب ما جاء فى المعجم الوجيز بأنها نوع من أنواع الجحيم.

المراجع

١ - القرآن الكريم

٢- السنة النبوية وأحاديث رسولنا الكريم.

٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم- جزأين.

٤- فى منزل الوحى- د. محمد حسين هيكل.

٥- الأنبياء والرسل - د. عبد الحليم محمود.

٦- مع أنبياء الله - د. أحمد شلبى.

٧- قصص الأنبياء والتاريخ - د. رشدى البدراوى ج (١).

٨- القصة فى القرآن د. محمد سيد طنطاوى - جزأين.

٩- أنبياء بنى اسرائيل - د. رشدى البدراوى.

١٠- فتح العليم فى تفسير القرآن الكريم - د. أحمد شوقى إبراهيم.

١١-مصر فى القرآن الكريم - د. أحمد صبحى منصور.

١٢- الاختراق الصهيونى للمسيحية - القس إكرام لمعى.

١٣- الإسلام فى آسيا الصغرى - حسن محمود.

١٤-تفسير ابن كثير - جزأين.

١٥- مدن إسلامية مقدسة - د. أحمد شلبى.

١٦- الحج إلى بيت الله الحرام - د. عبد الحليم محمود.

١٧-الحج المبرور - محمد متولى الشعراوى.

١٨-الكعبة المعظمة - الحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً محمد أمين الكردى.

١٩-الجامع اللطيف فى فضل مكه وأهلها - ابن القرشى.

٢٠ -إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى-شمس الدين السيوطى ج (١).

٢١-عرائس المجالس - الإمام الثعالبى.

٢٢- جبال الأنبياء - حنفى المحلاوى.

٢٣-موسى وهارون عليهما السلام د. رشدى البدراوى.

٢٤- أنبياء ببنى إسرائيل -- د. رشدى البدراوى.

٢٥-حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

٢٦- تاريخ الفكر الدينى -- د. محمد إبراهيم الفيومى.

٢٧-أهل الكهف - محمد تيسير ظبيان.

٢٨-الله والكون د. محمد جمال الدين الفندى.

٢٩-التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د. محمد سيد طنطاوى سورة الفاتحة والبقرة.

٣٠- المعجم الوجيز.

٣١- مختصر تفسير الطبرى - جزأين

٣٢- تفسير النسفى فى أربعة أجزاء

٣٣- معجم المصطلحات الطبية فى جزأين من إصدارات مجمع اللغة العربية.

٣٤-الحياة والموت - محمد متولى الشعراوى.

٣٥-أبى آدم قصة الخلق بين الأسطورة والحقيقة- د. عبد الصبور شاهين.

٣٦- الساعة وأشراطها - محمود مراد.

٣٧-الجبانات فى العمارة الإسلامية- د. محمد حمزه إسماعيل الحداد.

٣٨-الوجوه والنظائر لأبى عبد الله الدامغانى.

٣٩- المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم - د. نبيل عبد السلام هارون.

٤٠- أسباب النزول - الإمام أبى الحسن بن أحمد الواحدى.

٤١-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقى.

٤٢-محمد رسول الله - محمد رضا.

٤٣-أهل الكهف فى التوارة والإنجيل والقرآن - د. أحمد المجدوب.

الأماكن المشهورة
فى القــرآن الكريــم

فى هذا الكتاب

تستطيع عزيزى القارئ أن تضع يدك وعينيك وعقلك بكل سهولة ويسر على كل ما جاء فى القرآن الكريم (كتاب الله العزيز) فيما يخص الأماكن التى جاء ذكرها فى صفحاته الشريفة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقد توصل المؤلف أن هناك العشرات من هذه الأماكن فألقى عليها الأضواء المبهرة من حيث موقعها الجغرافى وارتباطها بالأحداث التاريخية أو الدينية أو من حيث ما جاء بشأنها من سور وآيات كريمة. إنها بحق تجربة جديدة فى مجال الدراسات القرآنية التى تقوم على مبدأ البحث والتفسير وبيان كل ما يتعلق بالأماكن المذكورة فى كتاب الله العزيز (القرآن الكريم).

ISBN 977-232-670-1



www.alamalkotob.com